

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de L'enseignement supérieur et de La Recherche Scientifique

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

Faculté des Sciences Humaines et Sociales

جامعة الجيلالي ليابس-سيدي بلعباس

Université Sidi Belabes

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي

الرحلة العلمية لعلماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأدنى من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين(13-15)م

إعداد الطالبة:

بوكرديمي نعيمة

تحت إشراف:

أد.بلعربي خالد

أعضاء لجنة المناقشة:

أد. بلبروات بن عتو	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أد.بلعربي خالد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا و مقررا
د.شخوم سعدي	أستاذ محاضر -أ-	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
أد. بوجمعة جهيدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران1	مناقشا
أد.مقنونيف شعيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
د.محمد بوشريط	أستاذ محاضر -أ-	جامعة معسكر	مناقشا

السنة الجامعية:1437-1438 هـ /2015-2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ
دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾

المجادلة: 11

كلمة شكر وتقدير

بعد بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم، أشكر الله مولاي وخالقي الذي من عليّ بإتمام هذا العمل.

أهدي هذا العمل إلى الذين عاشوا من أجل أن أحيا، من أجل أن أصير، إلى أمّي وأبي وإلى جميع أفراد أسرتي.

ومن باب الاعتراف بالجميل، أتوجّه بالشكر والامتنان الكبير إلى الأستاذ الدكتور خالد بلعربي، الذي تفضّل مشكورا بقبول الإشراف على هذا البحث، أحيي فيه روح البحث العلمي الصارم، بملاحظاته السّديدة، حيث كان بمثابة الموجّه الناصح، والأستاذ، بتواضعه الرّفيع وأخلاقه العالية فلم يبخل عليّ بتوجيهاته الدّقيقة، فجزاه الله عنّي أحسن الجزاء.

كما أتوجّه بخالص الشكر إلى الأستاذ الدكتور الفاضل بوباية عبد القادر الذي ساعدني ووضع مكتبته رهن إشارتي، كما أجزل خالص الشكر للأستاذة الدكتورة بلهواري فاطمة على نصائحها القيمة، وكذلك أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش على ما قدّمه لي من توجيهات علمية سديدة من خلال الج=لسات العلمية بجامعة مولاي اسماعيل بمكناس سنة 2006.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل وبالغ الامتنان إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم المشاركة في مناقشة هذه الرسالة، فلهم منّي كل الاحترام والتقدير.

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير والاحترام لكل من وقف بجانبي من قريب أو من بعيد في سبيل إتمام أطروحتي وأخص بالذكر الأساتذة الأفاضل: مغزاوي مصطفى، قاسمي بختاوي حفصة معروف، وغيرهم من الزميلات والزملاء الأفاضل.

شكّل التواصل العلمي بين مختلف الأقطار والمدن الإسلامية في العصر الوسيط ظاهرة حيوية فعّالة ساهمت في نقل وإشاعة عناصر التطور الحضاري والفكري بين مختلف الحواضر والمراكز العلمية الإسلامية، ولم يخرج المغرب الإسلامي عموما عن هذه الظاهرة، فقد ساهم التواصل الحضاري بين المغربين الأوسط والأدنى في بروز حواضر علمية أسّست لحركة علميّة كان لها شأن كبير في تطوير البُنى العلمية والمنهجية لمختلف العلوم، ومن أهم الحواضر التي ساهمت في امتداد هذه الحركة التواصلية في المغربين الأوسط والأدنى خلال فترة البحث تلمسان وبجاية وتونس والقيروان.

ولا بأس من الإشارة إلى أن هذه الحواضر العلمية في المغربين الأوسط والأدنى امتدّ حضورهما العلمي إلى غاية أواخر العصر الوسيط وبنسب متفاوتة وكانت حرارة التفاعل العلمي فيهما قائمة على امتداد هذه الفترة أخذًا وعطاءً، واستطاعت بهذه العلاقة أن تشارك بقوّة في صياغة القواعد الأساسية لانصهار مجتمعين وانسجام جغرافي وثقافي، ليس على مستوى المغرب الأدنى بفعل هذا التواصل، ولكن على امتداد مساحة هذا التواصل في شقيه الزماني والمكاني.

وبحكم أهمية هذا التواصل العلمي بين المغربين الأوسط والأدنى، عزمنا في بحثنا هذا، والموسوم بـ " الرحلة العلمية لعلماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأدنى من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري / الثالث عشر و الخامس عشر الميلاديين"،على الإجابة على بعض التساؤلات والإشكالات التي اعترضتنا، ومن أبرزها:

– هل أثرت العلاقات السياسية المضطربة على العلاقات الثقافية وحركية العلماء بين المغربين الأوسط والأدنى؟ وفيما تكمن عوامل ذلك؟ وأين تبرز مظاهر التواصل

العلمي بين المغربين؟ وما هي الانشغالات العلمية لعلماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى؟ و ما هي أهم المؤلفات التي ساهمت في إثراء الحركة العلمية؟.

هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عليها، في الصفحات اللاحقة من البحث، وقد دفعنا إليه جملة من الدوافع، من بينها:

- الميل الشخصي لمثل هذه المواضيع التي تؤرخ للتواصل العلمي بين أقطار المغرب الإسلامي خلال الفترة الوسيطية.

- ندرة الدراسات الأكاديمية المتكاملة حول موضوع الرحلة العلمية بين المغربين الأوسط والأدنى خلال الفترة محل الدراسة، وإن وجدت فنجدها قد اقتصرت على معالجة الموضوع بالتحدّث على العلاقات الثقافية التي كانت موجودة بينهما، أو الإشارة إلى ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، كرسالة الماجستير التي قام بانجازها الباحث بلحسن إبراهيم من جامعة تلمسان تحت عنوان: " العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين " و نوقشت الرسالة خلال السنة الجامعية (2004م-2005م)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، والملاحظ أنها أغفلت الكثير من الدراسات والمصادر القيّمة التي كان بالإمكان الحصول عليها من أجل معالجة جوانب هامة عن رحلة علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأدنى، وإبراز انتاجهم الفكري وتظهير إسهاماتهم العلمية هناك.

ومن الدراسات كذلك، العمل الذي أنجزه الباحث محمد مكيوي تحت عنوان "العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-1235م/737هـ-1337م)" وهي أطروحة دكتوراه في الفنون تحت إشراف الدكتور الغوثي بن سنوسي، نوقشت بجامعة تلمسان خلال السنة

الجامعية (2007-2008) ركّز الباحث في رسالته على الجانب السياسي المبني على تلك الصراعات دون تسليط الضوء على الجانب الفكري المتمثل في تلك الحركة العلمية التي عرفتها المنطقة نتيجة لعدة عوامل دون الجانب الفكري، لذا جاءت دراسته للحياة الفكرية مقتضبة، وغير شاملة.

- رغبتي في تناول هذا الموضوع بوصفه دراسة مستقلة وعميقة مع محاولة، ما أسعفتني قراءتي للمصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، تسليط الضوء على بعض الحقائق التاريخية عن أهمية الرحلة في توطيد وتقوية الصلات والروابط الثقافية والعلمية بين حواضر المغرب الإسلامي وفي مقدمتها حواضر المغربين الأوسط والأدنى.

- إضافة إلى الدوافع الذاتية، والمتمثلة في تخصصنا، إبّان المرحلة النظرية للماجستير، في دراسة تاريخ المغرب الأوسط الحضاري في العصر الوسيط، مما أدى إلى ميلنا إلى المواضيع المتعلقة بالمغرب الأوسط ، فأردنا من خلال هذا العمل، المساهمة، بالقدر القليل، في كتابة تاريخ المغرب الإسلامي، وإثراء المكتبة التاريخية العربية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في، اعتقادنا، في جملة من النقاط لعل أهمّها:

- محاولة الخروج عن أغلب الدراسات الحديثة، التي انصبت للتأريخ للعلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والمغرب الأدنى دون الولوج في الموضوعات الفكرية والعلمية.

- تبيان مدى تطور التواصل الحضاري بين المغربين، رغم الصراعات السياسية التي كانت قائمة بينهما إبّان الفترة موضوع الدراسة.

- إبراز الإنتاج الفكري للكثير من علماء المغرب الأوسط الذين شدّوا الرحال نحو المغرب الأدنى ومساهمتهم في تطور الحركة العلمية وازدهارها هنالك.

وانسجاما مع قضايا البحث المتعدّدة، والمناهج المعتمدة، فقد تمّ تقسيم الموضوع إلى مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة.

فالفصل الأول عنوناه بـ" دوافع وأسباب رحلة علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأدنى"، و تناولت فيه منزلة المغرب الأدنى العلمية في الفترة وركّزت خاصة على ذلك الرواج العلمي السائد و الذي ميّزته حرية النقاش والحوار العلميين.

ضف إلى ذلك وفرة المؤسسات التعليمية والمكتبات وكذلك اختصاص القيروان بالعلوم الفقهية. كما تطرقت كذلك إلى الرغبة في الاستزادة العلمية ولقاء الشيوخ التي كانت تحذو الطلاب والعلماء على حدّ سواء، ثم إلى المناخ السياسي بالمغرب الأوسط الذي دفع بالكثير من علمائه إلى شدّ الرحال نحو المغرب الأدنى.

بينما خصصّت الفصل الثاني الموسوم بـ" تطور الحركة العلمية ومظاهرها بالمغرب الأوسط بين القرنين السابع والتاسع الهجريين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين"، للحديث عن العوامل التي أدّت لازدهار الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، ثم إلى العلوم المختلفة التي شملتها الحركة العلمية.

أما الفصل الثالث المعنون بـ" الانشغالات العلمية لعلماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى" فتعرضت فيه إلى أهم العلوم التي كانت متداولة في المغرب الأدنى، و بينت فيه منافسة علماء المغرب الأوسط للكثير من أقرانهم من علماء المغرب الأدنى في مختلف العلوم، بما في ذلك تولي بعضهم مناصب إدارية هامّة داخل السلطة الحفصية.

وآخر فصول الأطروحة وَسِمناه بـ " الإنتاج العلمي لبعض علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى" وتعرضت فيه إلى إسهامات علماء المغرب الأوسط وظاهرة تأليف

المصنفات، ثم إلى الإنتاج العلمي لبعض علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى في مجال العلوم النقلية والعلوم العقلية.

وأنهينا عملنا بخاتمة، سعينا فيها إلى تدوين أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

و لاستغلال المادة التي حصلنا عليها من المصادر والمراجع، والاستفادة منها بشكل علمي سليم، اعتمدت على إجرائي الوصف، و التحليل.

استعملت الإجراء الوصفي في الفصلين الأولين من الدراسة، وذلك عند تحدّثنا عن دوافع وأسباب الرحلة، ثم تطور الحركة العلمية ومظاهرها، ووظفت الإجراء التحليلي لدى التحدّث عن الانشغالات العلمية لعلماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى، وإسهامهم العلمي في الفصلين الثالث والرابع.

أهم مصادر ووثائق الأطروحة :

ولانجاز هذا العمل تطلب منّا الأمر الرجوع إلى كل ما قدمته المصادر المعتمدة من مضامين تاريخية دون تغييب أي حدث أو نص كيفما كانت طبيعة المعلومة، لأن ما احتفظت به تلك المصادر يبقى له أهمية كبيرة، وفي كل الأحوال أمدتني المصادر التاريخية خاصة كتب التراجم بمادة معرفية ساعدتني في إعطاء صورة عن علماء المغرب الأوسط ورحلتهم إلى المغرب الأدنى إبّان فترة الدراسة ونذكر من أهمها:

- **النصوص المخطوطة:**

من خلال إطلاعي على فهارس المكتبة الوطنية بالعاصمة، والمكتبة الوطنية المغربية وقفت على نصوص مخطوطة أمدتني بمعلومات حاولت توظيفها حسب أهميتها بالنسبة لعناصر الفصول ومن أهمها:

المجموع: نسخة ميكروفيلم، الخزانة العامة الرباط، رقم20، هو عبارة عن نص مخطوط لابن مرزوق الخطيب توفي صاحبه سنة (781هـ/1379) وقد اعتمدت

عليه نظرا لما تضمنه من تراجم لعدد من مشاهير العلماء والفقهاء والصلحاء خلال هذه الفترة من البحث.

كما وقفت بمكتبة الرباط على مخطوطين هامين اثنين؛ الأول بعنوان: " زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ " بالخزانة الحسنية تحت رقم 170 ، والثاني " فضل الخطاب في نثر ابن الخطاب" بالخزانة الملكية العام تحت رقم 4605 ورقة 39-40 وقد استفدت منهما أيّما استفادة في هذه الدراسة.

المصادر المطبوعة:

و سعيا منّا وراء جمع المادّة لاستيفاء الموضوع حقه، فقد اطلعنا على عدد من المصادر والمراجع التي لها صلة به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة منها:

أوّلا- كتب التاريخ:

- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لأبي العباس أحمد بن الحسن بن علي الخطيب بن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م)، قام بتحقيق هذا الكتاب ونشره الأستاذان محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي.

هذا المصدر يؤرّخ للدولة الحفصية من بداية تأسيسها إلى غاية عهد أبي فارس عبد العزيز (797-839هـ/1394-1435م)، وقد عرض فيه مؤلّفه بإيجاز سير الحكّام الحفصيين مع التركيز على أهمّ الحوادث التاريخية.

احتوى المصنف على مادّة تاريخية مهمّة عن تاريخ الدولة الحفصية، وكذا حاضرة بجاية من الوجهة السياسية على اعتبار أنها كانت تحت النفوذ الحفصي.

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لمحمد بن ابراهيم الزركشي (ت 894هـ/1488م) اشتمل هذا الكتاب على معلومات جدّ قيّمة ودقيقة عن دولتي الموحّدين والحفصيين، وقد قسّمه صاحبه إلى قسمين اثنين؛ الأوّل ضمّنه الحديث عن دولة الموحّدين، بينما القسم الثاني فخصصه للحديث عن الدولة الحفصية إلى غاية سنة (839هـ/1435م) وهي السنة التي تولّى فيها السلطان أبو عمر عثمان الحكم في الدولة الحفصية.

ويعدُّ هذا الكتاب من المصادر المهمة، حيث أمدّنا بمعلومات دقيقة عن مدينة بجاية والدولة الحفصية خلال الفترة المدروسة.

– "كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس" لأبي عبد الله محمد بن أبي قاسم الرعيني المعروف بابن أبي دينار القيرواني (ت 1110هـ/1698م)، يتضمن هذا المصدر الحوادث التي عرفتها إفريقية من الفتح الإسلامي إلى غاية دخول العثمانيين إلى تونس، كما تضمن تراجم لسلاطين وأمراء الدولة الحفصية.

– " المقدمة " لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1406م) تحقيق علي عبد الواحد وافي،لجنة البيان العربي، ط2، 1384هـ/1965م تناول فيها دراسة ما يتعلّق بالعمران البشري من قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وعلمية، وفيها عقد فصلا للعلوم التي عرفها العمران البشري الإسلامي، وقد استفدنا من هذه المقدمة فيما يخصّ ترتيب العلوم بالمغرب الإسلامي مقارنة بالمشرق، وكذلك معرفة أهمّ المصنفات المتداولة ببلاد المغرب الإسلامي هذا بالإضافة إلى الاطّلاع على مناهج التعليم التي كانت سائدة ببلاد المغرب، وكذلك طبيعة التأليف في العلوم التي تميّز بالاختصار والإيجاز وكيف كان موقف ابن خلدون منه.

وتكمن أهمية هذا الكتاب من خلال مساهمة صاحبه هو الآخر في إثراء الحركة العلمية لبلاد المغرب تأليفا وتدريسا.

ثانيا– كتب التراجم والسير:

– نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس بن أحمد بن عمر بن محمد المعروف ببابا التبكتي (ت 1036هـ/1627م)، نشر نيل الابتهاج في طبعة حجرية بفاس (1329هـ و 1351هـ) على هامش ديباج ابن فرحون.

هذا المصدر من المصادر المهمة، حيث احتوى على تراجم العلماء والمذهب المالكي، وقد أفادنا كثيرا في المجال الثقافي حول علماء المغرب الأوسط وعلى رأسهم علماء مدينة بجاية وتلمسان وإسهاماتهم العلمية.

– عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت 704هـ/1304م) نشره لأوّل مرة الدكتور محمد بن أبي شنب سنة 1910م، ثمّ قام الأستاذ رابح بونار بتحقيقه، وطبع بالجزائر عام 1971م ثمّ نشره

عادل نويهض في بيروت، وصدرت له طبعتان الأولى في 1929م والثانية 1979م، والمصدر عبارة عن تراجم لعلماء بجاية، حيث ضمّ مائة وثمانية ترجمة لرجال العلم والفقهاء والتصوف والأدب خلال القرن السابع(/13م)، كما يشير إلى عدد كبير من المساجد والزوايا التي أنشئت بحاضرة بجاية التي كان يقصدها هؤلاء العلماء والمتصوفة.

– البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني المتوفي سنة 1404هـ/1605م)، يعد من أهمّ المصادر التي اعتمدنا عليها بشكل كبير، نظرا لعلاقته الوطيدة بتراجم الموضوع، حيث ترجم فيه صاحبه لاثنين وثمانين ومائة من العلماء والأولياء الذين ولدوا بتلمسان أو عاشوا فيها أو انتسبوا إليها، فأورد لنا من خلاله إشارات عن آثارهم الفكرية خاصّة في مجال العلوم وبكلّ أنواعها، كما تطرّق لأسماء شيوخهم وتلامذتهم والكتب التي عرفت تداولا في عهدهم، ومن بين هؤلاء العلماء في الفترة المدروسة علماء المغرب الأوسط، كما أنّه يمكن من خلال هذا الكتاب معرفة الحركة الفكرية التي عاشها المغرب الأوسط بما فيها عاصمته تلمسان.

هذا إضافة إلى كتب أخرى منها:

– كتاب الوفايات لابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م)، وكتاب شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية لمحمد بن مخلوف.

ثالثا– <u>كتب النوازل الفقهية:</u>

– كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى المازوني (ت 883هـ/1478م) الذي توجد منه نسخة مخطوطة في مجلدين بالمكتبة الوطنية بالجزائر، الجزء الأوّل يحمل رقم 1355 والثاني رقم 1336.

وتعود أهمية هذا الكتاب في إعطائنا صورة واضحة على مدى التطوّر الذي وصل إليه علم الفقه المالكي ببلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري، والذي أصبح عبارة عن نوازل، كما احتفظ لنا هذا الكتاب بكثير من فتاوى علماء بلاد المغرب الأوسط، وأمدّنا بمعلومات قيّمة عن الدولة الزيانية في جميع المجالات الحياتية كالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية.

– كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ/1508م)، يعدّ هذا المصدر من أبرز الكتب في الفقه المالكي، وتتمثل أهميته في نقله لفتاوى علماء وفقهاء المغرب المتعلقة بالجانب الاقتصادي والاجتماعي ولاسيما الجانب الثقافي حيث أماط اللثام عن الأحوال التي كان عليها التعليم في المغرب الأوسط على عهده مشيرا إلى تنوع المؤسسات التعليمية من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا، وبيّن واجبات المعلّمين، وظروف تمدرس الصبيان والعلاقة بين المعلّمين وأولياء التلاميذ، كما أكّد صاحب المعيار على وجود المناظرات العلمية وبروز الأسر العلمية كأسرة العقباني وأسرة ابن مرزوق اللتان أنجبتا علماء أجلاء ذاع صيتهم مشرقا ومغربا، كما نوّه بالمجهودات التي بذلها السلاطين والحكام من بني مرين وبني زيان في سبيل تشجيع الحركة العلمية في المغرب الأوسط في أواخر عهد بني زيان مبرّرا ذلك بإسناد هذه المهمة النبيلة إلى المهتّمين من بني الإنسان، وغير ذلك من الجوانب التي تتعلّق بالبحث.

رابعا– <u>كتب الجغرافيا والرحلات:</u>

– التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لعبد الرحمان بن خلدون (808هـ/1406م) تحقيق وطبع محمد بن تاويت الطنجي وذلك بالقاهرة عام 1951م.

هذا المصدر عبارة عن سيرة ذاتية لحياة الرجل ومشواره العلمي، وقد أفادنا في ترجمته لبعض علماء المغرب الأوسط من الذين أخذ عنهم.

– رحلة القلصادي نسبة إلى أبي الحسن علي القلصادي المتوفى سنة 891 هـ / 1486م)، وتكمن أهميتها في أنّها تعطينا صورة واضحة عن الحالة الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي، ومظاهر التواصل الثقافي مع بلاد المغرب الأوسط والأدنى وحتّى مع المشرق الإسلامي.

– الرحلة المغربية للعبدري البلنسي المتوفّى في أواخر القرن السابع هـ(/13م) المسماة كذلك "برحلة العبدري"، بدأها من المغرب الأقصى سنة 681هـ/1282م) باتجاه المشرق العربي، حيث وصف في رحلته الآثار القديمة والأماكن المختلفة في مدن المغرب الإسلامي التي مرّ بها مثل تلمسان، و مليانة، وبجاية، وقسنطينة، وبونة، كما أشار في رحلته هذه إلى تراجم الكثير من أعيان العلم والأدب في المنطقة.

– الروض المعطار في خبر الأقطار لعبد المنعم الحميري (ت900هـ/1494م) يعدّ هذا المصدر من المصادر الجغرافية، به تعاريف لمختلف المدن مرتب حسب الحروف الأبجدية، وقد أفادنا في التعريف ببعض المناطق التي وردت علينا في الدراسة.

ولم تقتصر هذه الدراسة على الاعتماد على المصادر، بل اعتمدنا أيضا على مجموعة من المراجع والدراسات الحديثة، التي قمنا بتصنيفها إلى:

– **الدراسات والأبحاث الحديثة العربية و المترجمة:**

من بين الدراسات الحديثة التي اعتمدنا عليها في بحثا هذا نذكر:

– كتاب تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، لروبير برانشفيك، وهو في جزئان، وقد قام بترجمته حمادي الساحلي، وهو يعد من الدراسات المتخصصة عن تاريخ افريقية الحفصية، خصوصا فيما يخص الانتاج الفكري الذي تميزت به خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

– كتاب " أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره" لعبد الحميد حاجيات.

– كتاب تلمسان في العهد الزياني "لعبد العزيز فيلالي"، وهو يتكون من جزئين خُصص الأول لدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، أما الثاني، فدرس الأوضاع الثقافية لدولة بني زيان وهو الكتاب الذي اعتمدنا عليه كثيرا نظرا لعلاقته بطبيعة الموضوع.

–كتاب التعليم بتلمسان في العهد الزياني، لعبد الجليل قريان، الذي قدم فيه مادة غنية حول المؤسسات التعليمية والحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة.

– كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحديث، طبعة مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر 983م، والذي سلط لنا الضوء على الكثير من الأعلام الجزائر في العصر الوسيط.

– كتاب العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية ما بين القرنين الثالث والتاسع عشر الميلادين (03هـ/19م)، لمؤلفه عمار هلال، طبعة ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية 1995م والذي عرفنا على اتجاهات رحلة علماء المغرب الأوسط المختلفة والمتنوعة ودوافعها والذي خذمنا كثيرا في الموضوع.

- كتاب الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي لألفريد بيل، وقد قام بترجمته عبد الرحمان بدوي.

هذا، إضافة إلى مجموعة من المقالات ذات صلة بالموضوع، كما اعتمدت على مجموعة من الدراسات المخطوطة كأطروحات الدكتوراه والماجستير منها أطروحة بودواية مبخوت، " العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال عهد بني زيان"، و" المظاهر الحضارية في عصر بني حفص" لمبطي المسعودي جميلة، و" العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى" لبلحسن إبراهيم.

وفي الأخير لا يخفى على أي باحث في هذا المجال تلك الصعوبات العديدة التي تقف عثرة في طريقه، وإننا نحسب تبعثر المادة العلمية في مختلف المكتبات داخل الوطن وخارجه من أهم الصعاب التي واجهتنا، إضافة إلى صعوبة الحصول على تلك المخطوطات الهامة المتعلقة بالموضوع نظرا لاحتكارها من طرف بعض الجهات الخاصة أفرادا ومؤسسات.

ينضاف إلى ذلك أن معظم إنتاج هذه الفترة مازال مخطوطا وغير محقق، كما أن المصادر والمراجع التي اهتمت بدراسة الإنتاج العلمي لعلماء المغرب الأوسط في العصر الوسيط لم تطلعنا إلا بكم قليل من ذلك الإنتاج الكثير الذي ساهم به أصحابه في إثراء الحركة العلمية خلال الفترة المدروسة.

هذا، ويبقى باب البحث مفتوحا لغيرنا من الدارسين والمحققين لكي تكتمل على أيديهم صورة الرحلة العلمية والتبادل العلمي في حواضر المغربيين. وعلى الله قصد من السبيل فهو نعم المولى ونعم الوكيل.

بوكرديمي نعيمة

شهد الوضع السياسي لبلاد المغرب الإسلامي تطورا كبيرا جراء ضعف دولة الموحدين[1]، فقد عرفت المنطقة في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي انقساما سياسيا نجم عنه قيام ثلاث دويلات مستقلة، الحفصيون[2] في افريقية نجحوا في تأسيس دولة لهم في الجزء الشرقي وجعلوا عاصمتها تونس عام (625هـ/1227م)[3] وبنو عبد الواد أو الزيانيون في المغرب الأوسط[4] تمكنوا من تأسيس دولة لهم عام (633هـ/1235م) واتخذوا من تلمسان عاصمة لهم، وبنو مرين في المغرب الأقصى تمكنوا بعد قضائهم على النفوذ الموحدين نهائيا من تأسيس دولة سنة (668هـ/1295م) ، وجعلوا عاصمتها فاس[5].

وللإشارة فقد طبعت العلاقات السياسية بين دويلات المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغربين الأوسط والأدنى بصفة خاصة بطابع العداء المستمر، والتنافس الشديد، وذلك لأن كل واحدة منهما كانت تعتبر نفسها صاحبة الحق الشرعي في وراثة دولة الموحدين

---

[1] – ينظر البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر 1986، ص75.

[2]– ينظر الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس (د.ت.ط) 1966، ص ص 15–18.

[3]– ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، نشر كلية الآداب جامعة محمد الخامس الرباط، 1963، ج5، ص375.

[4] – ينظر حول ذلك، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة بولاق المصرية، 1284هـ/ م، ج7، ص–ص54–72.

[5] – يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية، الجزائر،1980،ج1،ص ص 84–85 التنسي محمد بن عبد الله، نظم الدر والعقيان، في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمد بو عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985،ص ص 111–112.

ومن ثم كانت تسعى جاهدة إلى الاستحواذ على أكبر قسم من أملاكهم وتوسيعه إلى حدود تؤمن بها الخطر من جارتها[1].

ومن هذا المنطلق، فقد حاول أبو زكرياء الحفصي[2] الاستيلاء على الدولة الزيانية، وخصوصا بعدما علم أن العاهل الزياني يغمراسن[3] قد تمكن من توطيد علاقات مع الدولة الموحدية، خصوصا على عهد الخليفة الرشيد الموحدي [4]، ومن ثم تبادل السفارات والهدايا بينهما.[5]

أثارت هذه العلاقات الطيبة التي جمعت بين البلاطين الموحدي والزياني (639هـ/1212م)[6] غضب واستياء الحفصين بتونس، حيث اعتبروا هذا التقارب تهديدا لسلامتهم واستقرارهم، وما زاد الطين بلة هو تحرك شيوخ قبائل المغرب الأوسط وعلى رأسهم عبد القوي أمير قبيلة توجين[7] الزيانية، وبعض أولاد منديل بن عبد الرحمن[1] أمراء

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر العبر ودوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة بولاق المصرية، 1284هـ ، ج7 ص 78 .

[2] – ينظر حوله، شاكر مصطفى، دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، ط1، 1193، ص59.

[3] – ينظر حوله، ابن خلدون العبر ، المصدر السابق ج7، ص ص 162-163.

[4] – ينظر الزركشي تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المصدر السابق، ص163.

[5] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر المصدر السابق ، ج7 ص 89 ،يحي بن خلدون، المصدر السابق ،ج1،ص205

[6] –هناك تضارب في آراء المؤرخين فيما يخص السنة التي تمت فيها الاتصالات بين الطرفين، فعبد الرحمن ابن خلدون يرى أنها تمت سنة 637هـ-1239م، بينما يذهب أخوه يحيى إلى أنها تمت سنة 639هـ/1241م، أما ابن عذاري المراكشي فيرجعها إلى سنة 460هـ/1241م، ينظر عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص89، يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص205، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ج5، ص360.

[7] –بنو توجين، كانوا من ألد أعداء بني عبد الواد مما جعل دولة بني عبد الواد أو بني زيان تجتاح أراضيهم من حين لآخر، كانوا يتواجدون في عدة مناطق مثل منطقة التيطري، أراضي صنهاجة،

قبيلة مغرواة[2] الزيانية، حيث اتصلوا بأبي زكرياء الحفصي وحرضوه على التحرك نحو تلمسان[3] وحينها أعد أبو زكرياء الحفصي حملة خرج بها من عاصمته تونس في شهر شوال (699هـ/1241م) نحو تلمسان، وجهز لهذه الحملة جيشا ضخما[4] وصل به إلى أسوار المدينة في نهاية شهر محرم (641هـ/1242م)[5].

أما بالنسبة ليغمراسن فقد أفلت من قبضة الحفصين، ولجأ إلى الجبال المجاورة لتلمسان مع عائلته ومجموعة من أنصاره[6] تاركا عاصمته في يد أبي زكرياء الذي عرض حكمها على أفراد بني زيان وبني حفص، لكن أحدهم لم يجرء على ذلك في وجود

الونشريس وإقليم السوس، ينظر حول ذلك ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ،ج7، ص ص 318-319.

[1] – ينظر حول ذلك، ابن خلدون، العبر، ج7، ص64 كذلك، Belahamisi (M)، Histoire de Mazouna (des origines a mosjours) S.N.E.D Alger, 1981 pp 25-29.

[2] – ينظر عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ،ج7، ص50 التنسي، المصدر السابق ، ص118.

[3] – عن تعداد هذا الجيش ينظر ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، المصدر السابق ،ص361، ابن قنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص109، الزركشي تاريخ الدولتين،المصدر السابق ، ص09.

[4] – لقد تضاربت الروايات حول تاريخ وصول الحملة، فحسب كل من يحيى ابن خلدون وأخيه عبد الرحمن فقد كان وصولها في شهر محرم سنة 640هـ/1242م، بينما ذكر المراكشي أن وصول الحملة أمام تلمسان كان في شهر ربيع الأول سنة 640هـ/1242، ويبدو أن الرأي الأول أقرب إلى الصواب باعتبار أن الحملة الحفصية حسب الرأي الثاني تكون قد استغرقت حوالي ستة أشهر لتصل من تونس إلى تلمسان، وهو مالا يتفق مع المسافة الفاصلة بين الدولتين خصوصا وأن هذه الحملة لقيت كل التسهيلات بانضمام قبائل أخرى.

[5] – هناك اختلاف حول تحديد تاريخ دخول أبي زكريا الحفصي تلمسان، على أن هناك من يرى أن تاريخ الدخول إلى تلمسان تم سنة 640هـ/1242، ينظر حول ذلك يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205، الزركشي، تاريخ الدولتين، ص29، التنسي، المصدر السابق ، ص118.

[6] – الزركشي، المصدر السابق، ص29.

يغمراسن وبالتالي دخل في تفاوض انتهى بعقد صلح مع والدة يغمراسن "سوط النساء" نيابة عن ابنها.[1]

وعليه يتضح، أن الولاء الزياني الحفصي يبدأ مع هذا الاتفاق الشهير الذي تم بين والدة يغمراسن "سوط النساء" وأبي زكرياء الحفصي، حيث يذكر في هذا الإطار أن يغمراسن أرسل والدته إلى أبي زكريا الحفصي لتقديم مراسيم البيعة نيابة عنه، وقد قبلها أبي زكرياء راضيا عن ولدها، فاغتنمت والدة يغمراسن يومئذ هذه الفرصة وقدمت للسلطان اقتراحا يتضمن طلب الإعفاء عن يغمراسن، والسماح له بالعودة إلى رئاسة قومه من بني عبد الواد أو بني زيان تحت طاعة الخليفة، فعقد لها أبي زكريا بذلك كله، وأذن بعودة يغمراسن إلى تلمسان مقابل الولاء والتبعية السياسية وذلك من خلال التصرف في أهلها وأموالها نظير مواقفه العدائية لبني عبد المؤمن في مراكش[2] وقبل عودة أبي زكرياء الحفصي إلى بلاده، ولأنه كان يدرك ما كان يكنه يغمراسن من الحقد والضغينة للحفصين فأقطع القطائع حول تلمسان، وأحدث إمارات في توجين ومغراوة ومليكش، وقلد كل من عبد القوي بن عطية التوجيبي، والعباس بن منديل المغراوي ومنصور المليكشي ملوكا منافسين ليغمراسن[3]، وجعلهم يراقبونه، فكانوا بمثابة السد الحصين أمامه والشوكة في ظهره ليعيقنه عن التحرك نحو الشرق.[4]

---

[1] – ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6، ص ص 80-81.

[2] – ابن خلدون (يحيى بن محمد) ، المصدر السابق ، ج1، ص205، التنسي،نظم الدر، المصدر السابق ، ص118.

[3] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج1، ص22.

[4] –خالد بلعربي، لدولة الزيانية في عهد بغراسن دراسة تاريخية وحضارية 633هـ-681هـ /1235م-1282، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2011، ص154

ولما علم خليفة مراكش[1] السيد أبو الحسن (640هـ-646هـ/1242-1248م) بأمر هذه المعاهدة التي تمت بين تونس[2] وتلمسان[3] "استاء من ذلك، وعزم على تأديب يغمراسن وصده عن وجهته هذه، فخرج في جيش كبير شارك فيه بالأفراد والعتاد وقبائل"[4] أخرى عربية وموحدية، واتجه بهذا الجيش نحو مدينة تلمسان (645هـ/1247م)، لكن أبا يحيى يغمراسن لم ينتظر وصوله، بل خرج إليه، وفجأة في الطريق بالقرب من قلعة تامزيزدكت[5]، ثم تحصن بها ينتظر وصول الجيش الموحدي، وبعد حرب دامية بين الطرفين، كان النصر حليفا ليغمراسن وهزيمة الجيش الموحدي هزيمة ثقيلة سنة 646هـ/1428م، أثرت على معنوياتهم وحدت من شوكتهم أمام القبائل المختلفة بالمغرب

---

[1] -ينظر حولها، عبد المنعم الحميري، المصدر السابق في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975، ص540.

[2] - ينظر حولها، الحميري، المصدرنفسه ،ص143.

[3] - ينظر حولها، الحميري، المصدر نفسه ، ص - ص 143-145، الإصطخري، المصدر السابق ، ص76.

Marcais (G) Tlemcen ville d'art et d'histoire 2eme congres de la fondation des sociétés sarants de l'Afrique Algérienne, Alger, 1936, p31.

Barges (L.G) Tlemcen ancienne capitale de royaume de ce mon satoporaphe, son histoire, Paris, 1859, p7.

[4] - عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق، ج1، ص23.

[5] -يطلق الحسن الوزان على هذا الحصن قصر تمزيزدكت، بينما يسميه التنسي حصن "تامزيزديت" أما صاحب البغية فيذكرها بجبل تامزجزجت، ويقع جنوب وجدة (20كلم) وكذلك سماه صاحب الذخيرة السنية بـ"تامزجردت" ونعته ابن الأعرج ب"تامزدكت"، وهي كلمة متشابهة متقاربة تدل على معنى واحد، ينظر الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983، ج2، ص11، التنسي المصدر السابق ص118. ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص206، ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص78 ابن الأعرج، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، الخزانة الحسنية، الرباط، ج3، رقم 170، ورقة 37 وجه.

الأقصى[1] ، وقد هلل بنو عبد الواد أو بنو زيان لهذا الانتصار، كما فرح له بنو حفص، وقد شجع هذا الانتصار يغمراسن إلى أن يفكر في غزو مناطق أخرى من الجهة الغربية لسلطته، وأخذ الأمل يراوده في أن يحل محل الموحدين في عرشهم وممتلكاتهم والاستيلاء على المغرب الأقصى[2] .

و بوفاة أبي زكرياء الحفصي ليلة الجمعة 23 جمادى الأخير سنة 647هـ/1249م[3]، فإن بني عبد الواد أو بني زيان بقو متمسكين بولائهم للحفصيين، حيث كانوا يرسلون أبنائهم وكبار رجال دولتهم لتأكيده[4]، كما استمرت الإمارات التي أحدثها الحفصيون بالمغرب الأوسط على ولائهم لهم، غير أن المستنصر الحفصي[5] سرعان ما اضطر إلى تجهيز حملة ضد مدينة مليانة لإعادة إخضاعها لنفوذ الحفصي سنة (659هـ/1260م)[6]، لم يلبث الزيانيون أن استولوا عليها سنة (664هـ/1265م)[7]، وكذلك استغل الزيانيون الظروف التي طرأت على الدولة الحفصية وخاصة الحملة الصليبية التي شنها لويس التاسع[8] (Luis 9) ملك فرنسا على مدينة تونس سنة

---

[1] – خالد بلعربي، المرجع السابق، ص22.

[2] – ابن الأعرج، المصدر السابق ، ج3، ورقة 37.

[3] – الزركشي، المصدر السابق ، ص164.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ج7، ص90.

[5] – المستنصر الحفصي، هو أبو عبد الله المنتصر بن أبي زكرياء يحيى بويع على بونة بعد وفاة أبيه وجده بتونس يوم الثلاثاء من شهر رجب من سنة 647هـ، ومات يوم عيد الأضحى بمرض متطاول عام 675هـ، ينظر الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص164.

[6] – ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، المصدر السابق ص96.

[7] –خالد بلعربي، المرجع السابق، ص155.

[8]– ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص ص 668–669

(669هـ/1270م) وحاولوا التخلص من ولائهم النهائي للحفصيين وتوسيع نفوذهم في المغرب الأوسط[1]إلا أن جلاء هذه الحملة عن تونس زاد من أهمية الدولة الحفصية.

وبعد وفاة الخليفة المستنصر (675هـ/1277م) خلفه ابنه المولى أبو زكريا يحيى[2]، وقد خرج عليه أبو إسحاق إبراهيم الذي كان قد فرّ إلى الأندلس أيام المستنصر فعاد إلى تونس، وبويع بالخلافة سنة 678هـ/1279م[3]، إلا أن مدة حكمه لم تدم طويلا، حيث خلفه ابن أبي عمارة المسيلي[4] الذي استولى على الحكم 681هـ/1282م، وقتل أبا إسحاق، بينما فر أبا زكرياء يحيى بن أبي إسحاق نحو تلمسان، والتجأ إلى يغمراسن بن زيان، وبقي بها يتحين الفرص لاستعادة الملك[5]، إلا أنه، وفي سنة 683هـ/1284م تمكن أبو حفص عمر بن أبي زكرياء الواثق من القضاء عليه ، واستعاد ملك أبيه الواثق، وفي هذه الأثناء استولى أبو زكرياء الحفصي على مدينة بجاية وأعلن نفسه أميرا عليها[6]، وبذلك انقسمت الدولة الحفصية إلى شطرين، القسم الشرقي وعاصمته تونس، والقسم الغربي وعاصمته بجاية.

وعليه يمكن القول أن سياية يغمراسن مع جيرانه الحفصيين كانت في أغلب فتراتها صورة من الصراع الدائم، وذلك راجع لاختلاف أفكارهما وأهدافهما، فقد كان يغمراسن يريد

---

[1] – المصدر نفسه، صفحة نفسها.

[2] – ينظر حوله الزركشي، المصدر السابق ، ص165.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق ،ج6، ص 669.

[4] – هو أحمد مرزوق بن عمارة الداعي، بويع يوم الخامس عشر ربيع الثاني من سنة 681هـ، توفي بمرض أصابه يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة 683هـ وينظر الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص165.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص699.

[6] – يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص209، بـ لحـ سنإبراهيم، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى القرن 9هـ/13 إلى 15م، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2004–2005، ص ص 31–32.

التوسع شرقا، وبنو حفص يردون التوسع غربا، وهذا ما جعل المجابهة قوية بينها، غير أن طابع الصراع هذا سرعان ما أخذ يتبدد ليحل محله طابع الهدوء النسبي في العلاقات بينهما، حيث عمل السلطان الزياني على تصفية الجو السياسي مع جيرانه بني حفص، ويظهر ذلك جليا من خلال ربطه لصلة قوية معهم عن طريق المصاهرة، إذ أرسل وفدا هاما إلى تونس ليخطب ابنة أبي إسحاق إبراهيم (678-683هـ/1279-1284م) لابنه الأمير وولي عهده أبي سعيد عثمان[1]، لكن شاءت الأقدار أن يتوفى يغمراسن برهيو بوادي الشلف، بعد أن استقبل موكب العروس بمليانة سنة (681هـ/1284م) بحفاوة بالغة تليق بمقامها تكريما لها وإرضاء لأبيها، وقد كان خروجه لحمايتها من غارات قبيلتي توجين ومغراوة[2] رغم كبر سنه الذي تجاوز السبعين سنة[3]، هذا بالإضافة إلى الهدايا المتبادلة فيما بينهم والسفارات... وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون قائلا "كانت الدعوة الحفصية بإفريقية قد انقسمت بين عواصمهم في تونس وبجاية وأعمالها، وكانت التخوم بينهما بلد عجيسة وشتاتة، وكان الخليفة بتونس الأمير أبو حفص بن زكريا الأول له الشفوف على صاحب بجاية والثغور الغربية بالحضرة، وفي عهده بايعه بنو زيان، وأصبحوا يدعون له على منابرهم باسمه، وكانت لهم مع الأمير أبي زكريا الأوسط

---

[1] – ينظر حوله، التنسي المصدر السابق ، ص129، ابن خلدون، العبر، ج7، ص671.

[2] – ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغراء، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص18، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص115.

[3] –ينظر برو نشفيك روبير، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، ج1، ص116، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص24، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص56.

صاحب بجاية وصلة لمكان الصهر بينه وبينهم[1] ويعني بذلك المصاهرة التي تمت بين الأمير عثمان بن يغمراسن بن زيان والأمير الحفصي صاحب بجاية.

وبعد وفاة يغمراسن، خلفه ابنه عثمان الزياني[2] (681-703هـ/1283-1303م)، وكانق د اتبع سياسة مسالمة مع المرنيين عملا بوصية أبيه رغم علاقة المصاهرة التي كانت بين الملك الزياني وأبي إسحاق إبراهيم الحفصي[3]، ومما جاء في وصيته ما يلي:"يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستعلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم، فإياك أن تحاربهم، فإن مددهم موفور ومددك محصور ولا يغرنك أني كنت أحاربهم، ولا أنكص عن لقائهم لأني كنت أخشى معرة الجبن عندهم بعد التمرس بهم، والاجتراء عليهم، وأنت لا يضرك ذلك، لأنك لم تحاربهم ولم تتمرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا إليك، وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس ليستفحل بها ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك"[4].

---

[1] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص188، التنسي، نظم الدر والعقبان ، ص ص 175-176، الزركشي، تاريخ الدولتين ، ص49، يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص116.

[2] – ينظر حوله، التنسي، المصدر السابق ، ص129، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص ص 208-209، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص ص 184-190.

[3] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواد ولد سنة 631هـ، دخل تونس يوم الثلاثاء خامس ربيع الأخيرسنة 678هـ، وجددت له البيعة يوم الخامس عشر ربيع الثاني من سنة 681هـ، توفي بمرض أصابه يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجة 683هـ، ينظر الزركشي، المصدر السابق، ص165.

[4] – السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب، 1954، ج3، ص56، محمد مكيوي العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ =قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشيفني الأول (633هـ-1236م/737هـ-1337م) دكتوراه دولة في الفنون، إشراف الغوثي بسنوسي قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص88.

ومما يفهم من نص هذه الوصية، أن بني مرين أصبحوا عدة وعددا أو قوة لا قبل للعبد الواديين أو الزيانيين بها، وإن قتال يغمراسن لهم كان محتما عليه، ولذلك نجده يحذر ابنه من مواجهة بني مرين في معركة واحدة، وينصحه بالجؤ إلى الدفاع عند مهاجمتهم له، واللجوء إلى الحصون، وبالمقابل يحثه على تقوية جهازه الاقتصادي والبشري بالتوسع شرقا على حساب الحفصيين، وبالتالي يعمل على تقوية جهازه الحربي، وتدعيمه لكي يستطيع فيما بعد مواجهة المرينيين بحشود تعادل حشودهم، ونجده ينصحه زيادة على ذلك باتخاذ معقل لذخيرته في الثغور الشرقية البعيدة عن العدو المريني.

إن هذه العناصر أو النقاط التي اشتملت عليها وصية يغمراسن كانت هي الأساس أو القاعدة التي بنيت عليها استراتيجية الدولة العبد الوادية أو الزيانية لمدة طويلة من عمرها، حيث أن، ومنذ أن تولى عثمان السلطة سارع إلى مهادنة بني مرين[1]، وبالمقابل كثف بنو عبد الواد أو بنو زيان نشاطهم في القسم الغربي من الدولة الحفصية عملا بالوصية[2] التي تركها يغمراسن بن زيان لابنه عثمان حيث توجه هذا الأخير لتأديب الإمارات الشرقية الموالية للحفصيين[3]، وتبعه في ذلك والده أبو حمو موسى الأول وأبو زيان[4].

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر ،المصدر السابق، ج7، ص190.

[2] – هي الوصية التي تركها يغمراسن لابنه عثمان يوصيه فيها بالجنوح إلى السلم مع بني مرين وتوسيع أرجاء المملكة شرقا، ينظر المصدر نفسه ، ج7، ص ص 189–190.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ، ج7، ص ص 189–190.

[4] – نفسه، ج7، ص ص 201–215.

وأمام هذا المخطط الزياني، سارع محمد بن أبي زكرياء يحيى بن المستنصر المشهور بأبي عصيدة[1] بعد توليه الحكم إلى إعادة بسط النفوذ الحفصي على القسم الغربي، وأيد الحصار الذي ضربه المرينيون على تلمسان (698هـ/1298م)[2]، فاستغل الزيانيون هذا الموقف، وأعلنوا عن إنهاء ولائهم للحفصين نهائيا.

وهكذا، فقد ساعدت الظروف العامة التي ميزت بلاد المغرب الإسلامي الزيانيون في محاولة إنهاء ولائهم التام للحفصين، كانشغال المرنيين بمشاكلهم الداخلية عقب رفع الحصار بصفة كاملة عن تلمسان (سنة 732هـ/1331م)، وانشغال الحفصيين بمشاكلهم الداخلية وخلافاتهم، والاضطرابات التي كانت تخص أطراف دولتهم الغربية[3]، حيث تمكن أبو حمو موسى الزياني[4] (707هـ-718هـ/1308-1318م) في ظل ذلك من الاستيلاء على مدينتي دلس والجزائر سنة (712هـ/1312م)، في حين فشل أبو يحيى زكرياء اللحياني[5] حاكم تونس من استعادة بجاية سنة (711هـ/1311م) مما دفع أبي يحيى أبو

---

[1] – هو السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر المشهور بأبي عصيدة، بويع سنة 693هـ وتوفي بمرض الاستسقاء يوم الثلاثاء عشر ربيع الأخر سنة 709هـ، لم يخلف ابنا ذكرا ينظر الزركشي، المصدر السابق، ص165.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق ، ج7، ص177.

[3] –ابن القنفذ، الفارسية، المصدر السابق ،ص ص 156-160.

[4] –هو السلطان أبو حمو موسى الأول ابن السلطان أبي سعيد عثمان بن بغمراسن بن زيان ولد سنة 665هـ/1266م، وبويع بتلمسان يوم وفاة أخيه السلطان أبي زيان الأول يوم الأحد 21 شوال 706هـ/26 أفريل 1307م، كان شجاعا شديدا في غير قساوة، لينا في غير ضعف حازما صارما، وهو أول ملك زناتي الذي رتب مواسيم الملك، وهذب قواعده، ينظر التنسي، نظم الدر والعقبان المصدر السابق ص ص 181-182، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 212-213، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ، ج7، ص98، محمد مكيوي، المرجع السابق ص98.

[5] – تولى الإمارة سنة 711هـ، وتنازل عن العرش لصالح ابنه سنة 717هـ، ينظر الزركشي، المصدر السابق ، ص 166، محمد مكيوي، المرجع السابق، ص34.

بكر الحفصي حاكم المنطقة الغربية من الدولة الحفصية إلى توجيه السعيد بن يخلف رسولا إلى أبي حمو الزياني لتوطيد العلاقات بينهما ضد اللحياني.[1]

وقد تعددت محاولات الزيانيين في بسط نفوذهم على القسم الغربي من إفريقية في سبيل استكمال سيطرتهم على المغرب الأوسط، وقد تواصلت هذه الحملات، وتكررت حتى استولى المرينيون على تلمسان بعد حصارها سنة(737هـ/1337م)[2]، إلا أنها، وفي كل مرة كانت تفشل لعوامل منها انعدام التنظيم والتدريب الحازم في الجيش الزياني وضعف وسائل الحصار.[3]

ولم يكن عهد السلطان أبي تاشفين الزياني[4] مختلف عن عهد سابقيه، فقد استأنفت الحملات الزيانية على الجزء الغربي من الدولة الحفصية، وقد شجعه على ذلك لجوء بعض شيوخ القبائل إلى تلمسان مصطحبين معهم عبد الواحد بن محمد اللحياني الحفصي حاكم مدينة المهدية[5] المنفصل عن السلطة في تونس.

وللعلم، فقد وضع أبو تاشفين الزياني تحت تصرف هؤلاء الشيوخ جيشا بقيادة موسى بن علي الكردي[6]، فالتقى بالجيش الحفصي الذي كان يقوده أبو يحيى أبو بكر الحفصي

---

[1] – المرجع نفسه، ص ص 33-34-35.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص ص 744-745.

[3] – التنسي، المصدر السابق، ص143، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص212.

[4] – ينظر حوله، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص139، محمد مكيوي، المرجع السابق، ص102.

[5] – ينظر حولها، الحميري، المصدر السابق ، ص 562.

[6] – ينظر حول ذلك، محمد مكوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية، المرجع السابق ،ص105.

برغيس قرب مر ماجنة[1] في شهر شعبان سنة (724هـ/1323م)، وقد أسفرت المعركة عن انهزام الجيش الزياني وفرار قائده إلى تلمسان، وبالتالي فشلت الحملة في الاستيلاء على مدينة بجاية[2].

ويبدوا أن السلطان أبو تاشفين الزياني لم يتقبل هذه الهزيمة، فجهز مرة أخرى حملة خاصة بعدما وفد عليه شيوخ من قبائل سليم[3] يستنجدون به ضد الحفصيين، وقد أوكل مهمة قيادة الحملة لإبراهيم بن عبد الرحمن الحفصي[4] وفي هذه المرة تمكن الجيش الزياني من تحقيق الانتصار بالقرب من مدينة قسنطينة، كما تمكن إبراهيم بن عبد الرحمن الحفصي بمساعدة قبائل سليم من دخول تونس واستولى عليها في (شهر رجب سنة 725هـ/1324م)، غير أن هذا لم يدم طويلا، فسرعان ما استعادها أبو يحيى أبو بكر الحفصي في شهر شوال من نفس السنة 725هـ/1325م.[5]

وللإشارة، فقد تواصلت الحملات الزيانية على الدولة الحفصية في سنة (726هـ/1325م)، وفي سنة (728هـ/1327م)[6]، ومن أهم التحرشات والغارات التي وجهها عبد الرحمن أبو تاشفين الأول على حساب أملاك الحفصين الغارة التي قام بها سنة 726هـ/1326م، حيث توجه موسى بن علي بالجيوش، فنزل قسنطينة، وأفسد

[1] –مرماجنة، مدينة داخلية بإفريقية، تقع بين بونة وقسنطينة، بينها وبين مجانة مرحلتان ينظر الحميري، المصدر السابق ، ص 539، مؤلف مجهول، الاستبصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1968، ص 262،

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص ص 763-764.

[3] –عن قبائل سليم، ينظر يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق ج1، ص217.

[4] – تولى الحكم في رجب سنة 725هـ/1324م إلى شوال سنة 725هـ/1325م، ينظر ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق على المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص ص 17-18.

[5] – نفسه، ص18.

[6] – يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج1، ص218.

بأرضها الزرع وعاد إلى وادي بجاية، فاختط حصن تامزيزدكت، وقسم مسافاتها على الجيش، فبنيت في أربعين يوما، وأمر السلطان بحمل الزرع إليها من جميع البلاد الشرقية، فامتلأت مخازنها، وعندما اشتد الحصار على أهل بجاية، فغلت أسعارهم ووهنت قواهم، فاستغاثوا بسلطانهم أبي يحيى فأجابهم بإرسال جميع قواعده بجيوشه، حيث التقى الجمعان بالأربعاء من الوادي الكبير فانهزم الحفصيون، ومات ضافرهم الكبير، واستبيحت محلاتهم جملة[1].

ولما غضب السلطان من قائده موسى بن علي[2]، ونكب به، أرسل يحيى بن موسى السنوسي في العساكر إلى إفريقية ومعه القواد، فعاثوا في نواحي قسنطينة، ووصلت غارتهم إلى عنابة، وبذلك تمكنت الجيوش الزيانية من محاصرة قسنطينة والوصول حتى بونة دون أي رد فعل حفصي، حتى أن أبا تاشفين الزياني انتقل بنفسه سنة(729هـ/1328م) إلى نواحي بجاية لمعاينة الحصار المضروب عليها عن قرب[3].

وفي سنة(729هـ/1328م)، وفد حمزة بن عمر على السلطان أبي تاشفين طالبا النجدة، ووفد معه عبد الحق بن عثمان من بني مرين، فبعث السلطان معهم جميع قواده بجيوشه بقيادة يحيى بن موسى، فلقيهم السلطان أبو يحيى بالرياس من ضواحي بلاد هوارة، وتخلى عنه أولاد مهلهل الذين كانوا معه، وانكشفت جموعهم واستولوا على

---

[1] – بنى أبو تاشفين في حركته الأولى سنة 721هـ/1322م حصنا قرب بجاية، ثم اختط مدينة قرب بجاية أيضا أسماها تامزيزدكت في حملته الثانية 726هـ/1326م، ينظر يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص ص 135–137، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص ص 221–223.

[2] – لمزيد من المعلومات عنه ينظر ترجمته في الصفحة12، تهميش رقم 6.

[3] – يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص218.

محلاتهم[1] بما فيها من الحريم، وعلى ولديه أحمد وعمر، وأرسلوا بهما إلى تلمسان، ولحق السلطان أبا يحيى بقسنطينة، وقد أصابته بعض الجراح في ميدان المعركة، واستمر يحيى بن موسى وابن عمران في سيرهما إلى تونس[2] فاستولوا عليها ويعود يحيى بن موسى في جموع زناتة بعد أربعين يوما من دخولها، حيث عاد إلى تلمسان وبلغ الخبر السلطان أبا يحيى بعودة زناتة، فتوجه إلى تونس، وأبعد عنها ابن أبي عمران بعد أن كان قد أوفد من بجاية على ملك المغرب ابنه أبو زكريا يحيى ومعه أبو محمد بن تافراكين[3] من مشيخة الموحدين مستنجدا بأبي تاشفين الذي تمكن من دخول بجاية، لكنه سرعان ما أقلع عنها وولي ابن مزروع من مشيخة بني عبد الواد على الجيش بتامزيزدكت، وأمره ببناء حصن أقرب من بجاية عن تامزيزدكت فبناه بالياقوته في أعلى الوادي تجاه بجاية وشدد عليها الحصار حتى تدخل السلطان أبو الحسن المريني الذي فك عنها الحصار[4].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن الحملات المتعددة للجيش الزياني قد مكنتهم ولأول مرة من دخول تونس في شهر صفر سنة(730هـ/1327م)، وتسليم مقاليد الحكم لابن أبي عمران[5] غير أن السلطان الحفصي سرعان ما استعاد عاصمته في شهر رجب من نفس السنة[6]، ولوضع حد لها استغاث هذا الأخير بأبي سعيد المريني لدفع

---

[1] – يحيى ابن خلدون،بغية الرواد، المصدر السابق، ج1، ، ص138، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص224.

[2] –محمد بن أبي عمران، أمير حفصي، جاء من طرابلس مطالب بعرش تونس، ينظر عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص ص 760–764.

[3] –واحد من مشيخة الموحدين، ينظر عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ج7، ص224، يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق ج1، ص193.

[4] –يحيى ابن خلدون، بغية الرواد المصدر السابق ، ج1، ص ص 193–104.

[5] – هو محمد بن أبي بكر صهر ابن اللحياني الحفصي واشتهر بابن أبي عمران، وكان يعيش في البلاط الزياني منذ سنوات ينظر الزركشي، تاريخ الدولتين ، المصدر السابق ص65.

[6] –بلحسن إبراهيم، المرجع السابق، ص36.

خطر بني عبد الواد أو الزيانيين، وعرض عليه عقد زواج بين ابنه أبي الحسن[1] وإحدى الأميرات الحفصيات، فاستقبل السلطان المريني هذا الوفد أحسن استقبال، ووقف على تلبية طلب أبي يحيى وعلى عقد الزواج وكان ذلك من دون شك فرصة نادرة أراد بنو مرين اغتنامها ليحققوا حلما لطالما راودهم، وهو القضاء على دولة بني عبد الواد، والاستيلاء، على المغرب الأوسط[2].

وبناء عليه فقد بعث أبو سعيد وفودا إلى أبي عبد الرحمن بن أبي تاشفين الأول يطلب منه الكف عن مهاجمة بلاد إفريقية والإقلاع عن حصار بجاية، فكان الجواب بالرفض، وفي تلك الأثناء توفي السلطان المريني وخلفه إبنه أبو الحسن فأعاد الطلب الذي أقره أبوه شافعا للسلطان الحفصي، غير أن رد السلطان أبي تاشفين كان أسوأ من الأول، فرد عليه حيث قال له "كف عنهم سنة واحدة ليسمع الناس أني دافعت عن صهري ويقدروا قدري"[3]، غير أن رد الأمير العبد الوادي أو الزياني كان سلبيا، حيث أساء القول لوفد السلطان أبي الحسن، وأفحش بمجلسه بعض السفهاء في الرد عليهم والنيل من مرسلهم[4]، وعندئذ لم يبق أمل في استمرار السلم بين الدولتين، وشرع أبو الحسن بعد الهجوم على المغرب الأوسط، يتأهب للحرب.[5]

---

[1] – أبو الحسن المريني، تولى الحكم من سنة 331هـ/1331م إلى سنة 749هـ/1348م ينظر ابن مرزوق، المصدر السابق-ص 403-404 .

[2] – السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 123.

[3] – نفسه، ج3، ص123.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون،العبر، المصدر السابق ، ج7، ص226، التنسي،نظم الدر، المصدر السابق، ص145، يحيى ابن خلدون، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، المصدر السابق ،ج1، ص218.

[5] – التنسي، نظم الدر والعقبان المصدر السابق، ص146.

وأمام هذا الرفض المتجدد من السلطان الزياني أبي تاشفين لطلب السلطان المريني، غادر السلطان أبي الحسن المريني في سنة 735هـ/1335م مدينة فاس على رأس حشود ضخمة، وقد اكتسح في طريقه مدن بني عبد الواد أو بني زيان كوجدة وندرومة وهنين، ونزل تسالة بالغرب من سيدي بلعباس، ثم أرسل إلى حليفه الحفصي يدعوه إلى مهاجمه معسكر الزيانيين ببجاية للاستيلاء على حصن الزيانيين المعبأ يومئذ بالأقوات والجند، وقد ألحق بها ومن معه من الجند الحفصيين كل التدمير والتخريب، فنسفوها نسفا، وتركوها خرابا، حيث نهبوا كل ما جمعه فيها السلطان أبو حمو موسى الأول وولده أبو تاشفين من الأقوات و الأرزاق، وحول ذلك يقول عبد الرحمن بن خلدون "بحر لا يدرك ساحله، وذلك أن السلطان أبا حمو كان قد أمر بنقل العمال بسائر البلاد الشرقية منذ أن أنشأ مدينة البطحاء ونقل أعشار الحبوب وسائر الأقوات إليها، وسار على نهجه وخطاه في ذلك ولده من بعده أبو تاشفين الأول إلى أن حلت بهم هذه الناظرة"[1].

ولم توشك سنة 736هـ/1336 تنتهي، حتى تمكن السلطان أبو الحسن المريني من بسط نفوذه على جميع الممتلكات الشرقية لدولة بني زيان، وقد كان في تلك الأثناء يشرف بنفسه على مقاتلة بني زيان، وقد سخر لهذه الحرب أحدث المعدات أنداك، ولم يتمكن المحاصرون بالمقابل من حمل الجيش المريني على فك الحصار على المدينة حسب قول ابن خلدون:"أدار عن البلد سياجا من السور ونطاقا من الخندق، ونصب الآلات والمجانيق من وراء خندق، وشيد قبالة كل برج من أبراج البلد بركا على ساق خندقة ينضح رماته بالنبل رماتهم، حتى شيدوا برجا آخر أقرب، وترتفع شرفاته فوق خندقهم، ولم يزل يتقرب بوضع من حد إلى ما بعده حتى اختطفها من قرب على مسافة خندقهم،

---

[1] -عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج1، المصدر السابق ، ج7، ص227، مكيوي، المرجع السابق، ص108.

وتماضع المقاتلة بالسيوف من أعاليها، وقربت المجانيق إلى زحمها ودكها، فنالت من ذلك فوق الغاية"[1].

وفي 22 رمضان 737هـ/1337م، اقتحم الجيش المريني العاصمة الزيانية، وملكها عنوة، وقد انحاز أبو تاشفين، وثلاثة من أبنائه ووزيره موسى بن علي الغزي إلى باب القصر يقاتلون دون الحرم والأولاد إلى أن قتلوا جميعا[2] فكان ذلك أول انتصار هام حققه بنو مرين بالمغرب الأوسط، وظهر أبو الحسن المريني بمظهر الملك القوي، وذاع صيته في الأفاق، وفي المقابل أفل نجم بني زيان وانتهى دورهم التاريخي الأول.[3]

وعليه يمكننا القول، بأن هذا التحالف أو هذه الاتفاقية التي جمعت بين الحفصين والمرينين، قد أنهت متاعب الدولة الحفصية، وهو ما جعل سلاطينها يتفرغون لإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي، وذلك بتأديب القبائل المتحالفة مع الزيانيين، وإخضاعها إلى صف الدولة الحفصية[4]، وفي المقابل اختفاء الحملات الزيانية نتيجة سيطرة بني مرين على عاصمتهم تلمسان بقيادة السلطان أبو الحسن المريني (737هـ-749هـ/1336-

---

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون،العبر، المصدر السابق ، ج7، ص533، مكيوي،العلاقات السياسية والفكرية المرجع السابق ص108.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص299، التنسي، نظم الدر والعقبان المصدر السابق، ص146، يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج1، ص141، مكيوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية المرجع السابق، ص09.

[3]-كان ذلك في رمضان 737هـ/02 مايو 1337، عن ذلك ينظر عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص536، بينما يذكر صاحب كتاب نظم الدر والعقيان أنه كان في يوم 22 رمضان 737هـ/ أفريل 1337.

[4] – من الإمارات شبه المستقلة، والتي كانت منتشرة في البلاد الحفصية، بنو ثابت وعاصمتهم طرابلس، وبملول في توزر وبنو خلف في نفطه، وبنو مزنى عاصمتهم بسكرة، ينظر ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج6، ص ص 779-785.

1348م)[1]، وقد اغتنم الحفصيون هذه الظروف لتدعيم أركان دولتهم وتقويتها، لكن سرعان ما انقسمت الدولة الحفصية ما بين سنة (754هـ-758هـ/1353-1356م)[2]، كما انشغل الزيانيين بدورهم بإصلاح أمور بلادهم الداخلية، وقد ساعدت هذه التغيرات السياسية على ظهور مواقف سياسية جديدة، حيث عقد أبو إسحاق إبراهيم الحفصي معاهدة سلام مع أبو حمو موسى الزياني[3]، وقد توج هذا التقارب بزيارة قام بها الأمير أبو عبد الله الحفصي إلى تلمسان في الثامن من جمادى الثانية سنة (764هـ/1362م)[4].

وللإشارة، فقد انتهز أبو عبد الله الحفصي[5] فرصة هذا التقارب من خلال مصاهرته للزيانين لتصدي لابن عمه أبي العباس، وانتهى الصراع بينهما باستيلاء هذا الأخير على بجاية في نهاية سنة (667هـ/1365م)[6]، وتمكن من توحيد الدولة، وبالتالي انشغل الحفصيون بتوطيد الأوضاع في بلادهم،بينما واصل بنوزيان في السياسة التي وضعها لهم يغمراسن ضمن وصيته[7]، وهذا ما نقف عليه في كتاب واسطة السلوك في سياسة

---

[1] – الزركشي، تاريخ الدولتين المصدر السابق ، ص94.

[2] – الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر محمد ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955، ج4، ص ص 67-68، مكيوي، المرجع السابق، ص36.

[3] –لم يرد نص الاتفاق المبرم بينهما، بل اقتصرت المصادر على القول بأنه اتفاق سلام عند الحديث عنه، ينظر عن ذلك، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج6، ص ص 776-777، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص29، ج2، ص ص123-125، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، 1979-ص97.

[4] – ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في عزة أسماء الرجال، القاهرة، 1970، ج2، ص 241.

[5] – صهر أبو حمو الزياني ومنافس أبي العباس الحفصي على الحكم، ينظر ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج6، ص ص 854-855.

[6] – نفسه، ج6، ص 760.

[7] – سبق الاشارة إليها ينظر أعلاه، ص10، تهميش 2.

الملوك لصاحبه السلطان أبو حمو موسى الزياني (760هـ-791هـ/1359-1389م) خلال سنة (776هـ/1374م)[1].

وبالرغم من كل شيء، فإن السلطان أبو حمو موسى الزياني[2]، فقد سعى إلى تحقيق هذه السياسة التي وضعها يغمراسن، ونفذها أحفاده من بعده متحينا الفرص الملائمة ومتابعا لأحوال الدولة الحفصية، حيث كان يلجأ إلى احتضان المعارضين والمنشقين عن بني مرين وبني حفص لاستعمالهم في الوقت المناسب، وكان يهدد بهم السلطة المركزية في كل من تونس وفاس.[3]

ومما زاد الطين بلة هو إغارته على المنطقة الشرقية المتاخمة لحدود الدولة الحفصية[4]، وحصاره لمدينة بجاية[5] وضرب خناقا محكما عليها، مما اضطر صاحبها أبا عبد الله محمد بن يحيى إلى التنازل له على المدينة، وخرج منها، وهو السبب الذي جعل بني حفص في السلطة المركزية تتوحد كلمتهم ضده لأنه في رأيهم تطاول على سيادتهم وأمنهم، وأصبح كيانهم يشجع طرف ضد طرف آخر في بيت الحاكم[6]، غير أن أبو حمو موسى الثاني، وفي الوقت الذي استطاع أن يصمد أمام الخصوم والأعداء وأن يبني حضارة ومدينة رفيعة المستوى لمدينة تلمسان، فشل في تربية ابنه وولي عهده، حيث سقط

---

[1] - محمد مكيوي، العلاقات السياسية والفكرية،المرجع السابق، ص37.

[2] -أبو حمو الزياني،707-1307/718-1318 ينظر لخضر عبدلي التاريخ الياسي والحضاري لدولة بني زيان عبد الواد-دارابن النديم للنشر والتوزيع وهران2011—ص168 .

[3] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 57.

[4] - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 151-160، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص268.

[5] - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 151، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص167-168.

[6] - يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج2، ص 182، عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني المرجع السابق، ج1، ص58.

في كمين أو مآمرة دبرها له أعداءه من بني مرين وحاكوا خيوطها في تلمسان، وبالضبط في بلاطه، فقد قاموا بتوسيع الخلاف القائم بينه وبين ولي عهده أبي تاشفين الثاني، وبعض مساعديه وإخوانه، وغذوا هذا الخلاف بتشجيع أبا تاشفين والنهوض ضد والده، وقد انتهى هذا باقتتال شديد سقط أثناءه أبو حمو موسى الثاني بفرسه على الأرض، فعجل أحد أنصار ابنه بقتله قبل أن يصل إليه، وكان ذلك سنة (791هـ/1390م)[1].

ولما توفي أبو حمو موسى الثاني، وثم استخلاف الأمير أبا تاشفين ابنه على العرش، شهدت الدولة الزيانية ظروفا داخلية صعبة ميزتها تلك الاضطرابات القبلية، والصراع على السلطة بين الأمير أبي تاشفين وبين أخيه أبي زيان من جهة، وتحرشات بني مرين وتدخلهم في شؤونها الداخلية، وذلك من خلال تقديمهم لكل طرف من الطرفين المتصارعين المدد والمساعدة اللازمة حتى يستطيع الوقوف في وجه عدوه الأخر، وهو ما يتضح فيما قدموه لأبي تاشفين من مساعدة ضد أخيه أبي زيان عندما استغاث بهم، وبالتالي دفعوه إلى رفع الحصار عن تلمسان والإفراج، واللجوء إلى الصحراء،، وكذلك دعمهم لأبي زيان، وإمداده بالجنود والعتاد ضد أخيه أبا تاشفين والسماح له بالتوجه نحو تلمسان، غير أن لما بلغ أبي زيان مدينة تازة، وصل خبر وفاة أبي تاشفين إثر مرض أصابه في (رمضان 795هـ/ 1392م) وهو ما جعل الدولة تدخل في مرحلة الضعف، حيث غلبت عليها المشاكل، وتأثرت جميع المجالات فيها بآثار المجهود العسكري الذي بذلته منذ نهاية القرن السابع الهجري/13م وتزامنت هذه الأعراض مع تولي حكام ضعاف مقاليد الحكم فيها.[2]

وفي المقابل، فإن الاستقرار الذي عرفته الدولة الحفصية منذ عهد السلطان أبي العباس أحمد (772-796هـ/1371-1395م) جعل السلطان أبا فارس عبد العزيز

---

[1] – يحيى ابن خلدون،العبر، المصدر السابق، ج1، ص58.

[2] –عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق –ج1 ص58 .

يتربص بالملوك الزيانين وينتظر الفرصة التي تمكنه من بسط نفوذه على بلاد المغرب الأوسط، حيث وفي سنة (827هـ/1423م) نهض بجيوشه في اتجاه تلمسان عازما على احتلالها بحجة أن سيرة السلطان الزياني عبد الواحد بن أبو حمو الثاني كانت غير محمودة.

وبالرغم من المقاومة التي أبداها السلطان الزياني عبد الواحد في مقاومة الهجوم الحفصي، لكنه هزم، وبالتالي قرر نتيجتها النجاة بنفسه وذويه، حيث فر إلى الجبال ثم التجأ إلى المغرب الأقصى، وحينها دخل السلطان الحفصي تلمسان في 13 جمادى الثانية سنة (827هـ1423م) فأقام بها مدة، ثم عقد للأمير أبي عبد الله محمد بن أبي تاشفين الثاني المعروف بابن الحمراء على المغرب الأوسط، ثم توجه إلى المغرب الأقصى قصد إخضاع سلطانه، ولما قرب من فاس بمرحلتين، أرسل إليه أبو العباس المريني هدية ثمينة ترمز للطاعة والولاء، ووعده بذكر اسمه على المنابر، فقبل أبو فارس ذلك منه، وعاد إلى بلاده بعد أن مد نفوذه على المغربين الأوسط والأقصى، ثم لحقته أيضا مبايعة صاحب غرناطة، وبذلك أصبح النفوذ الحفصي يهيمن على الغرب الإسلامي كله.[1]

وللتذكير، فقد بدأ السلطان محمد بن أبي تاشفين (ابن الحمراء) عهده بالطاعة والولاء لبني حفص، واستطاع بهذه السيرة والسياسة الحكيمة أن يتجنب ويلات الحرب، كما تمكن بحسن سلوكه وسدادة رأيه أن يجلب إليه محبة الرعية ويجمعها حوله وتحت سلطانه، غير أنه، وبمجرد ما شعر بالاستقرار والقوة، سارع إلى خلع الطاعة للحفصيين، وذلك بقطع الخطبة للسلطان الحفصي واستعد لمجابهته بتعبئة القبائل العربية والزيانية،

[1] – الزركشي، تاريخ الدولتين، المصدر السابق ص ص 109-110، برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، المرجع السابق ج1، ص257 عبد العزيز فيلالي، تلمسان في عهد الزياني ، المرجع السابق ج1، ص70.

وتحصين عاصمته لأنه كان يعلم جيدا بأن السلطان أبا فارس لن يتغاضى عن ذلك، خاصة بعدما أصبح اسمه يذكر على منابر تلمسان وفاس وغرناطة، ولذلك نهض إليه بجيشه مرة أخرى وقد أرسل الخير قائد مدينة قسنطينة وحاكمها[1] صحبته أبا محمد عبد الواحد السلطان الزياني السابق لتأديب محمد بن الحمراء، وكان عبد الواحد قد طرق باب بني مرين لمساعدته في استرجاع عرشه، وكما فشل في محاولته، لجأ إلى بني حفص الذين احتضنوه، وقد وجدوا فيه حلا لخروج ابن الأحمر عليهم.[2]

انتهت المعركة بين الجيش الحفصي والجيش الزياني لصالح ابن الحمراء بن أبي تاشفين، الأمر الذي دفع بالجيش الحفصي إلى العودة لبلاده، بينما لجأ أبو عبد الله محمد عبد الواحد إلى قبائل العرب للاحتماء بها في المناطق الشرقية في محاولة لاستمالتهم، وقد استطاع خلال مدة مكوثه عندهم أن يجمع الأنصار، ويكون منهم جيشا، هاجم به ابن الأحمر في تلمسان، واستطاع فتحها والاستيلاء عليها، بعد أن غادرها أميرها ابن الحمراء فارا إلى الجبال المجاورة في شهر رجب سنة (831هـ/1430م)[3]، وأخذ يجوب المناطق الشرقية والغربية بحثا عن الأنصار والمؤيدين قصد استرجاع عرشه، وهذا ما تم له عندما قدم بعدما تمكن من جمعه وحاصر مدينة تلمسان واحتلها سنة (833هـ/1432م) بعد سنتين من تولي أبي محمد عبد الواحد (831-833هـ/1430-1432م) الحكم فقط، وأمر بإعدامه في اليوم التالي من دخوله إلى مدينة تلمسان منتصرا.[4]

---

[1] – عبد الحميد حاجيات، امتداد نفوذ الحفصين إلى المغرب الأوسط، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج3، ص432، محمد العروسي، السلطنة الحفصية، المرجع السابق ص586

[2] –عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص70.

[3] –التنسي، نظم الدر والعقيان، المصدر السابق ص245.

[4] –نفسه، ص ص 245-246.

ولما علم أبي فارس الحفصي بخبر مقتل عبد الواحد، وتولي ابن الحمراء عرش تلمسان، قرر النهوض إلى عاصمة المغرب الأوسط للأخذ بثأر حليفه عبد الواحد، فجهز الجيش للمرة الثالثة وحاصرها حصارا محكما، أجبر من خلاله ابن الحمراء على الفرار ليلا تاركا عرشه وعاصمته لبني حفص بعد أربعة وثمانين يوما فقط من تربعه على سلطان المغرب الأوسط للمرة الثانية.[1]

وحتى يضع أبو فارس عبد العزيز حدا لنشاط ابن الحمراء، أرسل بقائده نبيل ليتتبع أثاره، حتى أدركه لاجئا عند بني يزناسن الذين لم يتأخروا في تسليمه ، فأخذه السلطان معه إلى تونس وسجنه إلا أن توفي سنة (840هـ/1438م).[2]

غير أن، وقبل مغادرة أبو فارس تلمسان، عين عليها القائد رضوان، ثم بعد أيام قلائل وقع اختياره على أحد الأمراء الزيانيين المواليين له، وهو الأمير أبو العباس أحمد المعتصم بن أبي حمو الثاني الملقب بالعاقل، فنصبه سلطانا على المغرب الأوسط سنة (834هـ/1432م)[3]، وبعد ثلاث سنوات من حكمه استطاع أن يعيد للدولة هيبتها، ويعيد لها قوتها ومجدها، ولما أحس بقوة مركزه، فأخذ يفكر في خلع طاعة بني حفص ووجد الفرصة لما تعرضت جزيرة جرية للاحتلال المسيحي سنة 837هـ/1436م فقطع الدعاء لهم، فاستاء أبو فارس لهذا التصرف، ونهض بجيشه قاصدا الاستيلاء على تلمسان للمرة الخامسة لتأديب العاقل، إلا أنه، لما بلغ أطراف الونشريس، أصيب بمرض أودى بحياته

---

[1] – التنسي، نظم الدر والعقيان، المصدر السابق ، ص246.

[2] – الزركشي، المصدر السابق ص ص 112–113، التنسي، المصدر السابق ص246.

[3] – الزركشي، ، المصدر السابق ص ص 247–248.

يوم عيد الأضحى سنة(837هـ/1436م)، قبل بلوغ جيشه تلمسان، فعاد حينها إلى بلاده دون قتال.[1]

حكم أبو العباس العاقل هذا نحو اثنين وثلاثين سنة، وهي فترة زمنية طويلة إذا ما قورنت بأسلافه، غير أن عهده الطويل هذا لم يكن كله هدوءا واستقرارا وأمنا، بل تعرض فيه المغرب الأوسط إلى محاولات انقلابية قام بها منافسوه من البيت الزياني بهدف الوصول إلى كرسي العرش مستعملين في ذلك جميع الوسائل الممكنة للوصول إليه.[2]

وإذا أردنا أن نقف عن أهم الثائرين ضذه، فقد ثار ضده أخوه أبو يحيى بن أبي حمو الزياني الثاني سنة(838هـ/1436م)، وقد تمكن من الاستيلاء على وهران بعد فشل محاولته في اتجاه تلمسان، ولكن سرعان ما فتحها جيش أحمد العاقل (852هـ/1450م)، ثم ثار عليه في سنة (849هـ/1449م) أبو زيان محمد المستعين بالله ابن أبي ثابت بالناحية الشرقية للدولة، وتمكن من احتلال بلاد حمزة والجزائر وبلاد مليكش وأراضي الثعالبة[3]، واستولى ابنه أبو عبد الله المتوكل على الله على سهل متيجة والمدية ومليانة وتنس، فعظم سلطانه، وارتفع شأنه أمام القبائل، ففر إليه كثير من بني عبد الواد من العاصمة تلمسان لتدعيمه وتشجيعه، لكن أهل الجزائر لم يطمئنوا إليه أو ربما يكون أحمد العاقل هو من حرضهم على الخروج ضده وقتله سنة 843هـ/1441[4]، وخرج عليه كذلك

[1] – الزركشي، تاريخ الدولتين، المصدر السابق ، ص148، عبد الحميد حاجيات، امتداد نفو الحفصين إلى المغرب الأوسط، ص133.

[2] –التنسي، نظم الدر،المصدر السابق ص249.

[3] – نفسه، ، ص250 –عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص72.

[4] – التنسي، المصدر السابق، ص251 –عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص72.

الأمير أحمد بن الناصر بن أبي حمو الثاني بتلمسان، فتصدى له السلطان أحمد العاقل، وقضى على ثورته في مهدها سنة (850هـ/1446م).[1]

وفي سنة (866هـ/1461م)، ثار ضده أبو عبد الله محمد المتوكل على الله في مليانة ومنها اتجه إلى تلمسان، واستولى في طريقه على قلعة بني راشد وهوارة ومستغانم ووهران، ثم نزل تلمسان ودخلها في أول جمادى الأولى سنة (866هـ/1461م) بعد محاصرتها لمدة يومين، وقبض على سلطانها أحمد العاقل، فسجنه ثم نفاه إلى بلاد الأندلس[2].

ولما بلغ خبر هذه الحوادث إلى السلطان الحفصي أبو عمران عثمان (839-893هـ/1439-1488م)، نهض على رأس جيش كبير قاصدا تلمسان، ولما اقترب منها بمسافة مرحلتين بعث له السلطان الزياني رسول ينشد الطاعة ويقدم الولاء، فقبل السلطان الحفصي منه ذلك، وعاد إلى بلاده في (صفر سنة 867هـ/1462م)[3].

وبعد بضعة أِشهر عاد أحمد العاقل إلى المغرب الأوسط، بعد أن حصل على أنصار له، فحاصر تلمسان مدة أربعة عشرة يوما، غير أنه قتل أثناء هذا الحصار في شهر ذي الحجة سنة (1867هـ/1462م) ودفن بالعباد، وهو المكان الذي لجأ إليه أثناء هزيمته الأولى أمام المتوكل، وبذلك زال الخطر على سلطان تلمسان[4].

وفي أواسط سنة (870هـ/1465م) وفد على السلطان الحفصي جماعة أشياخ من بني عامر وسويد وغيرهم، وطلبوا منه أن يخلع المتوكل على الله نظرا لما أبداه من

---

[1] – التنسي، المصدر السابق، ص249.

[2] – التنسي، نظم الدر والعقيان ، المصدر السابق ص254، ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق ج1، ملحق، ص3.

[3] – الزركشي، المصدر السابق ص ص 136-137هـ، برنشيقك، المرجع السابق ، ج1، ص291.

[4] – التنسي، المصدر السابق، ص257.

استبداد نحوهم وسوء السيرة من جهة، ولتقريبه لعرب الذواودة الذين خرجوا عن طاعة العامل الحفصي من جهة أخرى، حيث زودهم أبو عمرو عثمان بالمال والرجال، وأرسل معهم أبو زيان عبد الواحد بن أبي حمو الثاني كعادتهم لينافس المتوكل ويحل محله، ثم بعد أيام خرج السلطان بجيوشه متوجها بنفسه لتلمسان وحاصرها وضرب سورها بآلات الحرب، وألزم المتوكل على الإذعان لمطالبه، فجدد له الطاعة والولاء، وقدم الاعتذارات والهدايا الثمينة لأبي عمر وعثمان، وزوّج ابنته البكر لأمير أبي زكرياء بن مسعود حفيد السلطان الحفصي[1] بدون إجراءات الخطبة ومراسيمها المعتادة، وكأنه بذلك دفع بها كرهينة لدى بني حفص، وعندها رجع أبو عمر عثمان إلى عاصمته سنة (872هـ/1467م) بعد أن تأكد من طاعة السلطان الزياني ومن انتشار نفوذه على بلاد المغرب الأوسط.[2]

وعليه يتضح بأن أوضاع الدولة الزيانية ظلت على هذه الحالة، تخضع للنفوذ الحفصي وهيمنة سلاطينهم عليها إلى أن توفي المتوكل على الله (873هـ/1468م) فخلفه ابنه وولى عهده أبي تاشفين الثالث، ولكنه خلع من طرف أخيه أبي عبد الله محمد الثاني.

غير أن الظروف لم تكن ملائمة في أيام محمد الثاني، فقد ظهر الخطر المسيحي على بلاد المغرب مهددا الإسلام وأرض الإسلام، في وقت كان سلاطينها وملوكها للأسف الشديد غارقون في الصراعات والحروب الداخلية، وهو ما اغتنمه هؤلاء المعتدون كفرصة للتدخل في شؤونهم الداخلية، وعليه، فقد أصبح الخطر هو الشغل الشاغل لدول المغرب الثلاث، الدولة الحفصية والدولة الزيانية والدولة المرينية.

---

[1] – برنشفيك، تاريخ إفريقية،المرجع السابق، ج1، ص 291، عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص73.

[2] – الزركشي، المصدر السابق، ص ص 142–143.

وفي الأخير، ومن خلال ما سبق ذكره يمكننا أن نستنتج أن العلاقات السياسية بين المغربين الأوسط والأدنى ما بين القرن السابع والتاسع الهجري/ 13-15م، قد تميزت في أغلب فتراتها بطابع اللاهدوء واللاستقرار بسبب الصراع والتنافس ورغبة كل واحد منهما في السيطرة على ممتلكات الدولة الموحدية وبالتالي وراثتها والإحلال محلها، وما كان ليتحقق هذا الهدف إلا باستخدام كل طرف نزعة التوسع على حساب أراضي الأخر، وبالتالي توسيع رقعته الجغرافية، غير أن هذه الظروف السياسية التي حكمتهم لم تحد أبدا من نشاطهم، ولم تمنعهم عن ممارسة الرحلة العلمية كظاهرة ساهمت في تمتين الروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى، وهو ما سوف نتطرق له بالتفصيل في الفصل الأول من هذا العمل أو الدراسة.

الفصل الأول

دوافع وأسباب رحلة علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأدنى.

أولا: مكانة المغرب الأدنى العلمية.

1-انفتاح بيئة المغرب الأدنى وحرية الأخذ العلمي.

2-اختصاص مدينة القيروان بالعلوم الفقهية.

3-وفرة المؤسسات التعليمية والمكتبات.

ثانيا: الرغبة في الاستزادة العلمية ولقاء الشيوخ.

1-الرغبة في الاستزادة العلمية.

2-الرغبة في لقاء الشيوخ.

ثالثا: المناخ السياسي بالمغرب الأوسط

1-الصراعات السياسية

2-الضغوطات السياسية

تخضع الحياة الثقافية في أي عصر من العصور، و في أي بلد من البلدان إلى عدة عوامل و أسباب، و من أولويات هذه العوامل الاستقرار السياسي و الأمني، فإذا كانت السياسة غير واضحة و الأحوال الأمنية غير مستقرة، كأن تكون الدولة في حالة حرب مع جيرانها، أو تعيش فتن و اضطرابات و صراعات داخلية نتيجة حكام ضعفاء و مستبدين برأيهم، فإن الدولة لم تكن أرضا خصبة لذلك التعايش الثقافي و تلك الحركة العلمية و الإنتاج الفكري المتميز.

و مع ذلك، و بالرغم من توتر العلاقات السياسية بين دويلات المغرب الإسلامي بصفة عامة و بين المغربين الأوسط و الأدنى بصفة خاصة خلال الفترة الممتدة ما بين القرن السابع و التاسع الهجريين (13 – 15 م)، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود علاقات ثقافية بين علماء المغرب الأوسط و علماء المغرب الأدنى و التي تحكمت في توجيهها عدة أسباب و دوافع نذكر منها:

أولا: مكانة المغرب الأدنى العلمية:

بلغ المغرب الأدنى في العهد الحفصي أوجا ثقافيا كبيرا شأنه في ذلك شأن المغرب الأوسط في العهد الزياني، والمغرب الأقصى في العهد المريني، ويشهد على هذه المكانة المتميزة التي وصل إليها ازدهار الحركة الأدبية التي حفلت بالعديد من العلماء واللغويين والمفكرين ،وتألقه في الحياة العلمية بفضل ميول سلاطينه إلى الآداب والعلوم وما أرسوه من مؤسسات علمية وثقافية جعلت قاعدته تونس بأدبائها وشعراءها وعلماءها قطبا للآداب والعلوم، ومركزا كبيرا للتعليم ومنتجعا للعديد من الأدباء والشعراء والعلماء والطلبة من داخل إفريقية والأندلس والمغرب والمشرق، أثرو الإقامة بها، وامتزجوا بأهلها وتولوا فيها الخطط الإدارية والعلمية والدينية[1] .

وبخصوص هذه المكانة العلمية المتميزة التي حظي بها المغرب الأدنى، وعن أهمية حاضرته العلمية تونس يذكر الرحالة العبدري الذي مر بها في رحلته سنة 688هـ/1289 قائلا :"ثم وصلنا إلى تونس مطمح الآمال و مصب كل برق ومحط الرجال من المغرب والمشرق،و ملتقى الركاب و ناظمة فضائل البرين في سلك ، فإن شئت أصبحت في موكب ، و إن شئت أبحرت في موكب كأنها ملك و الأرباض لها إكليل وأرجاؤها روضة باكرتها ريح بليل ، إن وردت مواردها نفعت قليلا ، و إن ردت فوائدها شفيت حشا عليلا جلبت بها عروس الغروس ، و حليت بها على ممر الدهر الطموس..."[2].

[1]-أحمد الطويلي، مراكز الثقافية والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي الجوامع والمدارس والمكتبات، مراكز الثقافة التونسية، تونس، 2000، ص 5.

[2]– محمد النيفر وعلي النفير ،عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب – دار العرب الإسلامي – ط1 – بيروت – 1986 – ص250.

كما يقول في شأنها أيضا:" و مازالت مدينة تونس كلاها الله ذات ملك و فخامة وهي إلى الآن دار مملكة افريقية على ضعف المملكة بها ، وانتهائها إلى حد التلاشي و مع ذلك فقد أربت على بلاد في كل فضيلة"[1].

ثم يشير بشأن تنوع العلوم بتونس فيقول:" لا تنشد بها ضالة للعلم إلا وجدتها، ولا تلمس بها بغية إلا استنفدتها"[2]،كما يقول أيضا:" و ما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما ، و لا موردا للمعارف إلا رأيت بها حوله واردا وحائما"[3].

أما ابن الشماع صاحب كتاب الأدلة النورانية فقد قال في شأنها :"وتونس دار علم وفقه"[4]، أما بخصوص صاحب كتاب عنوان الأريب في جزئه الأول ، فقد وصف الأهمية البالغة للبلاد الإفريقية في عهد كل من الأمير أبي زكريا و عهد ابنه من بعده بقوله:" وعلى عهد هذا الأمير أعني أبا زكريا و عهد ابنه من بعده محمد المستنصر ازدهر العلم والأدب في افريقية ازدهارا عظيما بلغت به تونس في ميدان العمران والحضارة مبلغا لم تبلغه قبل بعد أن ضعف أمر العلم و الأدب وانطفأ نوره مما هم البلاد أولا من عبث وتخريب حواضرها بأيدي الأعراب الصعيدين و ثانيا باستلاء النورمان عليها..."[5]

إن المتمعن لمجمل هذه النصوص يدرك جيد أنها تكشف لنا عن تلك المكانة العلمية الرائدة والمتميزة التي بلغها المغرب الأدنى في الفترة الممتدة ما بين القرن السابع و التاسع الهجري/(13– 15 م)، و التي يرجع الفضل في بلوغها بناء على ما ورد في هذه النصوص إلى ما ورثته الإمارة الحفصية من قسط مهم من العلم و العلماء عن الإمارة الموحدية المنهارة و كذلك إلى ما امتازت به المدن الحفصية من موقع جغرافي ممتاز ووجود

---

[1] – محمد النيفر وعلي النفير ،عنوان الأريب ، المرجع نفسه، ص 253.

[2] – نفسه ، ص 250.

[3] – نفسه، ص 253.

[4]–ابن الشماع،الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري،دار العربية للكتاب ،تونس،1984،ص21.

[5] – محمد النيفر ،المرجع السابق، ص 244.

السلاطين الحفصيين و على رأسهم السلطان أبي زكريا يحي الحفصي و ابنه السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر الذي ساعد على انتعاش الحركة العلمية والأدبية بالمغرب الأدنى سيما من خلال استقبالهم للكثير من علماء الأندلس الذين هاجروا إليه ، ثم بفضل ذلك الانتعاش الذي حصل بعد ذلك في عهد أبي الحسن المريني نظرا لكثرة ما جلبه معه من علماء المغرب و فقهائه خاصة و أن روح العصر السائدة لدى الأمراء والسلاطين في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة و المغرب الأدنى بصفة خاصة ،كانت تتمثل في تقريب وجمع ما يمكن من العلماء و الأدباء حولهم و من بينهم السلطان أبو العباس الحفصي الذي سلك ذلك المنهج شأنه شأن سلاطين بني مرين و حتى الزيانيين منذ أن كان أميرا على قسنطينة[1].

وخير دليل على ذلك ،الموقف الذي اتخذه اتجاه عبد الرحمن ابن خلدون عندما احتضنه و حماه طيلة السنوات الأربعة التي قضاها في تونس، و قد كان يحرص كثيرا على أن يبقيه بجانبه حتى أنه حاول الضغط عليه من خلال عدم السماح لعائلته بالالتحاق به إلى المشرق أملا من هذا السلطان في عودته إلى تونس لولا إصرار ابن خلدون على الهجرة خوفا من المؤامرات التي كانت تحاك ضده.

هذا زيادة على أن المغرب الأدنى كان محطة مناسبة للحجاج و لأولئك المسافرين إلى بغداد لطلب العلم و المعرفة أو لغرض التجارة ، و قد كان لهؤلاء العلماء و المفكرين الأثر البالغ في ازدهار الفكر و الثقافة في المغرب الأدنى من خلال المؤسسات العلمية والفكرية المختلفة كالمساجد و الكتاتيب و الزوايا و المدارس أكسبته مكانة علمية راقية جعلت منه قبلة من قبل العلماء و طلبة العلم الشغوفين بالعلم و المعرفة[2].

---

[1]– بلحسن ابراهيم، المرجع السابق، ص89.

[2]– نفسه،ص90.

1-انفتاح بيئة المغرب الأدنى وحرية الأخذ العلمي:

شهدت الفترة الممتدة ما بين القرن السابع و التاسع الهجريين/الثالث عشر والخامس عشر ميلاديين تزايد في عدد الرحالة من علماء المغرب الأوسط نحو بلاد المغرب الأدنى و بالأخص نحو حواضره العلمية المتعددة وعلى رأسها تونس و القيروان.وترجع عوامل ذلك إلى انفتاح أبواب المغرب الأدنى أمام جميع علماء وطلبة المغرب الإسلامي الراغبين في الاستزادة والتحصيل العلمي على أشهر فطاحل العلم وشيوخه سواء كانوا من المغرب الأدنى من المقيمين أو من الوافدين عليه من الأندلسيين من أمثال ابن عربية وأحمد الغساني والتيفاشي القفصي وابن الأبار وابن سعيد وابن سيد الناس وأبا الحجاج يوسف البياسي وابن عميرة وابن عصفور وابن خلدون[1] الذين جعلوا من تونس مركزا لاحتكاك الأفكار والمناقشات الفقهية والخصومات الأدبية والمطارحات الثقافية بتشجيع من سلاطين بني حفص، في مقدمتهم السلطان أبي زكريا الحفصي الذي حرص مع غيره على دعم الأدباء والعلماء والشعراء من خلال ما أسنده لهم من جوائز، وما قدمه لهم من هدايا وما أولاه لهم من خطط إدارية وعلمية، وضمه لهم لمجالسه العلمية وما أسسه لهم من مدارس وما أنشأه لهم من مكتبات دفعتهم من خلال ذلك إلى تأليف العديد من الكتب[2] ومن ثم المساهمة في ازدهار الحياة العلمية والثقافية والأدبية بما كانوا يلقونه من دروس في هذه المدارس وما كانوا يلقونه من تآليف في مختلف الفنون وفي شتى ميادين المعرفة[3].

وقد كان العلماء والأدباء يتخذون من منازلهم مواطن للتدريس والاجتماع بزملائهم أو بضيوفهم المارين بتونس من الأندلس والمغرب إلى المشرق، فكان أحمد بن الغماز

---

[1]أحمد الطويلي، تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري من الفتح إلى أواخر القرن التاسع عشر، الشركة الوطنية للنشر ، ط1 تونس، 2002، ص- ص 35-62.

[2]نفسه، ص 61.

[3] نفسه،ص 61.

يجلس بداره للتدريس من أول النهار إلى قرابة الظهر، ومن العصر إلى المغرب ، وكان يلتزم الضبط والإتقان، وكان بيت عبد الحميد بن أبي الدنيا الصدفي مزارا خاصة للطلبة فيعتني بهم ويخرج إليهم كتبه، وكان محمد بن عبد السلام يقرأ في الضحى بمنزله، وقد أخذ عنه البلوي هناك شرحه لابن الحاجب الفرعي، وكتاب "الموطأ"، كما إختار بعض العلماء سقيفات دورهم كي يتصلوا فيها بطلبتهم مثل أحمد البسيلي الذي كان يجتمع بطلبته في سقيفة منزله يسألونه عن مواضيع فيجيبهم، وهناك بعض الأدباء من اتخذ بيتا في المسجد كان يزوره فيه من يرغب في ملاقاته من الأدباء[1].

وللإشارة ، فلما أقيمت الزوايا، وانتشرت خاصة في العهد الحفصي في جميع أنحاء المغرب الأدنى، أعدت لإقامة المسافرين و"الفقراء"، فقد أنشأ أبو فارس زاوية بباب البحر[2] وزاويتين أخرتين بباردو وسيدي الفتح[3] وحول ذلك يذكر الزركشي قائلا:"وأحدث في أيامه بتونس حسنات دائمة فمنها بناؤه لزاوية باب البحر بتونس بعد أن كانت بقعة معدة للمعاصي وأنشئت سنة 801هـ وأحدث معها مدرسة لطلبة العلم وحبس عليها ما يقوم بها "[4] وغيرها ممن كانت نقاط التقاء للمشايخ المتصوفة والفقراء والمريدين الواردين من كل مكان[5] وهو ما أفسح المجال لعلماء المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة الزمنية من الانتقال بكل حرية إلى حواضر المغرب الأدنى لطرح القضايا والمشاكل التي كانت تشغل أذهانهم، ومحاولة إيجاد الحلول الخاصة بها، والمشاركة في العديد من المناظرات الفكرية[6].

---

[1] أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص ص65–66.

[2] الزركشي، المصدر السابق ، ص 116.

[3] نفسه ،ص116.

[4] الزركشي، تاريخ الدولتين، المصدر السابق ، 120.

[5] أحمد الطويل، تاريخ القيروان الثقافي ،المرجع السابق،ص 185.

[6]نفسه، الصفحة نفسها.

ولم يعرف عن الحفصيين الانفتاح فحسب، وإنما عرفوا كذلك بحرية الأخذ والميل العلمي ويظهر ذلك من خلال عدم تدخلهم في توجيه الفكر توجيها معاكسا، وإنما باركوا لمن يهمهم الأمر حرية الاختيار، حيث نجد فقهاء المغرب الإسلامي بما فيهم فقهاء المغرب الأدنى هم الذين اختاروا بمحض إرادتهم العودة إلى المذهب المالكي، بينما اكتفت الدولة حينها بدور التشجيع فقط وهو ما انعكس إيجابيا على نهضة الفقه المالكي خلال هذه الفترة المعنية بالدراسة[1] هذا بالإضافة إلى ترك للطالب كامل الحرية في اختيار مادة اختصاصه، واختيار الشيوخ الذي يرغب في التتلمذ عليهم.

2-اختصاص مدينة القيروان بالعلوم الفقهية

اشتهرت مدينة القيروان عبر تاريخها الطويل بإشعاعها الثقافي والديني الفقهي بالرغم من فقدانها لبعض إشراقها السياسي كعاصمة في خضم تلك الأحداث التي أفضت إلى تأسيس عواصم جديدة مع انفصال الأندلس والمغرب الأوسط والأقصى عنها، ويعود الفضل في شهرتها هذه إلى بداية فتحها في عهد معاوية بن أبي سفيان، حيث توارد عليها أيام الفتح جماعات من الصحابة والتابعين والمتفقهين في الدين ليعلموا البربر واجبات الدين وأحكامه، ومن هؤلاء الأعيان عبد الرحمن بن رافع التنوخي، وهو أول من ولي القضاء بالقيروان، وكانت مدينة القيروان يومئذ مقر الإمارة، وأصبح جامعها الذي أسسه الفاتحون الأولون مهد للعلوم الإسلامية ومصدر للفتاوى والأحكام[2]، ومما ساهم في تميزها بالعلوم الفقهية رحيل عدد كبير من أهلها لتلقي علوم الشريعة، ومن هؤلاء الراحلين عبد الرحمن بن زياد المعافري الذي تلقى العلم عن جماعة من التابعين، ثم عاد إلى القيروان بعلم غزير[3] وعلي بن زياد، أول من دخل تونس "بموطأ مالك بن أنس" وأسد بن

---

[1]أحمد الطويل، تاريخ القيروان الثقافي ،المرجع السابق،ص ص 185-186.

[2]محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، جمع وتحقيق علي الرضا التونسي،د ط ، 1981، ص7.

[3]نفسه، ص 7.

الفرات[1]الذي تلقى الفقه عن الإمام مالك بالمدينة، والإمام عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون [2]، وهو واحد من الذين نشأوا في القيروان قبل رحيله إلى مصر، وتلقيه فقها كثيرا وتأليفه كتاب المدونة الذي استطاع بفضله أن ينشر المذهب المالكي في تونس بل وفي المغرب كله، كما تخرج على يديه رجال خدموا الفقه بالاستنباط والتدريس والتأليف[3].

وعلى هذا الأساس ارتفع صرح الفقه في المغرب الأدنى، وطبعت القيروان بالطابع الفقهي وهو ما جعل الدباغ صاحب كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان يقول عنها ما نصه :"أما القيروان، فهي البلد الأعظم، والمصير المخصوص بالشرف الأقدم قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب، وقطرهم الأنخر الذي أصبح لسان الدهر عن فضله يعرب وبشرفه يغرب قرارة الدين والإيمان والأرض المطهرة من رجس الكافرين وعبادة الأوثان، فقبلتها أول قبلة رسمت في البلاد المغربية، وسجد لله فيها سرا وعلانية ناهيك بأرض كانت منازل أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ومحط رجالهم ومعقلهم للإسلام ،والبقعة التي تخيروها مقر للإسلام والمسلمين مصرا مؤسسا على التقوى إلى يوم الدين....إلخ "[4].

---

[1] هو أسد بن الفرات بن سنان من موالي بن سليم بن قيس، قيل أصله من خراسان، درس على مالك في المدينة كما درس بالعراق ومصر، حيث أعد الأسدية وجمع في معظمها آراء بعض تلاميذ مالك وروايتهم عنه، ينظر السراج، الحلل السندية في الأخبار التونسية، تونس، 1970، ج1، ص ص 754–755.

[2] هو سحنون بن سعيد (777./854/) ولد بالقيروان، ورحل إلى مصر والحجاز، للتفقه في الفقه المالكي، ينظر رشيد الزوادي، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي مقال ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1وهران، 1993–ص 333.

[3] محمد الخضر حسين، المصدر السابق، ص 8.

[4] الدباغ (عبدالرحمان)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المكتبة العتيقة ،تونس،1968 ، ج1، ص ص 6–7، يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح منتصف القرن الخامس الهجري 90/450هـ جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000، ص 146.

وللإشارة فقد استمر جامع القيروان في تخريج أكابر الفقهاء الذين بلغوا درجة الإستنباط وألفوا فأحكموا صناعة التأليف من أمثال محمد بن إبراهيم بن عبدوسي، والقاضي موسى بن عمران المعروف بالقطان في المائة الثالثة، وعبد الله بن أبي زيد صاحب كتاب "النوادر" في المائة الرابعة، وعبد الحميد المعروف بالبن الصائغ، وعلي بن محمد المعروف باللخمي، وعبد الخالق السبوري في المائة الخامسة ،وعلى أيدي هؤلاء الأساتذة تخرج الإمام محمد بن علي المعروف بالمازري (ت ق6هـ/12م) الذي كانت تشد إليه الرحال من طرف طلبة العلم للتتلمذ عليه نظرا لتقدمه في علوم القرآن، ومنهم الفقيه الصوفي القلعي النحوي أبو الفضل يوسف دفين قلعة بني حماد[1].

أما عن إشعاعها خلال العهد الحفصي، فقد أصبح مزدوجا في الدراسات الدينية والفقهية خاصة دراسة الحديث النبوي الشريف من جهة وفي الأدب والشعر والنحو واللغة والتاريخ والتصوف من جهة أخرى[2] ومن أشهر فقهائها في هذا العهد نذكر المؤلفين الثلاث الشبيبي(ت782هـ/1380م) وابن ناجي (839هـ/1435) والبرزلي (ت 841هـ/1437م).

أ- **الشبيبي:** هو أبو محمد عبد الله بن يوسف البلوي دفين زاوية سيدي عبد الله بن أبي زيد كان مفتي القيروان وخطيبها ومدرسا فيها لأكثر من 35 سنة كان يدرس الفقه والنحو والفرائض والحساب والتنجيم، وقد تخرجت على يديه أجيال كثيرة من العلماء من بينهم محمد بن مرزوق الحفيد توفي بتلمسان(842-1438)، اشتهر بشرحه لرسالة عبد الله بن أبي زيد[3].

---

[1] بوبة مجاني، إشعاع القيروان عبر العصور المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، تونس، 2009، ج1، ص 140.

[2] أحمد الطويلي، تاريخ القيروان الثقافي المرجع السابق، ص 185.

[3] أحمد الطويلي، تاريخ القيروان الثقافي المرجع السابق، ص 185.

ب- ابن ناجي: هو أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي، وقد سمي كذلك بحافظ المذهب اقترن إسمه بابن الدباغ مؤلف "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" كما اشتهر بشرحه لرسالة عبد الله بن أبي زيد، وقد كانت شروحه "لمدونة سحنون" و"مختصر ابن الجلاب" في الفقه مستفيضة في أجزاء متعددة ومتنوعة، تكون بالقيروان على أيدي علماءها منهم الشبيبي والبرزلي وأبو عبد الله ابن فندار، ثم انتقل إلى تونس حيث أكمل تكوينه على أيدي أساتذتها من أمثال ابن عرفة والأبي والغبريني والأبلي ولي الخطابة في الواحدة والعشرين من عمره، وكان خطيبا مفوها يرتجل خطبه بطلاقة وفصاحة ، يقول عن صدى خطبه في القلوب :"ألفت خطبة وخطبت بها، فبكى الناس منها وفرحوا، وفرح بذلك شيخنا المذكور (البرزلي) فرحا شديدا لما أعلموه"[1] .

ج- البرزلي: هو أبو القاسم أحمد السلوي صاحب تأليف "جامع مسائل الأحكام " لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام المشهور بنوازل البرزلي، كان مدرسا ومفتيا وخطيبا بجامع الزيتونة طيلة ربع قرن، وكان يعتبر فريد زمانه علما وتأثيرا في النفوس حتى أن الناس كانوا يبكون تأثرا به، جلس إلى ابن عرفة نحو 40 سنة، وكان أستاذه ابن عرفة يقول "كيف أنام وأنا بين أسدين: الأبي بفهمه وعقله والبرزلي بحفظه ونقله؟"[2]، تخرج على يديه فطاحل من العلماء أمثال ابن ناجي والرصاع وأحمد حلولو وعبد الرحمان الثعالبي الجزائري صاحب مؤلف "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"[3].

ومنه يتضح لنا أن مدينة القيروان شكلت عبر تاريخها مركزا علميا وفقهيا بفضل أولئك العلماء والأدباء الذين عرفتهم، وتلك العلوم الشرعية التي سادت بها، وجعلتها مدار اهتمام العلماء وطلبة العلم من كل حدب وصوب بما فيهم طلبة المغرب الأوسط وهو ما

---

[1] الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص ص 28-29.

[2] التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص287.

[3] أحمد الطويلي، تاريخ القيروان الثقافي والحضاري،المرجع السابق، ص 186.

انعكس بالإيجاب على الحركة العلمية بالقيروان والمغرب الإسلامي عموما بحيث أصبحت القيروان بفضل ذلك محطة للقاءات الفكرية والحضارية والعلاقات الإنسانية.

3- وفرة المؤسسات التعليمية والمكتبات(الخزائن العامة)

لقد حظي الحفصيون بالأسبقية في إنشاء المؤسسات التعليمية في كل بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، وقد تركزت معظمها في العاصمة تونس التي حوت الكثير من الجوامع والمدارس، وهو ما جعل الناس بعد أن يتلقون مبادئ العلوم في مدنهم التي ينتسبون إليها يهاجرون إليها لتلقي العلم على كبار علمائها في جامع الزيتونة، وقد خص ابن الشماع مكانتها الراقية والمتميزة التي بلغتها في مقدمة كتابه الأدلة البينية النورانية قائلا عنها:"هي قاعدة البلاد الإفريقية وأم بلادها، وحضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين"[1] كما وصفها الرحالة العبدري الذي زارها سنة(688هـ- 1289)قائلا حول ما بلغته من مجد وعزة وجمال قائلا في شأنها :"مدينة تونس مطمح الآمال، ومصب كل برق ومحط الرحال من المغرب والمشرق ،لا تنشد بها ضالة من العلم إلا وجدتها، ولا تلتمس فيها بغية معوزة إلا استنفدتها، أهلها ما بين عالم كالعلم رافع بين أهله للعلم، فاقت بحسن وإتقان معانيها غيرها من المدن ولو نطقت لقالت:

انا الغادة الحسناء فاق جمالها فآلت يمينا لخطبت على زوجي[2]

ومن أهم المؤسسات التعليمية التي حظي بها المغرب الأدنى وعلى رأسها مدينة تونس نذكر:

---

[1] ابن الشماع، المصدر السابق، ص المقدمة.

[2]- العبدري، الرحلة المغربية، المصدر السابق ،ص 74.

أولا : الزوايـا:

عرف المغرب الإسلامي على مدار القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط بداية ظهور ثم تطور و تبلور الزوايا، و لم تكن تعني حسب ابن مرزوق التلمساني (711 – 781 هـ / 1311 – 1379 م) المعروف بالخطيب على عهده ما كان شائعا تسميته في المشرق بالربط، حيث يذكر قائلا:"و الظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاج من القاصدين، و أما الربط على ما هو المصطلح عليه في المشرق، فلم أر في المغرب على سبيلها و نمطها إلا رباط أبي محمد صالح، و الزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكرياء يحي بن عمر نفع اللهم بهم، سبلا غربي الجامع الأعظم منها و لم أر لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكان وصفاتهم و شبههم بمن ذكر نفع الله بهم"[1].

لكن مفهوم الزوايا مع مرور الزمن استقر على المكان الذي يلتقي فيه المتعبدون، الراغبون في الحياة بمعزل عن العالم يصلون و يتلقون القرآن، و يقيمون ممارسات أخرى مثل الذكر و الإنشاد، كما احتفظت الزوايا بوظائفها كمرفق لاستقبال عابري السبيل الصوفية، حيث أصبحت كل زاوية تنتسب إلى شيخ و لها أورادها الخاصة بها[2].

و لقد خص سلاطين دول المغرب الإسلامي خلال مرحلة هذه الدراسة الزوايا برعايتهم الخاصة، ففضلا عن عمليات بناء هذه الزوايا و النفقة عليها بادروا بوضع الكثير من الممتلكات حبسا عليها و ذلك سعيا منهم لإضفاء الشرعية على عروفهم

---

[1] ابن مرزوق، المسند الصحيح، المصدر السابق، ص 413.

[2] عبيد بوداود، انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الاسلامي ما بين القرنين السابع و التاسع الهجريين (ق13–15 م) ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، أطروحة الدكتورا في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ جامعة وهران،2005–2006 ، ص 82.

و كسب الود للمكانة التي أصبح يتمتع بها رجال التصوف في نظر العامة من شعوب المغرب[1].

لقد تعددت المؤسسات ذات الطبيعة المختلفة التي كانت تدين بوجودها واستمرار نشاطها إلى مبادرات الواقفين، و لعل أهم هذه المؤسسات المساجد و المدارس والمكتبات (الخزانات) و الزوايا و الأربطة و غيرها.

و إذا نظرنا إلى الخدمات الجليلة التي كانت تضطلع بها هذه المؤسسات أدركنا مدى الإسهام الكبير الذي كانت تقوم به الأوقاف في مختلف مناحي حياة مجتمع المغرب الإسلامي في الثلث الأخير من العصور الوسطى[2].

إن أصل الزاوية من المغرب على عكس المدرسة التي أتتنا من المشرق وللإشارة، فقد عرفت هذه المؤسسة أيضا بالمغرب الأدنى ازدهارا شبيها بازدهار المدارس، وهي على صنفين: الزاوية المبيت ومهمتها إيواء المسافرين الذي يباغتهم الليل، والزاوية الحاوية لجثمان ولي وهي التي يقصدها الناس للزيارة والتبرك[3].

-**الزاويــة المبيت:** ظهرت لأول مرة في عهد الخليفة أبي فارس عبد العزيز الذي يرجع له الفضل أيضا في بناء أول مارستان(مستشفى) بتونس[4] ، وقد أقيمت هذه الزوايا على أبواب الحاضرة لاستقبال المسافرين الواردين عليها من كل الآفاق وقد أضيفت

---

[1] عبيد بوداود ، المرجع السابق، ص 240.

[2]نفسه ، ص 245.

[3] عبد العزيز الدولاتي، مدينة تونس في العهد الحفصي، تعريب محمد الشادلي و عبد العزيز الدولاتي، دار سوراس للنشر، تونس،1981، ص 141.

[4] الزركشي: المصدر السابق، ص 116، ابن أبي دينار، المصدر السابق ،ص 240.

زاوية لجامع الملاسين المؤسس سنة(801هـ/1398م)[1]، وبنيت أخرى خارج باب أبي سع دون[2] وثالثة خارج باب عليوة ورابعة خارج باب البحر[3].

وعلى أيام الخليفة أبي عمر وعثمان، اتسع نطاق هذه المؤسسة الخيرة بظهور زوايا على الطرقات المؤدية إلى العاصمة، وهي بمثابة المراحل التي يستريح فيها المسافر، أو يقضي فيها ليلته قبل متابعة طريقه، كزاوية عين الزميط[4] بين تونس وباجة، وجعل فيها جامعا للصلاة ومكانا للعلم ورباطا للمقيمين والواردين[5] وزاوية الفندق على طريق القيروان[6] وزاوية بنونة وزاوية النزول وغيرها[7].

الزاوية المقبرة (أو التربة):

وهي التي ترث المكان الذي كان يسكنه الرجل الصالح أو موقع خلوته سواء كان خارج المدينة أو داخل أسوارها، أي هي المكان الذي يتخذه الرجال المتصوفة ويمارسون من خلاله نشر علومهم بين عامة الناس، وبالتالي يصبح نتيجة ذلك مقصدا للزيارة والتبرك[8]، وتعد كتب المناقب من أثرى المؤلفات بالمعلومات الخاصة بتلك الأماكن

---

[1] الزركشي: المصدر السابق ،ص 116.

[2] الباجي بن مامي، مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني، المعهد الوطني للترات،2006 ، ص 107، Brunshrig.quelques remarque historique sur les medersas de tunisie.R.T.N6.1931. P 87.

[3] الزركشي ، المصدر السابق، ص 144.

[4] الزميت، مدينة بناها السلطان أبي عمرو عثمان، وبني زاويته هذه وهي من الاراضي الخصبة وكانت بها أبراج عديدة استخدمت للمراقبة ينظر الحسن الوزان ،وصف افريقيا، المصدر السابق، ج2، ص ص 187–188.

[5] الوزير السراج ، المصدر السابق ، ج2، ص ص 187–188.

[6] الزركشي–المصدر السابق، ص 144.

[7] الوزير السراج المصدر السابق، ج2، ص 197.

[8] عبد العزيز الدولاتي، مدينة تونس في العهد الحفصي، المرجع السابق، ج2 ص 141.

المقدسة التي بقيت أخبار أصحابها إلى اليوم عالقة بذاكرة أهل المدينة كسيدي علي القرجاني وسيدي حسن علي الحطاب وسيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي حسن السيجومي وسيدي عبد الوهاب وسيدي سفيان وسيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي أبي سعيد الباجي وسيدي منصور بن جردان والسيدة عائشة المنوبية وسيدي الأنصاري وغيرهم كثير[1].

وللعلم، فقد شهدت الحركة الصوفية اتساعا وتوغلا بين مختلف الطبقات الاجتماعية خلال القرن التاسع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فقد تمتع هؤلاء المتصوفة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، بعطف وحماية السلطان ذاته كالخليفة التقي المنتصر بالله الذي أمر بتحويل فندق الرصاص وهو من أملاك الدولة المجاور لجامع الزيتونة إلى زاوية للولي سيدي بن عروس وحبسها عليه[2]، ولا يزال باب هذه الزاوية يحمل إلى اليوم نقيشة تشير إلى أشغال الترميم التي قام بها المزوار أبو زيد عبد الرحمان المصري في سنة(896هـ/1490)م بأمر من الخليفة أبي زكريا يحيى[3].

وللعلم، توجد في نفس الشارع تجاه نفس الزاوية نقيشة أخرى تشير إلى أشغال مماثلة قام بها نفس العريف وتخص زاوية سيدي الكلاعي[4]، وقد حظي هؤلاء الأولياء المتصوفة بتقدير الحفصيين، وخير دليل على ذلك ما يروى عن سيدي قاسم الزليجي الذي عرف بتقدير الحفصيين له، حتى أن بعضهم دفن بجوار قبره داخل الزاوية التي كان

---

[1] عبد العزيز الدولاتي، مدينة تونس في العهد الحفصي، المرجع السابق، ج2 ص 141.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 156.

[3] عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ج2، ص 142.

[4]الباجي بن مامي،مدارس مدينة تونس في العهد الحفصي، المرجع السابق، وكذلك

Brunschrig :un califie hafside meconnu .return.AL.E.O 1934 .

شيدها بنفسه، وبعد سقوط غرناطة سنة(698هـ/1492م)أضيفت لها غرف لإيواء المهاجرين الأندلسيين[1] .

ولكن رغم التقدير والإجلال الذي كان يتمتع به هؤلاء الأولياء المعاصرون لبني حفص، فإن الشيخ محرز ابن خلف ومقامه حافظا على شهرته بقي إلى اليوم محل الإكرام والتبجيل، ويبدو أن الزاوية التي وصفها أدورن وعين مكانها خطأ في أحد الأرباض هي في الحقيقة زاوية الشيخ محرز بن خلف إذ يقول في شأنها نقلا عن الدولاتي:"وفي ربض من أرباض المدينة (ربما يعني حيا من أحياءها) يوجد منزل بديع شاهق كالقصر، كان يقطنه ولي من أوليائهم، وبه قبور كل سلاطينهم وهو بناء ملكي رائع حقا بحجارته وأعمدته المرمرية المجلزة فقد تدلت في سقوفه عدة قناديل لإضاءة القبور، وهو شديد الارتفاع كغيره من الروضات (أو التربات) ولكنه لا يشبه أمثاله من بناءاتها المأتمية، إذ تغطي إحدى قاعاته قبة عالية وفسيحة، كما لو كان محلا للسكن"[2] ، وفعلا فقد عرف عن الفاطميين دفن ملوكهم وأمراءهم في جوار ضريح سيدي محرز مما يفسر فخامة المبنى الذي تحدث عنه الرحالة البلجيكي[3].

ثانيا- الجوامع:

اعتبرت عمليات بناء الجوامع من أهم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى مولاه، كما تعتبر عملية البناء في حد ذاتها وقفا حتى و إن لم يصرح الباني بذلك، على اعتبار

---

[1] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ص 135-160-167-170-174.

[2] الدولاتي: المرجع السابق، ص 142.

[3] نفسه، ص 142.

المساجد بيوتا لله و ليس ملكا لأحد لقوله تعالى: " وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا "[1].ولقوله تعالى: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[2]

و للإشارة، فإن مختلف المصادر التاريخية و كتب النوازل تكشف أن الإقبال على بناء المساجد من قبل سكان المغرب الإسلامي حكاما و محكومين خلال مرحلة هذه الدراسة كان كبيرا، كما أن هذه المساجد استأثرت بأغلب الموضوعات، فبالإضافة إلى عمليات البناء كانت الأوقاف تضطلع بأعمال السير الحسن لهذه المؤسسات الدينية المتعددة المهام مثل أجرة القائمين عليها من الأئمة المؤذنين و غيرهم، و استصباح المساجد و حزمتها و إيصال المياه إليها و ترميمها إذا ما خربت.

لم يكن نشاطها العلمي وليد لهذا العهد، بل كان الجامع منذ العصور الغابرة يقوم بوظيفة التربية والتعليم .

– **جامع الزيتونة:** يعد جامع الزيتونة[3] أقدم الجوامع في القطر التونسي بل هو أقدمها في العالم الإسلامي، وكان أهم مقر تقرأ به العلوم منذ تأسيسه، لكن التعليم لم ينتظم به إلا خلال فترة خلفاء بني حفص حيث تعشعشت أنواره بفضل ما أضافوا له من خزائن الكتب الجامعة وتفننوا في تحسينه وتعميره بالمجالس العلمية التي كان يترنم فيها بقراءة القرآن الكريم وتلاوة الحديث الشريف[4].

---

[1] سورة الجن الآية [18].

[2]- سورة الأنعام ، الآية،[162].

[3]بناه عبد الله بن الحبحاب في العصر العباسي عام 114هـ/752م، وأعاد بناءه محمد بن الأغلب عام 224هـ/840م، ولم يصبح جامعة حقا ويزدهر فيه التعليم إلا في عهد الحفصيين، ينظر السراج، الحلل السندسية المصدر السابق، ج1، ص ص ، 551–821.

[4] أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم ،المرجع السابق، ص 15.

وبالرغم ما أصيب به في نهاية القرن العاشر من ضعف نشاطه شأنه في ذلك شأن مختلف المعاهد العلمية بسبب الاحتلال الإسباني لتونس وانصراف الولاة العثمانيين عنه إلى جوامعهم التي أنشاؤها تبعا لسياسيتهم العلمية، لكن تاريخه الحافل الذي أمده بكثير من الأوقاف ومكانته في قلوب أهل البلاد جعله يصمد أمام هذا الإهمال، ولم تكن الدراسة في هذا الجامع مقتصرة على أبناء العاصمة، بل كان يؤمه الطلاب من كل مكان كما هو الحال مع الشيخ علي النوري والكثير من أقرانه وتلامذته[1] نظرا لتعدد القراءات فيه، وتنوع الدروس التي كان يقوم بها أشهر العلماء في عصرهم، وكثرة مؤلفاتهم العلمية من الكتب الدراسية التي خلفوها والمصادر العلمية المهمة التي حبسها عليه عدد من خلفاء بني حفص الذي تنافسوا في جعله من أعظم جوامع هذه البلاد وأشرفها وأبهجها كما يقول عنه عبد الباسط بن خليل المصري في رحلته إلى البلاد التونسية في أواسط القرن العاشر الهجري[2]، وكما وصفه الرحالة العبدري قائلا:"هذا الجامع من أحسن الجوامع وأتقنها وأكثرها إشراقا"[3] .

ولم يقتصر أمر الجوامع على الزيتونة فقط، بل كان التعليم نشيطا في الجوامع التي أنشأتها الدولة في ربوع البلاد، ولكن لم يكن منها من ينافس جامع الزيتونة[4] وعن هذه الجوامع[5] نذكر:

---

[1] أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم ،المرجع السابق، ص15.

[2] أحمد الطويلي، تاريخ مدينة تونس الثقافي ،المرجع السابق، ص ص 56-57.

[3] العبدري، المصدر السابق، ص 25.

[4]وقد بقي جامع الزيتونة محافظا على مكانته هذه ،فلم يزاحمه غيره حتى بني يوسف داي أحد أمراء الأسرة الحسينية جامع الحلفاويين، فكادت الدروس تنقطع منه لولا تدارك الأمر فيما بعد، =ينظر محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس تقديم وتحقيق حمادي الساحلي والجيلالي بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي بيروت، د ت ، ص 289.

[5]– لمزيد من المعلومات ينظر كتاب George Marçais l’architecture musulmane d’occident , edition Afrique orient , Paris,1955 , P41-42.

- **جامع القصبة:** ويسمى بجامع الموحدين أو الجامع الحفصي أو جامع أبي زكريا الذي أسسه، وهو من دون شك كان من الأماكن العلمية والنوادي الأدبية التي كان يشرف عليها السلطان بنفسه، حيث خصه أبو زكريا بعليه القوم من الموحدين والمقربين إليه من العلماء والأدباء الذين استدعاهم من داخل إفريقية والأندلس، كما كانت تقام فيه الدروس الخاصة بالمذهب الموحدي، وتجري فيه منافسات شعرية بين شعراءه من أمثال ابن عربية والكومي والأصولي، وابن أبي الحسين وابن الأبار وابن عميرة وابن سعيد وحازم القرطاجي وأحمد الغساني[1] ،وقد استطاع هذا الجامع منافسة جامع الزيتونة لكن هذه المنافسة لم تدم إلا لفترة وجيزة، لم تتجاوز عهد أبي زكريا الحفصي ، فما لبث جامع الزيتونة حتى رجع إلى مكانته الأولى[2] .

- **جامع الهواء:** ويسمى جامع التوقيف، بنته الأميرة عطف زوج أبي زكريا وأم الخليفة المستنصر سنة(650هـ/1252م) في عهد ابنها هذا بعد أن جاءته البيعة بالخلافة من مكة، أقامته في الحي السلطاني حيث كان يسكن عدد من أهل المخرن وشيوخ الموحدين وخدمة البلاط[3] على ربوة جنوبي القصبة أصبحت فيها قبلة للمتصوفين والمرابطين والمتعبدين الباحثين على خلوة الدرس والعبادة[4] وقد رتب فيه المستنصر دروسا في العلوم ومختلف الفنون حضي بها عدد من العلماء الوافدين من الأندلس، وتولى فيه التدريس من بعد المنتصر علماء من إفريقية كابن عرفة، وبعض تلامذته، وقد أنشأت الأميرة عطف بجواره مدرسة تعرف بنفس الاسم ولئن انقرضت اليوم المدرسة، فإن الجامع مازال شامخا،

---

[1] أحمد الطولي، المرجع السابق، ص ص 23-24.

[2]نفسه، ص 23.

[3] عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص124.

[4] نفسه، ص 124.

يمثل مع مدرسته مجمعا ثقافيا يعج بالطلبة وخاصة بأهل التصوف[1] منذ نشأته حينما اختار الشيخ أبو القاسم الزليجي مقر إقامته ونشاطه التصوفي قبالته[2].

– **جامع باب البحر:** أنشأه الداعي أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي سنة 682هـ/1283م) مكان فندق كان يباع به الخمر وترتكب فيه الفواحش[3] وقد أراد الداعي ببناءه له أن يجاري أبا زكريا الحفصي في تشييده لجامع القصبة، وكان يرغب من خلاله الى إقامة مركز علمي يضاهي به جامع الزيتونة والقصبة ويستقطب به نشاطا علميا يشع به على المدينة، لكن رجوع الحكم إلى أصحابه الشرعيين أسدل ستارا كثيفا على أعمال الداعي العلمية والثقافية وجعله قتالا سفاكا للدماء ظالما[4]وفي عهد الاحتلال الإسباني حول إلى مستودع لذخيرته ومركزا لعملياته[5] .

–**جامع أبي محمد:** يعرف باسم محمد عبد الله المرجاني المتصوف، الشاذلي الطريقة (ت 699 هـ–1299م) بني بباب السويقة في عهد الخليفة أبي حفص عمر، تولى فيه الخطابة والإفتاء والتدريس علماء من أمثال عبد الله البحيري مفتي جامع الزيتونة[6] ومحمد البيدموري مدرس المنتصرية وناظر الأحباس[7] كان قد اتخذه المرجاني محلا لتأديب العوام ونشر معرفة الحقيقة الربانية، كان يردد لأبي عبد الله بن سلطان أحمد مريدي الشاذلي

---

[1] أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي المرجع السابق، ص 24.

[2] نفسه، ص 25.

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

[4] الزركشي ،المصدر السابق، ص 47.

[5] عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص ص 124–125.

[6]ينظر ملاحظة المحقق ص 148 من كتاب الزركشي تاريخ الدوليين.

[7] أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم، المرجع السابق، ص 26.

قائلا:"نحن نؤدب العوام وأنتم تؤدبون الخواص"[1] ، وقد التجأ المرجاني إلى تأسيس مدرسة تتبع الجامع لدعم عمله التصوفي[2].

- **جامع باب الجزيرة:** يرجع بناءه إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، أسسه المتصوف أبو محمد المغربي بمشاركة أميرة حفصية، تولى فيه الخطبة والفتوى علماء أمثال الغافقي والزنديوي المدرسين بمدرسة المعرض والقاطنين بباجة[3] وقد أراد أبو محمد المغربي من خلاله أن ينافس المرجاني بتأسيس مركز تبث فيه علوم التصوف، فألحق بالجامعة مدرسة كانت معهد من معاهد العلم والمعرفة[4]وبهذا الجامع انتظم سلك للجوامع تحيط بالمدينة خارج السور وهي جامع الهواء وجامع باب البحر وجامع باب السويقة وجامع باب الجزيرة، مما مكن سكان الأحياء الخارجية بالإضافة إلى أداء فريضة الجمعة في أحسن الظروف[5] من تلقي العلوم وشتى المعارف، وقد أثرى هذا السلك بإنشاء جوامع أخرى في تونس وهي:

- **جامع سيدي يحيى السليماني:** في أطراف حي باب العسل، كان السليماني يعتكف فيه للتدريس والعبادة[6] ،وقد أحدث فيه الأمير عمر بن أبي بكر الخطبة سنة 747هـ/1346م[7] .

---

[1] ابن الطواح التونسي، سبك المقال لفك العقال، تقديم وتحقيق عبد الواحد الزغلامي، الاستاذ سعد غراب، 1978 نسخة مرفوقة بمكتبة الكلية، رقم 228.

[2] أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم، المرجع السابق، ص 26.

[3] محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، المصدر السابق، ص 181–182، أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس، المرجع السابق، ص 26.

[4] المرجع نفسه، ص 26.

[5] عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص 126.

[6] أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس، المرجع السابق ،ص 9.

[7] نفسه، ص 29.

- **جامع سيدي جعفر:** يقع في باب السويقة و يسمى ايضا به في سوق التبانين ويسمى أيضا بهم أي جامع التبانين، أنشأ فيه أبو عمرو عثمان الخطبة سنة 855هـ/1451م)[1]

- **جامع الحلق:** بسوق العصر بالباب الجديد ، أنشأته أمة زنجية كانت تملك حلقا ذهبيا وأسورة فابتاعتها لتقييم بثمنها هذا الجامع، وصار فيما بعد جامع خطبة[2] .

- **جامع القصر:** كان هذا الجامع مركزا علميا نشيطا يعج بالطلبة والدارسين وكان ملتقى للعلماء، جلس فيه للتدريس ابن الطواح مدة ثلاثة عشرة سنة [3] ومن أئمته ومدرسيه الذين كان لهم إشعاع علمي كبير عبد العزيز بن المعطي (ت 837هـ/1433م) كان يتزاحم الناس على حلقته لنبوغه العلمي الرفيع[4] .

ثالثا: المدارس:

تعد المدارس بعد جوامع الخطبة من المؤسسات التي نالت حظوة كبيرة ابتداءا من أواسط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ولم تظهر هذه المؤسسة بتونس إلا بعد أن قطعت شوطا بعيدا منذ ظهورها في المشرق الذي يعود بها إلى مائتي سنة[5] حيث ظهرت لأول مرة في خراسان بإيران ثم بالعراق وسوريا وأخيرا بمصر ومنها انتقلت إلى تونس[6] .

وقد أسس الخلفاء والأمراء والأميرات الحفصيين المدارس، وقد سنوا بذلك سنة حميدة لوزرائهم وأصحاب الجاه والثروة في عهدهم، فبنوا أيضا مدارس تنسب إليهم،

---

[1] أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس ،المرجع نفسه، ص29.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ابن الطواح، المصدر السابق، ص ص 148-149.

[4] الزركشي،المصدر السابق، ص 73.

[5] عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص 139.

[6] نفسه، ص139.

إشتهر أمرها في تدريس الفقه والحديث وتفسير القرآن[1] وقد كان إنشاؤها بمدينة تونس في البداية سعيا لخدمة الدعوة الموحدية، ورغبة في نشر المذهب الموحدي[2]، فقد رأى أبو زكريا الأول مؤسس الدولة الحفصية أن تثبيت قواعد حكمه لا يكون إلا بنشر المذهب الذي تستند إليه دولته، وذلك بإنشاء مدرسة يكون مسيطرا على التدريس فيها، فتعينه على الصمود في وجه المالكية لكون الحفصيين كانوا يعتبرون دولتهم وريثة الموحدين[3].

وهكذا أراد أبو زكريا الحفصي أن تكون المدرسة معهدا لفئة من الطلاب يتلقون فيها أصول المذهب الموحدي على أساتذة مناهضين للمالكية لكي يقوموا بدورهم في نشر المذهب بين جموع العامة التي ظلت متشبثة بالمذهب المالكي[4].

ولم يكن الغرض من إنشاء المدارس الحفصية مذهبيا فقط، "فقد كان يرمي أبو زكريا الأول من وراء تأسيسه للمدرسة الشماعية إلى تكوين موظفين أكفاء وإطارات مخلصين وأمناء لخدمته وخدمة دولته"[5] فقد كان يرى أن تلتزم المدرسة بمبادئ الحكومة واتجاهاتها أكثر من المساجد والزوايا[6]، ومع ذلك، فرغم تدخل الحكم القائم في نظام المدارس، إلا أن السلاطين الحفصيين لم يبنوا بمدينة تونس سوى المدرسة الشماعية، أما بقية المدارس فهي من إنشاء بعض الأمراء والأميرات والفقهاء، ففي حوالي 650هـ/1252م) بنت أم الخليفة المستنصر المدرسة التوفيقية وحوالي 680هـ/1281) أسس ابن السلطان أبي إسحاق المدرسة المعرضية، وللإشارة فإن بناء المدارس في هذه

---

[1] عبد العزيز الدولاتي، مدينة تونس في العهد الحفصي، المرجع السابق ، ص 139.

[2] محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص30.

[3] نفسه، ص31.

[4] نفسه ، ص 31، كذلك Brunschrig(R) ibn as-samma historien hafside.A.I.E.O 1934-1935.T.1.PP193-212.

[5] Brunschrig(R) quelque remarques historiques sur les medersas en tunisie R.T.N6 1931.pp261-285 .

[6] محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص31.

الفترة لم تعد له نفس الأهداف التي رسمها ابو زكريا لتشييده للشماعية إذ يبدو أن المدارس التي شيدت بعده كان الهدف منها أساس القيام بعمل خيري والتقرب إلى الله ، ثم أيضا التقرب من عامة الشعب، كما أن السلاطين الحفصيين لم يبقوا متشبثين مع الزمن بالمذهب الموحدي ومحتواه عكس ما كان عليه السلاطين الأوائل للدولة الحفصية ومن أشهر المدارس الحفصية نذكر:

- **المدرسة الشماعية:** [1] تعد من مدارس القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، أسست في حدود سنة(635هـ/1237)من طرف أبو زكريا يحيى الأول إبان فترة الإستقلال عن الدولة الموحدية أي بعد أن أتمم أبو زكريا بناء صومعة الجامع الموحدي سنة 633هـ/1235م)[2] الذي عرف بتشجيعه للحياة الثقافية من خلال جلبه لجمع غفير من مثقفي الأندلس الذين ساهموا في إعطاء الحياة الثقافية والعلمية أهمية بالغة، وصفه الزركشي في هذا الصدد قائلا:"كان فقيها عارفا ظريفا له شعر كثير مدون"[3].

وللإشارة لا يزال بناؤها إلى اليوم قائما يشهد على أناقتها وفخامتها، وهي لا تبعد عن جامع الزيتونة إلى بقليل من الأمتار، وقد تواصل بها عقد الدروس العلمية إلى القرن الماضي، ويخبرنا ابن الشماع في شأن ذلك قائلا :"لقد زارها البلوي بعد رجوعه من الحج سنة (739 هـ/1338م)، ونزل بها واجتمع بإخوانه من الطلبة والمدرسين وسر بوجودهم وعدم تفريق شملهم، والتقى بهم فيها مرة أخرى على المذاكرة والانتفاع"[4] . ومن أشهر مشايخها أبو القاسم ابن البراء الذي أخذ يسأل عن أحباسها لما وليها "فقيل له فيها الإمام

---

[1] كان هذا السوق يسمى في العهد الحفصي سوق الشماعين ثم انتقل بيع الشمع إلى العطارين ،ينظر محمد ابن خوجة، تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، تونس، 1939، ص ص 176–178.

[2] الطاهر معموري، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهد بن الحفصيين والتركي من سنة، 1206/603 إلى سنة 1705/117 الدار العربية للكتاب، د ت 1980، ص 81.

[3] الزركشي، تاريخ الدولتين ، المصدر السابق، ص 25.

[4] ابن الشماع ،الأدلة البينة النورانية، المصدر السابق، ص 45.

فقال: الطلبة كلهم عدول من خضر منهم يؤم، قيل له: فيها الوقاد فقال: لا حاجة إليه، من أتى يشعل الفتيلة والقنديل، وقيل له: فيها النقيب فقال: إنما كان النقباء في بني إسرائيل، هذا كله إسراف"[1] ومنهم أبو علي عمر بن قداح الهواري[2] قاضي الأنكحة بتونس المتوفى سنة(734هـ/1333م)، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري شيخ ابن عرفة وشارح ابن الحاجب الفرعي[3] ، سكنها ابن عرفة والبرزلي والأبي[4] وتولى التدريس بها أبو القاسم القسنطيني وأبوعبد الله البحيري[5] المتوفى سنة851هـ/1454م)، وعند وفاته خير السلطان أبو عثمان الأعظم فاختار الإمامة، وأضاف له المدرسة الشماعية[6] كما تولاها الشيخ محمد الزنداوي[7].

وقائمة أساتذة المدرسة الشماعية لا تقتصر على هؤلاء ،لأن مكانتها العلمية التي واكبت العهد الحفصي بأكمله، وامتدت حتى العهد التركي تجعلنا نتأكد من وجود عدد كبير من العلماء درسوا في رحابها، واستفاد منهم الطلبة[8] .

لهذه المدرسة تاريخ حافل جعل منها مدرسة هامة جدا، إذ ثبت أن هذه المدرسة كانت في العهد الحفصي على مستوى علمي يضاهي مستوى أهم الجامعات العلمية، فقد كان شيوخها يختارون من بين كبار العلماء والمدرسين الأجلاء، والدليل على ذلك أن أغلب مدرسيها كانوا تولوا خطة قضاء الجماعة أو قضاء الأنكحة أو الفتيا أو إمامة الجامع الأعظم، ولم يكن للمدارس الأخرى نفس المستوى الذي كانت عليه، إلا البعض

---

[1] محمد ابن عرفة ، التفسير مخطوط، عدد 10110 دار الكتب الوطنية، تونس، ص 116، ب.

[2] الزركشي، المصدر السابق، ص 70.

[3] نفسه،ص 71.

[4] محمد ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، المرجع السابق، ص ص 176–178.

[5] الزركشي، المصدر السابق، ص141.

[6] نفسه، ص 149.

[7] نفسه، ص 151.

[8] الطاهر المعموري، المرجع السابق، ص 82.

منها كالتوفيقية والعنقية والمنتصرية،ولذلك فمن المحتمل أن أهم العلماء قد تنافسوا على نيل منصب التدريس بالشماعية نظرا لأهميتها وللمداخيل التي تدرها على شيوخها، ونظرا أيضا للشرف الذي كان يلحق بهم من جراء تدريسهم فيها[1].

وتزخر المصادر في هذا المضمار بأسماء مدرسين كثيرين درسوا بها، وهي ظاهرة لا تتكرر بالنسبة إلى جل المدارس الأخرى، ولا شك أن هذا يدلنا على أهمية المدرسة التي يمكن مقارنة مستواها بالمستوى الجامعي في أيامنا هذه، خصوصا في الفترة الحفصية، إذ اعتبر الجميع هذه المدرسة أهم المدارس أثناء هذه الحقبة الزمنية[2].

ومن الملاحظ أن أغلب شيوخ الشماعية درسوا قبل تولي التدريس فيها أو بعده أو في آن واحد بمدرسة أخرى أو أكثر، وهي ظاهرة منتشرة بين جميع المدرسين الذين تولوا التدريس في عدة مدارس، وذلك حسب مشيئة صاحب السلطة، وقد اختير أغلب شيوخ الشماعية من بين قضاة الجماعة وأئمة جامع الزيتونة.

إلا أنه لم يصلنا اسم أول من تولى خطة التدريس بالشماعية، واسم أول شيخ وصلنا عن طريق المصادر ابن البراء التنوخي[3]، ومن الممكن أن القاضي أبا القاسم بن زيتون هو الذي تولى المدرسة من بعده[4] إذ لا نملك معلومات حول السنة التي بدأ فيها

---

[1] محمد الباجي: مدارس مدينة تونس في العهد الحفصي– ص136.

[2] نفسه، ص 136.

[3] هو أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز البراء التنوخي المهداوي، تولى قضاء الجماعة والفتيا بالزيتونينة، ولد بالمهدية حوالي 580هـ/1184م وتوفي بتونس سنة 677هـ/1278م، ينظر ابن خلدون: ج6، ص 670.

[4] هو أبو الفضل أبو القاسم بن أبي بكر بن مسافر بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الرفيع اليمني المعروف بابن زيتون ولد سنة 621هـ/1224م، وتوفي سنة 749هـ/1348م، تولى قضاء الجماعة ومنصب الفتيا وهو أول من أدخل مصنفات الفخر الرازي بعد عودته من المشرق ينظر ابن خلدون:=

التدريس بالشماعية، إلا أنه من الممكن أنه تولاها في آخر حياته ثم في بداية سنة 691هـ/1291م إلى أن انفرد بالمدرسة ابن قداح[1] المتوفى سنة 734هـ/1333م، لكن ليس لدينا أي معلومات عن السنة التي عين فيها ابن قداح للتدريس بالشماعية، غير أنه من الثابت أنه بعد وفاته مباشرة، تولى الشماعية وقضاء الجماعة في آن واحد محمد بن عبد السلام[2]، ومن الراجح أن قاضي الجماعة عمر بن عبد الرفيع هو الذي عين في هذه الخطة سنة 750هـ/1349م، أي بعد أقل من سنة من وفاة ابن عبد السلام ،وابتداء من سنة 765هـ/1363م إلى سنة 773هـ/1371م تولى التدريس بالشماعية، العالم ورجل السياسية ابن مرزوق الجد الذي نستطيع أن نقارنه بعبد الرحمن بن خلدون في بعض أوجه حياته السياسية.

إلا أننا لا نملك أية معلومات عن المدرس الذي تولى هذا المنصب مكانه بعد هجرته إلى القاهرة.

وبعد هذه الفترة من الفراغ تعلمنا المصادر، أن أبا مهدي عيسى الغبريني قد نصب للتدريس بالشماعية[3]، وعين لقضاء الجماعة سنة 785هـ/1383م، إلا أننا لا نعلم شيئا

=المقدمة، ص 397، وابن فرحون: الديباج ص 99، الزركشي: تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص ص 44–52، الغبريني، البستان، المصدر السابق، ص 114.

[1] هو أبو حفص عمر بن علي بن قداح الهواري، تولى قضاء الأنكحة وتولى الفتيا عدة مرات خلف ابن عبد الرفيع في قضا الجماعة 733هـ/1332م، توفي سنة 734هـ/1334م، ينظر الزركشي: تاريخ الدولتين، المصدر السابق ،ص 70، ابن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ص 187.

[2] هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري المنستيري، من أشهر علماء افريقية في العهد الحفصي ولد سنة 676هـ:1277م توفي بالطاعون سنة 749هـ/1348، ينظر ابن فرحون الديباج، المصدر السابق، ص 336، الزركلي: الأعلام ، المصدر السابق، ج7، ص 77.

[3]هو أبو إسحاق ابراهيم بن حسن بن عبد الرفيع، تولى قضاء الجماعة خمس مرات، وتولى الخطابة بالزيتونة 633هـ/1237–733هـ/1322م، ينظر الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 62، ابن أبي الدينار، المؤنس، المصدر السابق، ص 142، ابن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ص 142.

عن السنة التي تولى فيها هذه المهمة، فلربما بدأ قبل هذا التاريخ ومن الممكن أيضا أنه نصب في نفس الوقت الذي عين فيه للقضاء.

ومن الأدلة التي تدل على أهمية هذه المدرسة واهتمام النظام الحاكم بها، تدريس محمد الحسين أحد أعضاء العائلة الحفصية بها[1]، وعند وفاته سنة 839هـ/1435م عوضه السلطان أبو عمرو عثمان بقاضي الجماعة أبي القاسم القسنطيني[2]، ولما وافاه الأجل عين في منصبه الشيخ البحيري[3]، وبعد وفاته عين في جميع خططه[4] أبو العباس القلشاني[5]، وقد دام تدريس أحمد القلشاني بالشماعية ست سنوات، وعند وفاته أتى دور

[1] هو أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني حفيد صاحب عنوان الدراية ينظر الزركشي ،المصدر السابق ص 124– الرصاع– الفهرست، المصدر السابق، ص 180.

[2] هو أبو عبد الله محمد الحسين ابن الخليفة أبي العباس أحمد عم أبي عبد الله أبو السلطان أبي عمرو عثمان الذي لما تولى الحكم فر أبو عبد الله الحسين وبعض أولاده من تونس، إلا أن السلطان قبض عليه فهلك هذا المدرس في سنة 839هـ/1435، ينظر الزركشي: تاريخ الدولتين ،المصدر السابق، ص ص 136–137، محمد بن مخلوف، شجرة النور ، المصدر السابق، ص 245.

[3] هو أبو الفضل قاسم القسنطيني بن سالم الوشتاني، أخذ عن ابن عرفة وعيسى الغبريني والزغبي، ودرس عليه ابن ناجي، ولي قضاء الجماعة والإمامة بجامع الزيتونة سنة 833هـ/1429م، مات قتيلا بعد أن ضرب بمغروس اثر صلاة الصبح بالزيتونة ينظر الرصاع :الفهرست، المصدر =السابق، ص126، الزركشي: تاريخ الدولتين، المصدر السابق ، ص 128–140، والتنبكي: نيل الابتهاج، المصدر السابق ،ص 22، الوزير السراج، الحلل، المصدر السابق، ج1، ص 613.

[4] هو أبو محمد عبد الله بن سليمان بن قاسم البحيري أصيل بنزرت، عين في قضاء الأنكحة، وتولى التدريس بالشماعية والخطابة والفتيا بالزيتونة. وولي الفتيا بالزيتونة سنة 852هـ/1448م ينظر الرصاع: المصدر السابق ، ص 78. الزركشي: تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص ص 135– 140.هـ

[5] هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد القلشاني، ولد سنة 779هـ/1377م بباجة، عين في مناصب عديدة من بينها القضاء بقسنطينة مدة 17 سنة، ثم انتقل إلى تونس ثم درس بمدرسة سيدي محرز وبعد ما تولي المدرسة المنتصرية وقضاء الجماعة عام 851هـ/1447م، ثم عين في جميع=

الشيخ الزنديوي للتدريس بها[1]. وهنا نلاحظ لأول مرة، أن مدرسا ورث منصب والده في التدريس بالشماعية، إذ بعد موت أبي عبد الله عين ابنه أبو الحسن في جميع وظائفه[2] إلا أنه لم يبق طويلا في الشماعية إذ عزل عن جميع وظائفه خلال سنة 875هـ/ 1470م)، وأخذ مكانه الشيخ أبو عبد الله محمد الرصاع[3].

– **المدرسة التوفيقية:** تسمى أيضا مدرسة جامع الهواء، بنتها مع الجامع المسمى بجامع التوفيق الأميرة عطف[4] زوجة أبي زكريا الحفصي وأم المستنصر الذي وصف ابن قنفذ أيام تونس في عهده على أنها :"كانت أيام أعياد وأعياد، أيام كانوا يبثون المكارم بثا ويفيضون الإحسان فيضا، اقتنى الرجال بهم الأموال، ونال أهل الانقطاع إليهم كبار الآمال"[5]، أما عن تأسيسها، فيرجح أنها تأسست قبل(657هـ/1261م) وهو تاريخ وفاة أول مدرس بها وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعموري الإشبيلي[6] أما برنشفيك فيستدل على أنها بنته بعد وفاة أبي زكريا الحفصي، وذلك في عهد المستنصر

=خطط البحيري، له عدة تآليف هامة درس البعض منها في مدينة تونس منها مختصر الفقه لابن الحاجب، ينظر الزركشي: المصدر السابق، ص 19، القلصادي، المصدر السابق، ص 116.

[1] هو أبو عبد الله محمد الزندوي بن محمد بن عيسى العقدي التونسي ولد بقسنطينة، قدم إلى تونس فتولى مدرسة المعرض والخطابة والفتيا بجامع باب الجزيرة والقضاء بباجة، ينظر الرصاع المصدر السابق– ص 137، الزركشي: المصدر السابق ، ص 135.

[2] المصدر نفسه، ص158.

[3] هو أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري، عرف الرصاع من أشهر علماء مدينة تونس تولى التدريس بالمدرسة الشماعية ، صاحب الفهرست ينظر السخاوي، الضوء اللامع –ج8، ص 287.

[4] هي جارية من بني الجلالقة، أهداها بعض أجداد ابن خلدون إلى أبي زكريا أيام ولادته بإشبيلية، اتخذها أم ولد وكان له منها أبو يحيى زكريا وولي عهده المتوفى في أيامه وأخواه عمر وأبو بكر ينظر ابن خلدون، التعريف، ص 11.

[5] ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق، ص ص 140–141.

[6] أحمد الطويل، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس، المرجع السابق، ص 39.

قبل جمادى الثانية(659هـ). بين سنة(648هـ و659هـ/1250-1260)[1] وقد كانت قبالة زاوية الشيخ أبي القاسم الزليجي[2] أهم المدرسين بها فنذكر ابن سيد الناس الحافظ الرواية والأديب الشاعر (ت 659هـ/1261م) الذي استدعاه المستنصر الحفصي ليدرس الحديث بها، كما تولى التدريس بها محمد بن نصر البسكري والإمام ابن عرفة (ت 803هـ/1400م) وكانت دروسه فيها من بعد صلاة الصبح إلى الزوال في فنون مختلفة يبدؤها بالتفسير، أخذ عنه فيها الأبي وسائر تلاميذته وأصحابه وكان هؤلاء التلامذة يسكنون بها[3] ومن مشايخها أيضا في أواخر العهد الحفصي أبو عبد الله محمد المسراتي (ت 848هـ/1444م) ثم أخوه أبو العباس أحمد المسراتي الذي تولى الخطبة بالجامع الأعظم بعد وفاة الإمام أبو عبد الله محمد المسراتي[4].

- **المدرسة المعرضية:** هي من أقدم المدارس في العهد الحفصي، أسسها الأمير أبو زكريا يحيى بن الخليفة الحفصي أبي إسحاق إبراهيم بن أبي زكريا في حدود 680هـ/1281م) مكان فندق لبيع الخمر بسوق الكتبيين، ويفترض برنشفيك أنها بنيت قبل فرار أبيه من الداعي أحمد بن مرزوق ابن عمارة المسيلي(681-683/ 1283-1284م)[5].

ويفيدنا الزركشي أن مؤسسها الأمير أبا زكريا كان يتابع الدروس من خلال نافذة تشرق على المدرسة ويحضر بصورة منتظمة دروس يومي الإثنين والجمعة وكان يوزع على التلاميذ قطع الذهب والفضة سعيا لاستجلابهم ويخصص لهم وجبات الأكل فأقبلوا من كل المدارس حتى لم يبق فيها مكان وعين لها مدرسا أبا العباس أحمد الغرناطي

---

[1] الطاهر المعموري، المرجع السابق، ص 83

[2] نفسه،الصفحة نفسها.

[3] الأبي، إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، مصر، 1328، ج6، ص33.

[4] الطاهر المعموري، جامع الزيتونة،المرجع السابق، ص 84.

[5] Brunschvig ، merolsa.opcit.p267.

صاحب كتاب المشرق في علماء المغرب والمشرق وأجرى على المدرس رزقا كثيرا قدره عشره دنانير في الشهر"[1].

أما فيما يتعلق بأسماء من درسوا بهذه المدرسة، فإننا لا نملك معلومات تكشف لنا عن ذلك سوى ما ذكره الرحالة البلوي قائلا :"من أنه لقي في وجهته المشرقية أبا عبد الله بن عبد الستار في مدرسة الكتبيين التي استوطنها وسمع عليه كثيرا في التفسير والحديث والفروع والأصول وانتفع به"[2] وما ذكره الزركشي قائلا:"من أن الفقيه أبا عبد الله محمد الزندوي تولى التدريس بمدرسة المعرض"[3] أو ما أشار إليه الرصاع قائلا :"من أن عبد الله محمد الباجي كان أحد مدرسيها"[4].

– **المدرسة العصفورية:** ويرجح أنها منسوبة إلى الأديب النحوي أبي الحسن علي بن عصفور (ت669هـ/1270م) صاحب كتاب المغرب في النحو، وهي تقع بدرب ابن عبد السلام قرب جامع الزيتونة[5] ،ويحتمل أن تكون المدرسة من تأسيس الجالية الأندلسية الوافدة على تونس، فسميت باسم أحد علمائها أو لعله كان أول من نصب للتدريس بها فنسبت إليه[6] ويشير صاحب تراجم سبك المقال حولها قائلا :"أنه كانت تدرس فيها تآليف ابن عصفور النحوية والصوفية ومصنفات الأدباء الأندلسيين ودواوينهم خاصة شعر حازم القرطاجني وابن الأبار وابن حبيش ابن الغماز وأبي المطرف بن عميرة"[7].

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص51.

[2] خالد البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مخطوط، عدد 14792، المكتبة الوطنية تونس 16ب، 17أ

[3] الزركشي،تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص145.

[4] الرصاع، المصدر السابق م1 ،ص185.

[5] محمد السراج، المصدر السابق، ج1، ص518.

[6] محمد بن الخوجة، المرجع السابق، ص 180، الطاهر المعموري، المرجع السابق، ص 86.

[7] ابن الطواح، المصدر السابق، ص 228.

- **المدرسة العنقية:** هي من مدارس القرن الثامن الهجري/ 14م)تسمى أيضا مدرسة عنق الجمل[1] لموقعها في نهج يشبه عنق الجمل في انحنائه وتعريجه، أسستها الأميرة الحفصية فاطمة ابنة أبي زكريا الحفصي أخت السلطان أبي يحيى أبي بكر المتوكل على الله وابنة أم الخلائق التي أهداها أحد أجداد ابن خلدون إلى أبي زكريا يحيى الحفصي سنة(742هـ/1341)م، وكانت قد انتدبت لإرادتها وللتدريس بها قاضي الجماعة محمد بن عبد السلام الهواري والذي يذكر لنا الزركشي بشأنه على أنه :"كان يدرس بالمدرسة الشماعية، ولما بنت أخت السلطان أبي يحيى مدرسة عنق الجمل طلبت من أخيها أن يكون قاضي الجماعة ابن عبد السلام بمدرستها فأسعفها، فكان يقسم الجمعة بين المدرستين الشماعية والعنقية"[2]، لكن سرعان ما تم عزله من منصبه وتعويضه بالشيخ محمد بن سلامة بسبب اتهامه بالتفريط والتقصير من قبل الأميرة الحفصية[3].

تعتبر العنقية من بين المدارس التي كان لها شيء من الأهمية، إذ درس فيها مشاهير العلماء بإفريقية في العهد الحفصي،وأول من تولى من الشيوخ التدريس بها هو قاضي الجماعة محمد بن عبد السلام، إلا أن مدته لم تطل بها إذ اتهمته مؤسسة المدرسة بالتفريط وعوضته بأبي عبد الله محمد بن سلامة كما سبق وذكرنا، وقد كان تقدمه للتدريس بها بعد سنة(742هـ/1341م) وهي سنة تأسيس المدرسة العنقية وقبل سنة 749هـ/1348م) سنة وفاته[4]، وكذلك من بين الشيوخ الذين درسوا بها تلميذ ابن عرفة وقاضي الجماعة أبي مهدي عيسى الغبريني الذي دام تدريسه بها حتى سنة وفاته أي سنة(813هـ/1410م)، وعند وفاته قدم السلطان أبو فارس عبد العزيز أبا عبد الله محمد

---

[1]الزركشي ، المصدر السابق، ص 71-77، السخاوي، المصدر السابق،ج8، ص107.

[2] الزركشي، تاريخ الدولتين،المصدر السابق، ص 71.

[3] نفسه الصفحة نفسها.

[4] محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص 177.

القلشاني[1] للتدريس فيها، وعند وفاته سنة 837هـ/1433)م تولى عوضه قضاء الأنكحة والتدريس بالعنقية ابنه أبو حفص عمر، وكان قد ناب والده في المدرسة قبل وفاته وذلك أثناء مرضه[2] وبعد موت أبي حفص عمر، نصب عوضه للتدريس في نفس المدرسة ابنة أبو عبد الله محمد[3] وهكذا نرى أن عائلة القلشاني قد استحوذت على التدريس بالعنقية مدة طويلة .

أما عن طلبتها الذين درسوا بها فنذكر محمد الواصلي الذي أخذ عن عمر القلشاني الذي أخذ عنه بالعنقية أبو العباس أحمد السلاوي، وابن عرفة الذي درس فيها على ابن سلامة، كما درس بها أبو عبد الله الرصاع عدة سنوات[4].

– **مدرسة ابن تافراجين:** أسسها حاجب الخليفة أبو محمد عبد الله ابن تافراجين المتوفي سنة 766هـ/1364[5] أما عن موقعها، فيذكر السراج :"أنها تقع بقنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة[6]،إلا أنه وعلى الرغم من أهمية هذه المدرسة، فلم تمدنا المصادر إلا بأسماء أربعة شيوخ درسوا بها وهو البرزلي، وكذلك حفيد مؤسس المدرسة العصفورية ابن عصفور الذي ولي التدريس فيها بعد الشيخ أبي القاسم وعند موته تقدم إلى منصبه أبو

---

[1] أبو عبد الله القلشاني ولد سنة 753هـ/1352م بباجة وأخذ عن ابن عرفة وابن حيدرة وغيرهم ،ولاه أبو فارس قضاء الأنكحة تعويضا للزغبي الذي تولى قضاء الجماعة وفي آن واحد صدره للتدريس بالعنقية، ينظر الرصاع ،فهرس الرصاع، المصدر السابق، ص ص164

[2] محمد باجي بن مامي، المرجع السابق، ص 177.

[3] أبو عبد الله محمد بن أبي حفص عمر القلشاني، أخذ عن والده وعن عمه وعن البرزلي تولى قضاء الجماعة بعد إقصاء عمه أبي العباس عنها، توفي سنة سنة 890هـ/1485، ينظر التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 323، محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 951

[4] محمد الباجي ، المرجع السابق، ص 179.

[5] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ،ج6، ص 856، الزركشي، المصدر السابق، ص101.

[6]تقع اليوم بنهج سيدي ابراهيم الرياحي بمدينة تونس وبها قبر مؤسسها،ينظر محمد الباجي ،المرجع السابق،ص 180.

عبد الله محمد الغافقي وحول ذلك يعلمنا السنوسي:"أنا ابن عصفور ترك ابنا، تولى هو الآخر مشيخة مدرسة ابن تافراكين ثم خطبة وإمامة جامع الزيتونة"[1].

أما عن طلبتها، فقد أمدنا الرصاع باسمي طالبين حضرا دروس البرزلي بهذه المدرسة وهما الشيخ أبو الحسن على العلوي، وكان يعد من بين الأولياء الصالحين، وكذلك الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد بن محمد بن مسعود الجزيري[2]، كما درس الرصاع هو الآخر على البرزلي، واخذ عنه عدة مصنفات في كتب الحديث ذكرها مفصلة من أهمها الصحاح الس

ويعلمنا البرزلي بوجود بعض الموظفين في مدرسة ابن تافراجين فمع المدرس والناظر، كان يوجد مؤذن وبواب وإمام، وكذلك نقيب وقارئ[3].

- **المدرسة المنتصرية:** تعد من أشهر مدارس القرن التاسع الهجري/15م، شرع في بنائها الخليفة محمد المنتصر سنة 838هـ/1434م، وهي أول مدرسة تسمى باسم أمير حفصي[4]، وقد أكمل بنائها بعد وفاة المنتصر شقيقه الخليفة أبو عمرو عثمان سنة 841هـ/1436م، وقد أوقف عليها أوقافا حتى عمرت عمارة قوية وأصبحت تحتوي على 366 بيتا، ورتب بها السلطان دروسا، وعين بها مدرسين حسب تعبير ابن الشماع الذي ذكر بشأن الخليفة أبو عمر عثمان ما يلي:" أنه من مآثر أبي عمرو عثمان تكملة بناء مدرسة سوق القلعة التي شرع في بناءها المنتصر، فأكملها على أكمل بناء وأتقنه وأوقف عليها وقفا كافيا لها ولمن بها من الطلبة"[5].

---

[1] محمد السنوسي، مساهرات الظريف، م1، تونس، 1298، ج1، ص ص 107–116.

[2]نفسه ، ص 103.

[3] البرزلي: الحاوي، ج4 ورقة 61ب، الباجي بن مامي: المرجع السابق، ص 191.

[4] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 155، الزركشي ،المصدر السابق، ص 132.

[5] ابن الشماع، المصدر السابق، ص164.

لقد بلغت هذه المدرسة أهمية كادت أن تضاهي بها أهمية المدرسة الشماعية، فقد عين للتدريس بالمنتصرية شيوخ نستطيع أن نعدهم من خيرة علماء إفريقية نذكر منهم محمد بن عقاب الذي قدمه الخليفة أبو عمرو عثمان للتدريس بها، وأحمد القسنطيني قاضي الأنكحة وأحمد القلشاني كما اشتغل الإمام الرصاع فترة من حياته معيدا بها[1] وقد اقتدى أبو عمرو عثمان بعمل شقيقه فأسس مدرسة أخرى تضاهيها سميت باسمه وهي المدرسة العثمانية[2] .

وهكذا فقد كان إنشاء هذا الزخم من المدارس عامل من عوامل إزدهار الحياة العلمية بتونس ساهم في إقبال الطلبة من كل بلاد المغرب الإسلامي على طلب العلم والرغبة في الاستزادة، وذلك من خلال توفير بيوتات سكنية لطلبة العلم القادمين للدراسة من خارج المغرب الأدنى، والذين ينتمون في غالب الأحيان إلى الطبقة الضعيفة التي لا يمكن لها توفير معلوم الكراء بسهولة، وبذلك سهلت لأهل البوادي والمدن الصغيرة وحتى من المدن الكبرى الأخرى مزاولة التعليم والأخذ عن علماء عصرهم في تونس، وزيادة على وظيفتها الدراسية والسكنية، فقد ساهمت في تكوين موظفين مخلصين للعمل لفائدة النظام المركزي وتحديدا المدارس التي تأسست في بداية العهد الحفصي من طرف السلاطين الحفصيين على عكس تلك التي أسسها بعض الأثرياء احتسابا لوجه الله تعالى وطلبا للمثوبة والتي اقتصر دورها على نشر العلم فقط

رابعا: المكتبات والخزائن العامة

لم يهتم الحفصيون في أول الأمر بتأسيس المكتبات بجامع الزيتونة، و إنما فكروا في مكتبات خاصة بهم ومن ذلك نذكر:

[1] أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس، المرجع السابق، ص 46.

[2]نفسه، ص 46.

-مكتبة أبي زكرياء الأول:

و تعرف بخزانة القصبة (قصر الحكم) بتونس أنشأها أبو زكرياء يحي الأول الحفصي مؤسس الدولة الحفصية سنة (627هـ / 1229 م) و قد إحتوت على أكثر من ثلاثين مجلد، و قد كان جمعه لهذا الكم الهائل من الكتب ناتج عن ولوعه بالكتب وحرصه الكبير على إقتنائها من كل مكان، ويذكر العمري في شأنه قائلا: "و كان من إهتماماته اليومية سؤال صاحب العلامة عن الكتب الواردة من البلاد و عما تحتاج إليه خزانه الكتب"[1] و منه يتضح أنه كان يزود مكتبته دوما بالجديد و يستفسر عن طلبات القراء و ما تتطلبه من نفقات و ما يلزمها من خدمات و بهذه الطريقة جمعت مكتبته ذلك العدد الهائل من الكتب[2] خلفها لابنه المستنصر، فكانت أعظم مكتبة في عصره، وأصبح يؤمها طلبة العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامي للإستفادة من كنوزها،بعد أن إنقرضت مكتبة بغداد على إثر غزو التتار لها و إضمحلت مكتبة قرطبة بإحتلال النصارى لها، وبيعت كتب المكتبة الفاطمية بمصر بعد زوال دولة الخلفاء الفاطميين بها[3]" ،غير أن أبا زكرياء يحي اللحياني الحفصي (711-717هـ / 1311-1317م) لما أيقن إفلات زمام الحكم من يده، جمع أموالا كثيرة و أخرج كل الكتب المحتواة بهذه الخزانة للكتبيين بتونس فباعها و غادر تونس إلى الإسكندرية، و حول هذه الحادثة يشير الزركشي قائلا: "ثم إن السلطان أبا يحي زكرياء جمع الأموال وباع جميع الذخائر التي كانت في القصبة و حتى

1-شهاب الدين العمري، وصف إفريقية و المغرب و الأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة ،مقتطف من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار تعليق حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة ،تونس، دت، ص 25.

[2]-ابن الشماع: المصدر السابق، ص 46، ابن قنفد، الفارسية، المصدر السابق، ص 113.

[3]-أحمد الطويلي: الثقافة و التعليم بمدينة تونس، المرجع السابق، ص 55.

الكتب التي كان الأمير أبو زكرياء الأكبر قد جمعها، و أخرجت للكتبيين"[1] و قد مضى وقت طويل حتى تمكنت من إستعادة مكانتها.

-المكتبة الفارسية:

و تعرف بمكتبة دار الكتب ،يعود ظهورها إلى عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز الحفصي الذي ذكره صاحب المؤنس قائلا في شأنه: "أنه كان مغرما بالكتب ملازما لقراءة العلم بين يديه في الإقامة والسفر"[2] و لذلك فقد أمر في أول عهده سنة 822هـ / 1419 م) بإنشاء مكتبة داخل حرم جامع الزيتونة، و عند إنتهائه من أشغالها في أواخر ربيع الثاني من نفس السنة هبط إليها ما عنده من الكتب، وجعل لها خدمة وأمر أن تفتح أبوابها كل يوم من آذان الظهر إلى صلاة العصر وإشترط عدم إعارة كتبها، و مع مرور الزمن شهدت خزانة دار الكتب أو المكتبة الفارسية كما تعرف تطورا حتى أصبحت تشتمل على ما يربو عن مائتي ألف مجلد و حول هذا يشير الزركشي قائلا: "وكانت هذه المكتبة تحتوي على مؤلفات في العلوم الشرعية و العربية و اللغة والطب و الحساب والتاريخ و الأدبيات و غير ذلك"[3] ،الأمر الذي زاد في شهرتها و جعلها قبلة لطلبة العلم الشغوفين على التحصل و حب الإطلاع والإستزادة بما فيهم طلبة المغرب الأوسط.

أما عن سبب توفرها على هذا العدد الهائل من المؤلفات فيعود إلى تزويدها من طرف الكثير من علماء الدولة الحفصية و أدبائها بتأليفهم الخاصة و التي سماها بعضهم بإسم السلطان الحفصي أبو فارس من ذلك كتاب "الفارسية في مبادئ الدولة

---

[1]-الزركشي: المصدر السابق، ص 63.

[2]-إبن أبي دينار، المؤنس، المصدر السابق، ص 350.

[3]-الزركشي ، المصدر السابق، ص 116.

الحفصية" لإبن قنفد، و "المختصر الفارسي" في الطب لمحمد بن محمد بن عثمان الشريف التونسي.[1]

-المكتبة العثمانية:

و تعرف بخزانة الكتب بجامع الزيتونة، تنسب للسلطان أبي عمرو عثمان الذي أمر ببنائها في أوائل سنة(854هـ / 1450م)، شرقي جامع الزيتونة و فرغ منها في رجب من نفس السنة.[2]

و نظرا لإزدهار تجارة الكتب في أيام أبي عمرو و عثمان، فقد إحتوت هذه المكتبة على عدد هائل من المؤلفات التي تتصل بالعلوم الشرعية و اللغة و التاريخ والطب و الحساب و غير ذلك[3] وقد أثرت هذه المكتبة بما أهداه إليها بعض العلماء والأدباء في تأليفهم مثل تلك النسخة المذهبة في سبعين ورقة ذات الخط الجميل و التي تحتوي على جملة من الحكم المفيدة التي أهداها الأديب محمد بن محمد المشدالي البجائي إلى خزانة أبي عمرو و عثمان سنة (866هـ / 1461م)[4] ،كما يفيدنا صاحب الفهرست عن سر

3-هاجر صاحب هذا التأليف إلى الحجاز سنة 800، ألفه بعرفات حين سمع بها الدعاء للسلطان الحفصي، فشعر بأنه "أحق من يرغب في التقرب بمقام و الخطوة لديه دون غيره من الملوك يحتوي المختصر الفارسي على المقالتين 1.تدبير الصحة، 2.تدبير الهواء عند حدوث الوفاء ينظر مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 10865.

[2]-الزركشي،تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص 144.

2-حسب إبن أبي الدينار، فإن هذه الكتب لم يبق منها شيء، و تلاشت لما ملك الإسبان تونس، ينظر أبن أبي الدينار المؤنس،المصدر السابق،ص139، الوزير السراج، الحلل السندسية، المصدر السابق، ج4، ص 1083.

[4]-مخطوط رقم 5090، بدار الكتب الوطنية، تونس.

ثرائها هذا بقوله: "فكانت المراكب تأتي محملة أحيانا بها، و يقصد بها الكتب و من ذلك خزانة وردت من الأندلس و فيها بعض الكتب المفقودة من العاصمة".[1]

و هكذا فقد ساعدها هذا التمويل بمختلف المؤلفات على أن تكون كغيرها من المكتبات الحفصية الأخرى قبلة لتوافد العديد من طلبة العلم من كل حدب و صوب للإستفادة من ذخائرها وكنوزها المعرفية وعلى رأسهم طلبة المغرب الأوسط المولوعون بحب الإطلاع و المعرفة.

-المكتبة العبدلية:

أسسها أبو عبد الله محمد بن الحسنى بن المسعود بالله بن أبي عمرو عثمان سنة(905هـ / 1499م) بجامع الزيتونة بتونس و قد حملت إسمه (المكتبة العبدلية) هي لا زالت قائمة إلى اليوم.[2]

و قد أثرى أبو عبد الله محمد مكتبته هذه بأهم الكتب في شتى الفنون و جعل لها قومة يقومون بها، و وقت للمطالعة فيها حدده عند أذان الظهر و بعد صلاة العصر، وأوقف عليها وقفا يموينها، وجعل سقاية بأسفل منها للمطالعين بها، و كلف إمام جامع الزيتونة أبا البركات بن عصفور برعاية شؤونها[3] و في هذا الصدد يذكر إبن أبي الدينار قائلا في شأنها : "أن أبو عبد الله محمد هو الذي بنى المقصورة بطرف صحن الجامع الأعظم بتونس من الجهة الشرقية مما يلي الجوفي...على سوق العطاريين و سوق الطيبين و جعل فيها كتبا مفيدة، و جعل سقاية بأسفل منها مما يلي الشرقي، حيث كانت

---

[1]-الرصاع، الفهرست، المصدر السابق، ص 148.

[2]-عبد الرحمن الغزاوي، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج، ط1، الأردن، 2011، ص 158.

[3]-أحمد الطويلي، مراكز الثقافة و التعليم ، المرجع السابق، ص 61.

سقاية المولى المستنصر بالله ،و جعل النظر لإمام الجامع الأعظم و كان الإمام انذاك العالم العلامة أبو البركات بن عصفور".[1]

و بالإضافة إلى هذه المكتبات الثلاث نجد مكتبات أخرى مهمة بمختلف المدارس التي أنشأها بنو حفص و وزراؤهم خاصة التوفيقية و العنقية و مدرسة إبن تافراجين و مدرسة القائد نبيل بوقطاية ومدرسة المعرض التي تحتوي على كتب نفيسة في كل فن من فنون العلم[2] و قد زود كثير من علماء الدولة الحفصية و أدبائها هذه المكتبات بمؤلفاتهم الخاصة.[3]

و بفضل هذه الوفرة من المكتبات و الخزائن إستطاع المغرب الأدنى أن يجلب أنظار علماء المغرب الإسلامي و خاصة منهم أولائك المتعطشين لحب الإطلاع والإستزادة العلمية من علماء المغرب والأوسط بالرغم مما كانوا يمتلكونه من معارف كانوا قد حصلوها بمسقط رأسهم عن الوطن الأم.

4-نظام التعليم في المؤسسات التعليمية:

شهدت الثقافة بالمغرب الأدنى نهضة شاملة، كان من مظاهرها اتضاح الشخصية العلمية بالمغرب الأدنى، وقد تضافرت أسباب عدة في قيامها كان من أبرزها النظام التعليمي المضبط الذي ألزمتهم به المؤسسات التعليمية التي عرفها المغرب الأدنى، والخاضع لجملة من التعليمات التي كان ملزم بها الطالب من بينها:

-الالتزام والعكوف على القراءة من الصباح إلى المساء، وفي مختلف العلوم.

---

[1]-إبن أبي الدينار، المصدر السابق، ص 142.

[2]-الزركشي،تاريخ الدولتين ، المصدر السابق، ص 51.

2-نذكر من ذلك كتاب "القدح المعلى في التاريخ المحلى لإبن سعيد، ألفه للسلطان أبي زكرياء يحي بن المستنصر وتاريخ إبن خلدون أهداه لأبي العباس أحمد ينظر برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 374.

-التوبيخ عند التقصير في الدرس.

-تحديد مدة الدراسة في هذه المراكز بخمسة سنوات، وهو ما جعل ابن خلدون يقول في شأن ذلك :"أن هذا دليل على تفوق أهل تونس، لأن الدراسة في بلاد المغرب ستة عشر عاما مع تنوع برامج الدراسة كذلك"[1].

أما بالنسبة للعطل، فهي قليلة إذا ما قيست بالعطل في الوقت الحاضر، فقد شملت أيام الأعياد (عيد الفطر وعيد الأضحى المباركين) إضافة إلى يومي الخميس والجمعة، ويبدو أن المدارس شددت على هذا النظام حيث كان بعض الشيوخ يضيفون يوم الاثنين إلى يوم الخميس والجمعة [2].

وللإشارة، فقد كانت بعض المدارس بيوت لإيواء بعض الفقراء ملحقة بها وعلى الرغم من معاينة الطلاب من الفقراء إلا أنهم كانوا مقبلين على العلم برغبة وحب، وكان الشيوخ يقدمون لهم العون إذا لمسوا منهم الحاجة[3].

ومن جهة أخرى، لم تكن الامتحانات الحالية مأخوذا بها آنذاك، وإنما هناك (إجازة) من الشيخ إلى تلاميذه الذين استطاعوا التفوق والإتقان والحفظ فيمنحون رخصة تسمح لهم بالتدريس[4] مكان شيوخهم وهي رخصة عرفت بالإجازة [5]، وكان الطلبة لا

---

[1]ابن خلدون، المقدمة، ص 436.

[2] روبرت برانشفيك ، المرجع السابق، ج1، ص 378.

[3] ابن ناجي: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي، دار الفكر، تونس، 1914، ج4، ص 111.

[4] الغبريني: المصدر السابق، ص ص 149-156.

[5] الإجازة :هي إذن وتصويغ أي إذن من المعلم لتلميذه بنقل العلم عنه، وقد بدأت مع علم الحديث ، ينظر ابن فرحون، الديباج ، المصدر السابق، ج2، ص252.

ينتقلون من أهم المراكز العلمية الموجودة مثل القيروان إلى العاصمة لمواصلة دراستهم إلا لمن يريد مزيد من التحصيل في القضاء أو طلب الشهادة أو هما معا[1].

أما عن طريقة التدريس فلم يكن هناك طريقة معينة ولا منهج متبع، بحيث لم يكن هناك كتب محددة للدراسة، وإنما لكل شيخ طريقته ومنهجه في التدريس فمثلا الشيخ محمد الرماح كلف تلاميذه بأن يتولوا عنه كل صباح تدريس التفسير والحديث وفروعهما، وكلف آخرين بتدريس النحو والفرائض والحساب، وكان كل يوم جمعة يجتمع مع هؤلاء المدرسين فيعرضون عليه ما أشكل عليهم، أما الشيخ عبد الله الشبيبي[2]، فكان يجلس بعد صلاة الصبح، فيبدأ الحصة الأولى التي يخصصها لتفسير بعض الآيات القرآنية ، ثم الحصة الثانية التي تستمر إلى أذان الظهر وتخصص للفقه ومبادئه، وكان يحضر هذه الحصص خمسة عشر طالبا من الطلبة المبتدئين[3]، أما الحصة الثالثة فهي مخصصة للطلبة الكبار الذي يبلغ عددهم نحو العشرة ثم يصلي الشيخ الظهر، ثم يتناول طعامه، وقبل أذان العصر بقليل يتولى تعليم تجويد القرآن إلى أذان المغرب، حيث يتحول إلى زاوية من الزوايا للقيام بالتعليم، ولا يعود إلى بيته إلا بعد العشاء، حيث يعد الدروس التي سيلقيها في الغد[4].

---

[1] ابن ناجي : المصدر السابق، ص 265.

[2] عبد الله محمد بن يوسف البلوي الشبيبي، مقرأ وفقيه وراوية ،أخذ عنه ابن ناجي، وله مؤلفات منها شرح الرسالة وشروط التكليف، توفي في 782ھ ينظر محمد محفوظ، تراجم المؤلفين، المرجع السابق، ص 145.

[3] ابن ناجي، امصدر السابق، ج4، ص 206.

[4] نفسه، ج4، ص 225.

ويتضح أن الطريقة السائدة هي طريقة الإلقاء والتي تتمثل في إلقاء الشيخ بعض الأسئلة على تلاميذه ومناقشتهم في المواضيع المطروحة[1].

وعليه نستنتج أن الحياة العلمية بالمغرب الأدنى قد شهدت نهضة ونشاط ثقافي مهم، جعل منه مركز إشعاع حضاري عظيم وذلك بفضل تلك المؤسسات التعليمية المتنوعة من زوايا وجوامع ومدارس ومكتبات، كما كان للنظام التعليمي الذي انتهجته الدولة دورا كبيرا في جعل الطلبة يقبلون من كل مكان لطلب العلم والتحصيل، وبالتالي صار المغرب الأدنى قبلة لتوافد العديد من العلماء والمفكرين.

ثانيا: الرغبة في الإستزادة العلمية و لقاء الشيوخ

1-الرغبة في الإستزادة العلمية:

لم يكتفي علماء المغرب الأوسط بتلك المعارف التي حصلوها داخل إقليمهم على كبار شيوخ العلم و فطاحله، و إنما دفعهم شغفهم و تعطشهم العلمي إلى الرغبة في الإستزادة و التحصيل إلى شد رحالهم كغيرهم من الرحالة العلماء إلى الحواضر الكبرى في العالم الإسلامي و على رأسها حواضر المغرب الأدنى طلبا في المزيد من الدراسة وإتمام معلوماتهم و الإحراز على الرواية و على علو السند لا في الحديث فقط، و لكن أيضا في رواية الكتب و العلوم الأخرى[2] ،و رغبة في إكتساب مناهج علمية جديدة وطرق وأساليب متطورة في التدريس و التأليف ،أو فك مفاهيم بعض المصطلحات الغامضة، أو العامة و الحصول على الإجازة العلمية التي تمكن من يتوج بها من أن يصبح شيخا وهو

---

[1] الغبريني: المصدر السابق، ص 356.

[2] -الحسن الشاهدي، أدب الرحلة في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، 1990، ج1، ص91.

لقب الأستاذية الذي يجعله في مصاف العلماء الفقهاء والأدباء ،و يصبح له بذلك مكانة متميزة بين أقرانه من العلمية بحكم ما يمتلكه من تكوين علمي سليم و رفيع المستوى[1] .

و عليه يتضح أن الرحلة للقاء الشيوخ مطلب ضروري لدى طلبة العلم لإستكمال تعليمهم وإرتقائهم إلى مصاف الشيوخ الكبار، خاصة و أن البشر يأخذون الفضائل تارة علما و تعليما و إلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة"[2] إلا أن حصول الملكات عن المباشرة و التلقين يكون أشد إستحكاما وأقوى رسوخا، كما أنه كلما تعدد الشيوخ كلما تنوعت لد ى طالب العلم المصطلحات و الطرق بحكم أن لكل شيخ طريقته الخاصة في التعليم [3]و هو ما يؤكده إبن خلدون في قوله: "إن الرحلة في طلب العلم و لقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم"[4] و يضيف في ذات الشأن قائلا: "و السبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم و ما يتحلون به من المذاهب و الفضائل تارة علما و تعليما وإلقاء،و تارة محاكاة و تلقينا بالمباشرة"[5].

2-الرغبة في لقاء الشيوخ

لقد كانت تونس مقصد الكثير من علماء المغرب الأوسط في القرن السابع الهجري و ما بعده لا لكونها كانت في طريق الرحلة إلى المشرق فحسب، و لكن لما كانت تزخر به من علماء، و ما كانت تشهده من نهضة ثقافية، و الدليل على ذلك ما كان يخصصه الحاج الرحالة من وقت هناك لمجالسة علمائها طلبا في المزيد من الدراية و الإحراز على الرواية و عالي السند من جهة، و رغبة في إكتساب مناهج علمية جديدة

---

[1]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 92.

[2]-إبن خلدون، المصدر السابق، ص 507.

[3] نفسه،ص567.

[4]- نفسه، ص 567.

[5]-نفسه، ص567.

و طرق وأساليب متطورة في التعليم و التأليف من جهة أخرى [1] ،و في هذا الشأن يقول ابن خلدون أن: "من كان قليل البضاعة في الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته و الجد و التشمير في ذلك"[2].

فهذا عبد الرحمن الثعالبي لما إنتقل إلى تونس سنة(1406/809 م)لقي بها جلة من أكابر العلماء فأنتفع بهم و منهم الإمامان الآبي و أبي القاسم البرزلي تلميذ ابن عرفة و أبو مهدي عيسى الغبريني، و لما عاد إليها سنة (819هـ/1416م) فلازم بها العلامة ابن مرزوق الحفيد الذي أجازه وأثنى عليه، كما إستمع بها إلى أبي عبد الله القلشاني و عبد الواحد الغرابلي و أبي القاسم العبدوسي، و هؤلاء كلهم من جهابذة العلم المحققين فأجازوه و أذنوا له في التدريس و التأليف ،ثم عاد إلى وطنه مبرزا على أقرانه بنشر العلم و المعرفة، فولى القضاء من غير رضى منه، ثم خلع نفسه و تصدر للتدريس و التأليف فتخرج عليه جمع كبير من أعلام المغرب الأوسط[3] و حول هذا يذكر الكتاني: "أن عبد الرحمن الثعالبي لم رجع من رحلته ،وقد حصل على ما أراد من الإسناد العالي الذي نال به إعجاب محدثي عصره كان يقول:" و كان بعض فضلاء المغاربة هناك و يقصد تونس التي حل بها سنة(819هـ / 1416)في إطار رحلته يقول لي لما قدمت علينا من المشرق رأيناك أية للسائلين في علم الحديث".[4]

---

[1] –لحسن الشاهدي، المرجع السابق ،ص 96.

[2]–ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 76.

[3]–لخضر عبدلي، التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد، دار ا إبن النديم للنشر والتوزيع، ط1، وهران، 2011، ص 263.

2–عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس و الإثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات ،تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، ص 732.

ثالثا: المناخ السياسي بالمغرب الأوسط:

نظرا لتميز المناخ السياسي ببلاد المغرب الأوسط، بل وفي كل منطقة المغرب الإسلامي بطابع اللااستقرار واللاأمن من جهة، وانتشار الضغوطات والمضايقات من جهة أخرى، فضل سكان المنطقة وفي مقدمتهم علماء المغرب الأوسط ترك تلك المضار والرحلة اتجاه أماكن بعيدة عن الأماكن المتصارع عليها ومنها المغرب الأدنى علا وعسى يجدون فيه ما لم يجدونه في إقليمهم من استقرار وكامل الحرية، وإذا أردنا الوقوف عند جملة العوامل السياسية التي دفعتهم إلى الرحلة باتجاه المغرب الأدنى نجد:

1-الصراعات السياسية:

1-1- الصراع بين دويلات المغرب الإسلامي الثلاث، والذي بدأ بعد هزيمة الخليفة الموحدي في حملته على تلمسان، والذي استفحل أمره بسبب النزعة التوسعية لدى كل من الحفصيين شرقا، والمرينيون غربا والإدعاء لأنفسهم أحقية وراثة دولة الموحدين ومما زاد في استمرار هذا الصراع وهذه الحروب والفتن وقوع دولة بني عبد الواد موقع وسط بينهما، الأمر الذي دفع يغمراسن الزياني إلى القيام بتحصين دولته بسياج من جهة، وتحالفه مع بعض القبائل العربية التي استقرت بالمغرب الأوسط من جهة أخرى[1] وهو ما أشار إليه أبوراس المعسكري قائلا :"لقد أحاط يغمراسن دولته بسياج من القبائل العربية والزيانية، فكانت له درعا واقيا وخطا دفاعيا أماميا ضد خصومه بني مرين وبني حفص"[2].

1-2-صراع الأسر على العروش السلطوية وتأثيراته السلبية على الشعب بمختلف شرائحه بما فيهم العلماء، وعن تلك الصراعات الداخلية على السلطة الصراع بين فروع الأسر الحاكمة، بل وداخل الفرع الواحد، ومنها الصراع الطويل بين أبي حمو موسى

---

[1] بوداود عبيد: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري (ت 13(15م) دراسة في التاريخ السوسيوثقافي دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008، ص163.

[2] أبو راس المعسكري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دار الكتب التونسية، تونس، رقم 262، ورقة 14 -أ-.

الثاني وابن عمه أبي زيان بن سعيد الذي عرفته الفترة الممتدة ما بين(762هـ-783هـ/1360-1381م)، والذي تحول مع مرور الزمن إلى حرب عنيفة بين الطرفين أثرت بشكل سلبي على الجو السياسي ببلاد المغرب الأوسط [1]، وقد وصف يحيى ابن خلدون ما تعرض له أبو حمو موسى الثاني ورفقائه خلال المعركة التي وقعت بينه وبين أحد خصومه من أبناء عمومته وهو أبو زيان بن عثمان بن أبي تاشفين سنة (769هـ/1368م)بحكم كونه كان كاتب ديوانه وواحد ممن فرو معه حين لم يعد الموقف يحتمل سوى الفرار وصفا دقيقا قال فيه :"...إلى أن أفرد، الناس سوى شرذمة قليلة، وأنا منهم، وبلغ هو مأمنه، فسر خلصاؤه بسلامة ثم حملوا ذخائرهم ونبذوا الأهل والمال عرضة للنهب، وساروا مع مولاهم فجددنا السير يومنا وخمسة بلياليها بعد لم نطعم فيها...قوتا ولا ذقنا النوم إلا غرار، وبعد غروب الشمس من اليوم السابع، وبعد السبت من شوال دخل أمير المسلمين دار ملكه"[2].إن هذا النص على جانب كبير من الأهمية، لأنه يعد صورة وصفية بل نموذجا للصراع الذي كابده أبو حمو موسى الثاني ضد منافسيه على العرش من بني زيان وأعدائه من بني مرين، وقد حضر المؤرخ يحيى ابن خلدون الكثير من المعارك، ووصفها وصفا دقيقا في مؤلفه بغية الرواد، وهو صراع شديد انتصر فيه أبو حمو حينا[3] وانهزم فيه أحيانا[4] ويبدو أن سبب انتصار العاهل التلمساني على خصومه يعود بالدرجة الأولى إلى روابط المودة والصلات الحسنة التي كانت تربطه بمعظم القبائل العربية والزيانية وقد دعم هذه الروابط ببذل المال ، والإقطاعات التي لم يبخل بها أبو حمو موسى الثاني على مناصريه وخلفائه[5].

---

[1] بوداود عبيد، المرجع السابق ، ص166.

[2] يحيى بن خلدون:بغية الرواد، المصدر السابق، ج2، ص-ص203-206.

[3] نفسه، ج2، ص112

[4] نفسه، ج2، ص-ص 140-149.

[5] نفسه، ج2، ص 149.

1-3- انتشار ظاهرة قطاع الطرق في بلاد المغرب الأوسط شأنه في ذلك شأن باقي بلاد المغرب الإسلامي التي كانت تعيش هذه الظاهرة و تعاني منها ، و في هذا الصدد فقد أورد البلوى في أكثر من مناسبة تعرض القافلة التي كان من بين أعضائها إلى هجمات قطاع الطرق ، و في نقاط متفرقة من بلاد المغرب الأوسط سواء أثناء مروره ذاهبا إلى بلاد المشرق أو أثناء عودته ،حيث يذكر أنه :"نجا بأعجوبة من قطاع الطرق وهو يغادر بلاد العناب في رجب 736 هـ / 1335م) وكذلك في أثناء عودته".[1]

2- الضغوطات السياسية:

وتتمثل في محاولة ورغبة سلاطين وحكام المغرب الأوسط احتواء شريحة العلماء وتقريبها منهم بهدف تسخير علومهم ومعارفهم، ومكانتهم في أوساط المجتمع لخدمة مآربهم الشخصية أو السياسية[2].

ويبدو أن سلاطين المغرب الأوسط كانوا يفضلون العائلات العلمية في تولي المناصب الإدارية في الدولة، ومن بين تلك العوائل عائلة ابن مرزوق، وفي هذا الصدد يقول ابن مرزوق:"وإذا بالفقيه القاضي أبي عبد الله بن هدية، وشيخ الدولة داود بن علي وغيرهم قد دخلوا المسجد الذي يجاورنا ودعوني قال: فجئتهم فقالوا لي إن السلطان أبو حمو موسى الأول يسلم عليك ويقول لك: أني قد رفعت أيدي العدول وتخيرت للمسلمين أربعة، أنت أحدهم، تجلس للناس لعقد الشروط والشهادة بينهم، قال :فقلت لهم هذا شيء لأعلمه وشغلي بنفسي، فقالوا أن عزم السلطان اشتد على هذا، وقد جالس أصحابك وهم: الفقيه الخطيب الصالح أبو محمد المجاصي والفقيه أبو عبد الله بن أبي عمر وذلك قبل

---

[1] - بوداود عبيد، المرجع السابق،ص166.

[2] صارة خطيف: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ/1235-1388م) الجهاز الديني والتعليمي، رسالة ماجستير ،جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003،ص108،

ولايته القضاء الرابع، قال فامتنعت، فقالوا لي: نحن لا نقل عنك الامتناع، فأنت تعرف حاله، وكان شديد البأس والبطش"[1].

ومما يستنتج من النص: أن ابن مرزوق قد اختاره السلطان أبو حمو موسى لتولي القضاء إلى جانب أربعة قضاة، وهنا نلاحظ أن الدولة الزيانية لم تكتفي بقاضي في تلمسان، بل كانت توظف القضاة حسب التخصصات من بينها قاضي الأنكحة الذي يختص بالأمور المتعلقة بالزواج.

كما يوضح النص أن الاختيار لا يمكن أن يقابل بالرفض من قبل المرشح للمنصب لأن سلاطين المغرب الأوسط كانوا يلجؤن للعنف في حالة الرفض، مما جعل البعض من المرشحين يفر من تلمسان مثل ما حدث للعالم محمد بن ابراهيم العبدري التلمساني الشهير بالآبلي (ت 757هـ/1356) الذي يرجع عبد الرحمن ابن خلدون سبب هروبه إلى رغبة أبو حمو موسى ابن السلطان أبي سعيد في تعيينه كضابط لحماية أمواله وذلك لعلم السلطان بتقدمه في علم الحساب[2] ،وحول ذلك يذكر ابن مريم قائلا:" ثم أراد أبو حمو صاحب تلمسان إكراهه، ففر إلى فاس، واختفى هناك عند شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي، فأخذ فنونها ومهر فيها"[3] كما يضيف قائلا:"فارتحل إلى مراكش، ونزل على الإمام ابن البناء شيخ المعقول والمنقول، فلازمه، وتضلع عليه، واجتمع عليه طلبة العلم فكثرت إفادته واستفادته"[4].

ويبدو من خلال هذه النصوص أن رفض الأبلي لمطلب السلطان الزياني راجع لعزوفه عن الأمور السياسية، وذلك لارتباطها بمصالح العباد والسلطة، أي المصالح

---

[1] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح سلوة الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مراكش، ط1، 2008،ص229.

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج1، ص 120.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص 215.

[4] نفسه، ص 215.

الدنياوية، وخشية من أن يسخر علمه في قضاء مأرب السلطان الشخصية، ويكون ذلك على حساب أهدافه العلمية باعتباره رجل علم وليس رجل سياسية.

ومن علماء المغرب الأوسط الذين فضلوا الرحيل عن الديار بحثا عن مكان آخر يجدون فيه الطمأنينة وتحترم فيه مكانتهم العلمية بعيدا عن كل الإغراءات والضغوطات السياسية محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1503م)الذي لم يتعرض من ترجموا له لدوافع خروجه من تلمسان إلى الواحات الصحراوية، والتي يبدو أنها تعود إلى سوء أوضاع الدولة الزيانية، وموقف سلاطينها وخاصة أمرائها المتأخرين الداعم لازدياد نفوذ الجالية اليهودية التي استبدت بشؤون الدولة ليس في عاصمة[1] الدولة فقط ، بل حتى بالواحات الصحراوية وبالتالي كانوا بذلك قد خرجوا عن العلاقة التي حددها الإسلام لهم[2] وهو ما دفع المغيلي وغيره من علماء الدولة الزيانية أن يقفوا موقفا معارضا لليهود[3] وفي مقدمتهم العالم أبو عبد الله التنسي[4] ،ورسالة الإمام السنوسي[5] ،حيث خرج مع أتباعه لقتالهم بواحات توات، وحول ذلك ذكر صاحب المعيار قائلا:" وعندما وصل جواب التنسي ورسالة السنوسي أمر المغيلي أتباعه فتسلحوا وقصدوا معابد اليهود ، ومنح لكل من قتل يهوديا مثاقيل من الذهب"[6].

وللإشارة، لم يتوقف عمل المغيلي علي توات فقط، بل توجه إلى إمارة مالي وبلاد كنورش وتكرو حيث المراكز التجارية لليهود، فاجتمع بسلاطينها، ودعى على طريقته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد استمع هؤلاء إليه واستفادوا منه في تسيير أمور

---

[1] ابن الأعرج، المصدر السابق، ج3، ورقة 136.

[2] حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية– دار الهدى ،الجزائر، 2011– ج4، ص128.

[3] الونشريسي ، المصدر السابق، ج2، ص ص 198–199.

[4] عن جواب التنسي ينظر الونشريسي،المعيار،ج2، ص189، التنسي المصدر السابق، ص32–33.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 356.

[6] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص 188–201.

المسلمين، وهو ما دفع به أن يكتب لهم رسالة تتعلق بشؤون الدولة استمدها من مبادئ التربية الإسلامية[1] ،كما انتفع به وتخرج عليه مجموعة من طلبة العلم تركهم ينجزون ما بدأه هو[2]، وهكذا نجده قد جمع بدل المهمة الواحدة، مهمتين الأولى جهادية والثانية تعليمية.

ومن العلماء كذلك نجد أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914هـ/1508م) الفقيه المالكي، الذي كان سبب رحلته من تلمسان إلى فاس موقفه الغير مؤيد لسياسة أمراء بني زيان، ومنهم السلطان أبو عبد الله محمد بن أبي ثابت المتوكل على الله الذي حاول إخضاعه، وعندما رفض صادر امواله، واقتحم داره عكس بعض علماء عصره، وقد صرح عن موقفه هذا في كتابه المعيار قائلا:" أن شر العلماء هم الذين يتقربون من سلاطين الدول"[3].

وهناك كذلك العالم الكبير عبد الرحمن الثعالبي[4] الذي فضل واختار حياة العزلة والتصوف، بالرغم من دراسته لأحوال عصره، وتنقلاته بين مختلف حواضر العالم الإسلامي وخاصة الحاضرة تونس والظاهر أن ضغط السلاطين كان عاملا أساسيا في هذا التوجه الذي اختاره، وقد أشاد الثعالبي بالذين لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونه[5] مؤكد

---

[1] الرسالة مخطوطة بالخزانةا لعامة بالرباط ، رقم 1130.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص199

[3]التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 356.

[4] عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، من كبار علماء الجزائر وصلحائها رحل إلى المشرق، ورجع إلى الجزائر وتوفي بها سنة 875هـ/1470م ،ينظر ترجمة عند السخاوي :الضوء اللامع، المصدر السابق ،ج4، ص152، التنبكتي:النيل ، المصدر السابق، ص257، محمد بن مخلوف ، شجرة النور ،المصدر السابق ،ص264، الحفناوي،تعريف الخلف، المرجع، ج1، ص68، نويهض، معجم الأعلام، المرجع السابق ، ص 88.

[5] عبد الجليل قريان :التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع ط1، الجزائر، 2011، ص ص107–108.

أن حياة العزلة هذه لم تكن من اختيارهم، بل كانت حياة مفروضة عليهم نتيجة لضغط بعض السلاطين عليه [1] .

و بناء عليه، نستنتج أن دوافع و أسباب رحلة علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأدنى لم تكن واحدة ، و إنما اختلفت من عالم الأخر بحكم ظروفهم ، فهناك من كانت رحلته رغبة في الاستزادة العلمية و لقاء كبار الشيوخ ، و هناك من كانت رحلته إجبارية اضطرارية ، كما نجد منهم من كان استقراره مؤقت سرعان ما انتهت رحلته بمجرد من تمكن من استكمال تحصيله العلمي والمعرفي بالمغرب الأدنى و من ثم عودته إلى بلده الأم المغرب الأوسط ، و هناك من كان استقراره دائم ، استمر إلى غاية وفاته بالمغرب الأدنى.

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص199-200

الفصل الثانـي :

عوامل و مظاهر الحركة العلمية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين.

- **عوامل تطور الحركة العلمية بالمغرب الأوسط**

أولا: دور السلطة السياسية بالمغرب الأوسط في تشجيع العلم والعلماء.

1-احتفاء سلاطين المغرب الأوسط بالعلماء

2-أسباب اعتناء سلاطين المغرب الأوسط بالعلماء

ثانيا: انتشار المؤسسات التعليمية.

1-المؤسسات الدينية

2-المؤسسات التعليمية

ثالثا: عقد المجالس العلمية وتنظيم المناظرات.

1-عقد المجالس العلمية

2-**تنظيم المناظرات**

رابعا :انتشار المراكز العلمية.

1-المراكز الرئيسية

2-المراكـــــــــــــــــــــز الثانويـــــــــــــــــــــــة

• مظاهر الحركة العلمية بالمغرب الأوسط

أولا:أصناف العلوم المتداولة

1-العلوم النقلية

2-العلوم اللسانية

3-العلوم العقلية

4-العلوم الإجتماعية والرحلات

ثانيا:مراحل التعليم وطرق التدريس ومناهجه

1- **مراحل التعليم**

2- **طرق التدريس**

3- **مناهج التعليم**

لقد شهدت الحركة العلمية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين تقدما ملحوظا، تجلت مظاهره خصوصا في مجال العلوم الدينية التي احتلت الصدارة وحظيت بعناية قصوى[1] وكانت هذه العلوم تتخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية أساس لها[2] ، وما تتصل بها من علوم اللسان العربي،وللإشارة فقد اهتمت العلوم الدينية أو الشرعية كما يطلق عليها بعلم التفسير وعلم القراءات وعلم الحديث وفقه ومواريث وأصول العقد والعقائد وعلم الكلام وعلم التصوف، أما علم اللسان فكان يهتم بعلم اللغة وعلم النحو والأدب[3].

وقد ساعد هذا الطابع الديني على انتشار وازدهار العلوم النقلية بأنواعها، وكان هذا الازدهار مصحوبا بانتشار التصوف وظهور المتصوفة والزهاد والعباد والعلماء الذي اشتهر الكثير منهم[4].

ولعل السر من وراء هذا الازدهار في الحركة العلمية يعود إلى جملة من العوامل المشجعة على ذلك نذكر منها ما يلي:

• عوامل تطور الحركة العلمية بالمغرب الأوسط

أولا: دور السلطة السياسية بالمغرب الأوسط في تشجيع العلم والعلماء.

1-احتفاء سلاطين المغرب الأوسط بالعلماء

عرف حكام المغرب الأوسط بنصرتهم للعلم، وتأييدهم للعلماء بداية من عهد السلطان يغمراسن بن زيان وخلفائه من بعده، ويعود سر اهتمامهم هذا بالجانب العلمي

---

[1] عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ ، المرجع السابق،ص،105.

[2] ابن خلدون ، المقدمة المصدر السابق ، ص 550.

[3] نفسه.

[4] مكيوي : المرجع السابق، ص 145.

إلى كونهم هم في حد ذاتهم كانوا من العلماء والشعراء، والفقهاء والفنانين والمؤرخين والأدباء[1] كما يعود من جهة أخرى إلى المنافسة التي كانت بينهم وبين غيرهم من ملوك بني حفص وبني مرين.[2]

وتظهر عناية السلطان يغمراسن بن زيان بالحركة الثقافية والعلمية بتلمسان من خلال تشجيع وترغيب رجال العلم في القدوم إلى عاصمته، وإغداقهم بالأموال والهدايا، وتخصيص لهم أماكن الإقامة، واحترامهم وتقديرهم حق قدرهم، وتمكينهم من ممارسة نشاطهم، وتوفير الأمن لهم، هذا فضلا عن مجالسته لهم والإكثار من زيارتهم وتشجيعهم على التأليف، حيث في عهده استقر في تلمسان كل من الشيخ العالم أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (680هـ/1280م)، وأخوه الحسن (760هـ/1306م)، وحول هذا الشغف الذي أولاه يغمراسن للعلماء يقول التنسي: "وله في أهل العلم رغبة عالية ،يبحث عليهم اينما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده ، ويقابلهم بما هم أهله ."[3]وبحكم ما اشتهر به يغمراسن من عناية للعلم والعلماء، فقد وفد عليه من الأندلس خاتمة أهل الآداب المبرز في عصره على سائر الكتاب أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن الخطاب المرسي الأندلسي (686هـ/1287م)، فأحسن نزله ومثواه، وقربه من بساط العز وجعله صاحب القلم الأعلى في الدولة[4]

---

[1] – ابن خلدون (يحيى)، المصدر السابق،ج1، ص 216.

[2] – عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ،ج3، ص437.

[3]– التنيسي، المصدر السابق،ص126.

[4] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2،المرجع السابق، ص 222.

حيث اختاره لكتابة الرسائل الموجهة للعاهل الحفصي[1] في تونس وإلى الدول الإسلامية الأخرى.[2]

ولم يكن السلطان أبي حمو موسى الأول أقل تشجيعا واهتماما بالعلم والعلماء، فقد تحولت في عهده تلمسان عاصمة المغرب الأوسط إلى منارة علمية يقصدها العلماء والأدباء وأهل الفكر من كل النواحي والجهات، وعلى رأسهم ابن الإمام أبو زيد[3] وأبو موسى[4] اللذان بنى السلطان لكل واحد منهما منزلا وأسس لهما مدرسة، كانت أولى المدارس التي تشيد بمدينة تلمسان، وقد منحها اسمهما[5]، كما كان يكثر من مجالستهما والاستماع إلى نصائحهما وعلمهما، واختصهما بالفتوى والشورى[6]، وفي هذا الصدد ذكر ابن خلدون قائلا: "واختط لهما المدرسة المعروفة بهما بتلمسان وأقاما عنده على هدي أهل العلم وسنتهم"[7]

---

[1] – يقال أن السلطان الحفصي المستنصر أبا عبد الله بن أبي زكريا الحفصي طلب من ابن الخطاب ليكون كاتبه الخاص، إلا أن هذا الأخير اعتذر ورد له أمواله ينظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، المصدر السابق،ص ص 226-227.

[2] –الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرن السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص113.

[3] – أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله، أكبر ابني الإمام أصلهما من برشك من أعمال دولة بني عبد الواد من أكابر الفقهاء في العالم الإسلامي، ينظر ابن مريم،البستان، المصدر السابق، ص 179.

[4] –أبو موسى عيسى ابن الإمام أصغر ابني الإمام، عرف بالإمامة فإنهال عليهما طلبة العلم من كل حدب و صوب ، ينظر :ابن مريم ،البستان،المصدر نفسه، ص 280.

[5] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 232.

[6] –يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص 265-266.

[7]عبد الرحمن بن خلدون،العبر،المصدر السابق،ج7،ص ص ،463-464 .

وللإشارة، فإن كتب التاريخ تحفل بالعديد من الأمثلة حول الاهتمام الذي كان يوليه السلاطين للعلم والعلماء على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم. فهذا السلطان أبو تاشفين الأول، قد قرب إليه أبو موسى عمران المشدالي البجائي (ت745هـ/1345م)، وعينه مدرسا بالمدرسة الجديدة التي أسسها بتلمسان، وقد ذكر لنا المقري ما فعله مع عمران المشدالي الذي فر من بجاية من الحصار، واستقر بمدينة الجزائر قائلا:"فبعث إليه أبو تاشفين، وقرّبه وأحسن إليه وأنزله من التقريب والإحسان بالمحل المكين "[1] وكذلك الشأن بالنسبة للسلطان أبي حمو موسى الثاني الذي عرف بتقديره للعلم والعلماء لما كان يتمتع به من إلهام واسع بالعلوم والفنون ولاسيما الأدب وخاصة الشعر[2] ونلمس ذلك من خلال مؤلفه الشهير واسطة السلوك في سياسة الملوك[3]،الذي نصح فيه إبنه وولي عهده قائلا: "يابني، وأما فقهائك فلتتخير لنفسك فقيها عالما"[4].وهو ما يوضح اعتناؤه الخاص بالعلماء، وهو ما أكده التنيسي بقوله:"وأما اعتناؤه بالعلم وأهله ،فأمر يقصر اللسان عن الإجابة به"[5].

2-أسباب اعتناء سلاطين المغرب الأوسط بالعلماء:

كان سلاطين المغرب الأوسط على دراية واسعة بأهمية العلماء والفقهاء في الاستعانة بهم في تسيير شؤون الدولة ، فاستقدموهم واستعملوهم كحجاب وكتاب في ديوان الإنشاء وأصحاب الأشغال وقضاة ، مدركين أن الدولة لا يمكنها ان تقوم بكثير من

---

[1]-المقري، نفح الطيب،المصدر السابق،ج5،ص 223 .

[2] – التنسي، المصدر السابق، ص161.

[3] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 323.

[4] أبو حمو موسى الثاني الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح، محمود بوترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص85 .

[5]التنسي، المصدر السابق، ص161.

وظائفها الضرورية إلا إذا أسندتها إلى علماء يملكون ناصية العلم ويتصرفون على هديه ،وقد خص ابن الخطيب في نظريته السياسية السلاطين بقاعدة ذهبية قال فيها : "واعلم أن مواقع العلماء من ملكك مواقع المشاعل المتألقة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء ،وتجلوا بنورها صور الأشياء "[1]

وهكذا،فقد سار ملوك المغرب الأوسط على درب يغمراسن بن زيان حيث عملوا على تثبيت الأسس الثقافية والحضارية، والإبقاء على مشعل الثقافة الإسلامية الزيانية فنجدهم يحبون العلم ويقربون العلماء من مجالسهم ويكرمون وفادتهم، ويبالغون في الإكرام والعطاء لأهل العلم تشجيعا لهم على الإبداع في شتى مجالات العلوم.

ثانيا: انتشار المؤسسات التعليمية.

كان للمؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها دورا بارزا وأساسيا في تنشيط الحركة الثقافية في بلاد المغرب الأوسط، وذلك نظرا لما كانت توفره من ظروف وأسباب للتحصيل والنجاح مثل حسن استقبال طلبة العلم، وتوفير أماكن الإقامة لهم والتكفل بهم عند حاجتهم، هذا زيادة على بساطة لوائح الالتحاق بها، وعدم تميزها بين أبناء البلاد والوافدين عليها من البلدان الإسلامية الأخرى.[2]ومن هذه المؤسسات نذكر:

---

[1] ابن الأزرق الأندلسي بدائع السالك، في طبائع الملك ،تح،محمد بن عبد الكريم،دار العربية للكتاب،ط3،بيروت،1980،ج2،ص 375.

[2] – نفسه، ص ص139-142.

1-: المؤسسات الدينية

1-1-الزوايا

تعتبر الزوايا[1] من المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر وتعميم التعليم في أوساط الفئات الدنيا في مجتمع المغرب الأوسط، ويعود انتشارها في بلاد المغرب الأوسط إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري(/13م)، وذلك نظرا لانتشار الفكر التصوفي،[2]وقد كانت تمثل ذلك المكان الذي يقصده الطلبة والمريدون لحفظ القرآن الكريم، ومختلف العلوم الأخرى بأسلوب بسيط وفي متناول الجميع،الأمر الذي جعلها مقصدا للكثيرين من الطلبة ،وقد عبر المقري عن ذلك قائلا: "إنها تجذب الطلبة بكثرة"[3]

وللإشارة، لم يقتصر دور الزوايا في المغرب الأوسط على الجانب الديني التعليمي، وإنما كان لها دور اجتماعي وإنساني، نقف عليه من خلال إيواءها وإطعامها للمسافرين وأبناء السبيل والمحتاجين خصوصا خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، وخير دليل على ذلك قول ابن مرزوق بخصوصها "إن الزوايا عندنا في المغرب تأوي المتجولين ودار مجانية تطعم المسافرين"[4] وكذلك قول أبي عبد الله بن أبي بكر الخطيب

---

[1] – ينظر خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد بغمراسن، ص ص 315-316، الطاهر بوزياني، التصوف في الجزائر من خلال القرنين 6 و7 الهجريين /12-13م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 223.

[2] – كانت الزاوية في المغرب الأوسط قبل هذا التاريخ هي الربط، ينظر حول ذلك محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1406هـ/1986-1987، ص 223، خالد بلعربي، المصدر السابق ص316.

[3] – المقري، المصدر السابق، ص 143.

[4] – ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 411.

(ت781هـ/1379م) في شأنها "والظاهر أن الزوايا عندنا في الغرب، هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين، وإطعام المحتاجين من القاصدين"[1]

أما عن أشهر زوايا المغرب الأوسط، ولاسيما عاصمة تلمسان التي تعرف بكثرة أضرحتها. نذكر زاوية سيدي أبي مدين[2] التي كان لها علاقة على ما يبدوا بالزاوية الملارية التي أسسها أبو يعقوب بن عمران اليوسفي جد ابن قنفد للأم (ت717هـ/1317م)[3]، والتي كانت تهتم بالتعليم، واستقبال المسافرين، وزاوية سيدي السنوسي وزاوية سيدي الحلوي، وزاوية أحمد الغماري، وزاوية عين الحوت[4].

ولم يكن الأمر مقتصرا على عاصمة المغرب الأوسط، فقد كانت الجزائر بدورها تعج بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء الصالحين، منها زاوية أو ضريح عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية ولي دادة، وزاوية عبد القادر الجيلالي[5]، أما وهران، فقد اشتهرت هي الأخرى بزاويتين، زاوية سيدي الهواري، وزاوية الولي الصالح سيدي إبراهيم التازي نزيل وهران[6].

وقد، كان يساهم في إنشائها أهل الخير و كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة أو تشترك جماعة في إنشائها، ويوقفون عليها أوقاف لتغطية نفقاتها وتوكل إدارتها ورعايتها

---

[1] – ابن مرزوق، المصدر السابق، ص431.

[2] – ابن قنفد، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1965 ، ص 40.

[3] – نفسه، ص40.

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع الهجريين(16-20م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ج1، ص264.

[5] – نفسه ، ج1، ص264.

[6] –ابن مريم، المصدر السابق، ص238.

إلى ناظر وجماعة من المساعدين، ويحدد الموقفون في عقودهم الأوجه التي تصرف فيها عوائد أوقافهم وطريقة إدارتها[1].

1-2-الكتاتيب

كانت الكتاتيب[2] في بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة المعنية بالدراسة، بمثابة المدارس الابتدائية التي يتلقى فيها المتعلم العلوم الأولى، والتي غالبا ما تكون تشمل حفظ القرآن الكريم عند الصبيان الذين يحتمل أنهم بلغوا سن السابعة[3] وذلك حفاظا على المساجد من النجاسة،[4]وقد كان يشرف على التعليم في الكتاتيب معلم قارئ حافظ للقرآن الكريم[5]، قد يكون متقنا لبعض القراءات، وأحيانا يكون من كبار القواد، حيث يتعاقد مع أولياء التلاميذ على أجر معين، ويمكن أن يتعاون معلمان في أداء مهمة التعليم إذ زاد عدد التلاميذ على حد معين، وكان المعلمون يتصلون بولي أمر كل تلميذ ليتفقا على

---

[1] -ابن القنفد، أنس الفقير وعز الحقير،المصدر السابق، ص 40، خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص316.

[2] - الكتاب، هي عبارة عن مؤسسات تعليمية خاصة، يقوم بإنشائها خواص في الغالب من أهل، ينظر الونشريسي، المعيار المعرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 19981، ج8، ص156.

[3] -المغراوي، جامع جوامع الانتصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ، ص 47.

[4] - أبو الحسن علي القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق وترجمة أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس، 1986، ص 145، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص318.

[5] - عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية بدول المغرب والأندلس، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة وهران، ص423.

المادة أو المواد التي سيتم تعليمها له[1] والزمن المخصص، كما يتفق المعلم مع الولي حول شروط دفع الأجر.[2]

وعلى العموم، فقد كان التعليم يتم في هذه المؤسسة بعقود فردية أو جماعية يبرمها أولياء التلاميذ مع المعلمين، وغالبا ما يكون الاتفاق محددا بمدة شهور أو سنة أو بحفظ جزء معين من القرآن الكريم، أو بتعليم مبادئ مادة معينة،[3]

ومنه يمكن القول، بأن مؤسسة الكتاب، هي مؤسسة صغيرة تعتمد على أولياء أمور التلاميذ، وبالتالي حددت مكانة معلميها وفق لذلك الأساس.

1-3-المساجد

كانت منتشرة في كل أنحاء المغرب الأوسط، لم تكن مخصصة للعبادة فقد، وإنما كانت تؤدي أعمالا مختلفة، حيث وإلى جانب كونها مكان للعبادة تقام فيه الصلاة وتخطب فيه الخطب، كانت المساجد محكمة للتقاضي، ومكان تدرس فيه العلوم الدينية واللغوية، وبالتالي غدت ملتقا عاما للناس، ومن ثم صارت مركزا للعلماء ومقصدا لطلبة العلم، تلقى في أركانها الدروس، وتنظم فيها المناظرات العلمية ودروس الوعظ والإرشاد، كما يتم فيها تدريب الطلبة على القراءة والكتابة[4] وبالتالي ساهمت من خلال دورها هذا في تكوين أجيال من العلماء الذين أناروا درب أهلها.[5]

---

[1] – ابن سحنون محمد، آداب المعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص90.

[2] –نفسه، ص90.

[3] –نفسه، ص90.

[4] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق،ص 319.

[5] – نفسه، ص320.

-مسجد أغادير:

تم تأسيسه على يد إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى مسجد أغادير الذي ، حين ضم تلمسان لدولته سنة 174هـ/790م)، حيث بناه بإتقان ووضع فيه منبرا وكتب عليه حسب قول صاحب القرطاس "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[1] ،كما قام ابنه إدريس من بعد بإعادة ترميمه وتوسيعه، وأمر بوضع منبر آخر جاء فيه "هذا ما أمر به الإمام إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين في شهر محرم(199هـ/814م")[2]، وهو يعد من بين المساجد التي جمعت بين الدور الديني والتعليمي وقد حظي هذا المسجد بدوره بعناية الأمير يحيى بن يغمراسن الذي قام ببناء مئذنته[3] ومما هو جدير بالإشارة، أن منزلة هذا المسجد كانت بمنزلة جامع القروين بفاس، والزيتونة بتونس، والأزهر بالقاهرة وذلك نتيجة لحلقات العلم التي كان يعقدها، والدروس التي كانت تلقى فيه[4].

-المسجد الأعظم:

تم تشييده على يد يوسف بن تاشفين المرابط سنة(450هـ/1036م)[5] أثناء بناءه لمدينة تاكرارت عام(473هـ/1080م)، وقد وصف الرحالة العبدري هذا الجامع قائلا :

---

[1] -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص68.

[2] -نفسه، ص69، رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، العدد 26، ص ص 171-172.

[3]- Marcais (G)، Tlemcen ville d'art et d'histoire 2eme congres publie soin de la société historique Algérienne tom Alger 1936, p34.

[4] -عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت 1975، ص138.

[5] - رشيد بوروية، جولة عبر مساجد تلمسان،المرجع السابق، ص172.

"ولها جامع عجيب ومليح متسع "[1] وجدت بالمغرب الأوسط مساجد جامعة كانت أخرى بمثابة معاهد عليا متخصصة، قصدها الطلبة والعلماء المشهورين وحتى السلاطين الزيانين، وعلى رأسهم يغمراسن الذي كان يحضر حلقات الذكر بها كالمسجد الجامع أو المسجد الأعظم الذي شيده الأمير وقد أضاف له يغمراسن الجزء الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن والمئذنة.[2]

ومما يجدر ذكره عن هذا المسجد أنه قد أدى رسالة مقدسة، إذ أضحى جامعة على النمط القديم، كما أصبح معهد للتدريس خاصة بعد الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب الإسلامي وقبلة للعلماء وطلبة العلم الذين توافدوا عليه للأخذ عن علمائه وشيوخه، وظل دوره الديني التعليمي وإشعاعه الثقافي هذا قائما طوال العهد الزياني وصارت بفضله بلاد المغرب الأوسط بصفة عامة وتلمسان خاصة بفضله حاضرة من الحواضر العلمية في العالم الإسلامي حيث نبغ فيها عدد كبير من العلماء في الأدب والشعر والنحو والصرف وعلم الحديث.[3]

مسجد أبي الحسن:

أسسه السلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن(696هـ/1296م)[4]، وحمل اسم الفقيه أبي الحسن التنسي أحد علماء تلمسان المعروفين بتقواهم وصلاحهم وكذلك أعلمهم بالفتوى في مسائل مختلفة قال عنه عبد الرحمن بن خلدون في رحلته :"ابو الحسن

1- العبدري ،المصدر السابق،ص 48.

2- Marcais, l'architecture musulmane d'accident, Paris 1955, p197.

3 - عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية،المرجع السابق، ص138.

4 -محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري/15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص81.

التنسي كبير أهل الفتيا بتلمسان"[1]، وللإشارة فقد كان يلقي دروسا به إكراما له وهو يعد من أروع المنشآت الزيانية[2].

-مسجد ابني الإمام:

شيده الأمير أبي حمو موسى الأول (710هـ/1310م) بحوالي أربعة عشر عام من بناء مسجد أبي الحسن التنسي، ومن مميزاته أنه يختلف في بناءه عن غيره من مساجد المغرب الأوسط[3] وقد كان ملحقا بالمدرسة التي بناها ابني الإمام الذي قال عنهما ابن خلدون مايلي: "كانت لهما(ابن الإمام) شهرة في أقطار المغرب أثبتت لهما في نفسية السلطان عقيدة صريحة"[4].

- مسجد ابراهيم المصمودي[5]:

أسسه السلطان أبي حمو موسى الثاني (760-791 هـ/ 1359-1395م) إلى جانب القبة والزاوية والمدرسة، وهو يصنف ضمن العمارة الدينية بتلمسان من حيث التصميم والزخرفة وفن العمارة[6]

1- عبد الرحمن بن خلدون،الرحلة،المصدر السابق،ص 264.

2- Marcais (G) et William، les monument arabes de Tlemcen, Paris 1905, p126.

3- Marcais, l'architecture musulmane d'accident, tinisie, Algérie, Maroc, Métiers graphiques, Paris 1954, pp 115,116.

4 عبد الرحمن بن خلدون،الرحلة،المصدر السابق،ص 47.

5 هو ابراهيم بن موسى المصمودي التلمساني شيخ الولي الزاهد ابو اسحاق أحد شيوخ ابن مرزوق الحفيد، ينظر محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المرجع السابق،ج2،ص ص 17-19.

6 علوي مصطفى،المرجع السابق،ص 265.

مسجد أبي مدين بالعباد:

يعد من أهم المساجد المرينية التي شيدت بالمغرب الأوسط بأمر من السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة (739هـ/1339م) عندما استولى على تلمسان[1]، بنى هذا المسجد بقرية العباد، وأعطاه اسم ضريح الوالي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسن أحد متصوفي المغرب الإسلامي المتوفي سنة 594هـ/1198م)، وقد كان له عدة وظائف منها الوظيفة الدينية والإصلاحية والتعليمية طوال الفترة الزيانية، وعن تأسيس هذ المسجد يقول عبد الرحمن بن خلدون في رحلته:"قد شيد السلطان ابي الحسن بالعباد مسجدا عظيما ،وكان عمه ابن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد"[2]

مسجد سيدي الحلوي:

أما بخصوص مسجد سيدي الحلوي، فقد أسس بأمر من السلطان أبي عنان فارس المريني سنة 754هـ/1359م)، حينما استولى على المغرب الأوسط، وقد تم بناؤه بجانب ضريح الوالي الصالح أبي عبد الله الشوذي الملقب بالحلوي المتوفي أوائل القرن السابع الهجري(/13م)، حينما هاجر من الأندلس، واستقر بتلمسان سنة(665هـ/1266م في عهد السلطان يغمراسن بن زيان[3]،كما وجدت إلى جانب ذلك مساجد أخرى أدت نفس الدور التي كانت تؤديها مساجد عاصمة الزيانين كمسجد وهران ومستغانم والمدية ومسجد

---

[1] -التنسي، المصدر السابق، ص ص 145-146.

[2]عبد الرحمن بن خلدون،الرحلة،المصدر السابق،ص 61.

[3] - عبد العزيز لعرج، المباني المرسية في إمارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية وفنية رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 1999، ج1، ص235.

مدينة الجزائر وندرومة التي يعود بناؤها إلى عهد المرابطين من قبل الأمير يوسف بن تاشفين في أواسط القرن الخامس الهجري(/11م)[1].

وعليه يتضح بأن المساجد في المغرب الأوسط قد جمعت بين الوظيفتين التعليم والعبادة و استطاعت من خلالها المساهمة في عملية الإشعاع الثقافي والحضاري ببلاد المغرب الإسلامي على العموم وبلاد المغرب الأوسط على وجه الخصوص.

2-المؤسسات التعليمية

أولا- المدارس: اقتدى سلاطين المغرب الأوسط بنظرائهم الحفصيين بالمغرب الأدنى، والمرينيين بالمغرب الأقصى في بناء المدارس العليا للتعليم، وتكوين الموظفين في سائر الوظائف الإدارية للدولة على غرار المدارس النظامية[2] التي أنشئت في المشرق وما ثم تشييده بعدها في سائر أنحاء العالم الإسلامي[3]،وللإشارة، فقد كان ظهورها ابتداء من النصف الأول من القرن الثامن الهجري(/14م) وقد وجدت من أجل المذهب المالكي الذي سجل انتصارا للسنة وعودة إلى المالكية كمذهب، وإبطالا لبدعة الموحدين ومذهبهم في الاعتقاد،[4]كما كانت هذه المدارس حكومية رسمية تابعة كلها للدولة. أما بخصوص الوظيفة الرئيسية للمدرسة، فقد ارتكزت في حقيقة الأمر على تعليم وتدريس العلوم الإسلامية، ودراسة علم الشريعة بالإضافة إلى بعض العلوم الأخرى المساعدة كالفلسفة

---

[1] -بورويبة رشيد،المرجع السابق، ص181.

[2] -نسبت هذه المدارس إلى منشئها "نظام الملك"، ينظر أحمد شلبي، المرجع السابق،، ص ص 99-100.

[3] -عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص36.

[4] - ألفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1967- ص354.

والآداب والتاريخ[1]، وقد وصل عدد المدارس التي أنشئت بالمغرب الأوسط، والتي أصبحت معاهد عليا للتعليم وتكوين الإطارات السامية في مختلف المجالات إلى خمس حسب الحسن الوزان الذي قال في شأنها "وتوجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة لها أئمة وخطباء وخمس مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان، وبعضها ملوك فاس"[2].وعن هذه المدارس نذكر:

-مدرسة ابنا الإمام:

هي أول مدرسة بنيت بالمغرب الأوسط وكان ذلك سنة(710هـ /(1310م من قبل سلطان أبو حمو موسى الاول، وقد حملت اسما العالمين ابن الإمام هما أبي زيد عبد الرحمن ابن الإمام،وأخيه أبي موسى عيسى ابن الإمام،هما عالمان جليلان من أهل برشك[3]فكانت هذه المدرسة بمثابة حجر الأساس في تكوين قاعدة صلبة للثقافة والعلوم بالمغرب الأوسط فقد تولى ابنا الإمام التدريس فيها ونشر العلم بين رجالها فازدانت بالطلبة من مختلف الأعمار فأصبح لديها صيت لدى علماء المغرب والمشرق وفي هذا الصدد قال أحد الطلبة للمقري الجد عندما ذهب إلى القدس الشريف وناقش بعض المسائل:"فإن سئلت فانتسب لهما(ابنا الإمام) ،فقد سمعت منهما،وأخذت عنهما ولا تظهر العدول عنهما،فتضع من قدرك فإنما أنت عند هؤلاء خليفتهما،...ولا أحد فوقهما"[4]

- المدرسة التاشفينية:

هي ثاني مدرسة بالمغرب الأوسط ، أسسها أبو تاشفين بن أبي حمو الأول بين 717هـ-728هـ / 1316-1327م)،إلى جانب المسجد الأعظم ، و هي في منتهى

---

[1] - عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص299.

[2] - الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص19.

[3]ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح: سلوة الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مراكش، ط1، 2008، ص203 وكذلك rachib borouiba,l'art religieux musulman en Algérie N.E.D.Aleger,2eme edition 1981p197.

[4] المقري،نفح الطيب، المصدر السابق،ج5،ص218.

الروعة و الجمال[1] وقد وضح ابن خلدون القصد من بناءها في رحلته و المتمثل في المنافسة العلمية الشريفة لمدرسة ابني الإمام ، و يبرز ذلك جليا من خلال قوله " و بنى السلطان ابو تاشفين مدرسة بتلمسان ، فقدمه (المقري)[2] للتدريس بها ، يضاهي به أولاد الإمام وتفقه عليه بتلمسان جماعة ، كان من أوفرهم سهما في العلوم أبو عبد الله المقري هذا".

وقد كانت المدرسة التاشفينية من أشهر المدارس التلمسانية التي توافد عليها الطلاب من أقطار مجاورة وبعيدة منحتهم إجازات ، كما ساهمت في تخريج دفعات من الفقهاء والعلماء.

- المدرسة اليعقوبية:

أسست من قبل السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ / 1358-1389م) و كان أول من أسند إليه التدريس بها العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني[3]،وقد كان السلطان أبو حمو موسى الثاني يخص مجلس قرائه فيها بحضوره جالسا على الحصير تواضعا للعلم و إكرامه له[4]،و مما تجدر الإشارة إليه أن المدرسة اليعقوبية أنها استقطبت طلاب كثيرون من تلمسان وخارجها و حواضر بلاد المغرب

---

[1] مختار حساني، المرجع السابق ،-ج2 ص 275.

[2] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمان القرشي المقري التلمساني ، باحث ، أديب ، قاض من أكابر علماء المذهب المالكي في وقته ،عادل نويهض، المرجع السابق .312.

[3] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني ، أحد رجال الكمال علما و دينا لا يعرف عن عمله فن عقلي و لا نقلي إلا و قد أحاط به، ينظر يحي ابن خلدون،بغية الرواد، المصدر السابق ، ص 120.

[4] التنسي ، المصدر السابق. ص 180.

والأندلس، و من بين المغاربة الرحالة الذين درسوا بها الرحالة القلصادي الذي قال في شأنها: " ولازمته (أحمد بن زاغوا) في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية "[1]

- مدرسة العباد:[2]

وتعرف بمدرسة أبي مدين [3] أسسها السلطان أبي الحسن المريني في منطقة العباد سنة 747هـ/1346م) عند استيلائه على المغرب الأوسط ، و قد كانت ملحقة بضريح أبي مدين شعيب الذي يوجد بجوارها [4] والذي قال ابن القنفذ القسنطيني في شأنه :" وبجواره مدرسة العلم" [5]،وقد كان الهدف من انشائها ابراز قيمة أبي مدين شعيب بين أهل تلمسان جميعا، و قد فتح السلطان المريني أبوابها كذلك أمام علماء مراكش و فاس واغمات لمن أراد الإلتحاق بها ، و بذلك فقد كانت على صلة بمدارس المغرب وحواضر الأندلس [6]،وصفها ابن بطوطة قائلا في شأنها :"... لا نظير لها في المعمورة اتساعا وحسنا و ابداعا كثرة ماء و حسن موضع ، ولم أرى في مدارس الشام مصر و العراق وخراسان ما يشبهها"،[7] وهي تعد من أهم مدارس تلمسان ، ومما زادها شهرة المستوى الرفيع لعلمائها ، ووجودها بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب الإشبيلي.

---

[1]أبو الحس القلصادي : المصدر السابق . ص109.

[2]مدينة صغيرة ، تقع في الحيل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان ، ينظر الحسنى الوزان ، وصف إفريقيا ، المصدر السابق ج2 ص 24.

[3] هو أبو مدين شعيب بن حسين الأصاري الإشبيلي الأصل ، إمام العباد و الزهاد ، قوفي سنة 594هـ ، و دفن بتلمسان ، ينظرالغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق ، ص 65.55.

[4] نفسه ص 65.

[5]ابن قنفذ: انس الفقير، المصدر السابق ص 106

[6]علوي مصطفى: تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين،المرجع السابق ،ص 262.

[7] ابن بطوطة: المصدر السابق ص450.

- مدرسة أبي عنان المريني :

أسست من قبل أبو عنان المريني ابن أبي الحسن المريني سنة(754هـ/1353م بجانب مسجد الوالي الصالح سيدي الحلوي الإشبيلي ، وصفها ابن الحاج النميري في رحلته فيض العباب قائلا :" مدرسة متعددة البيوت ، رفيعة السماوات ، بديعة النعوت ...".[1] و قد أشاد ابن بطوطة بفضائل مؤسسها أبي عنان المريني قائلا عنه ." وأما اشتغاله (أبي عنان المريني) بالعلم ، فهو أيده الله تعالى بعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ".[2]

2-2-المكتبات:

مثلما لم تقتصر الكتب المتداولة في بلاد المغرب الأوسط على الكتب المؤلفة في هذا البلد، بل شملت بلدان العالم الإسلامي، لم تنحصر المكتبات هي الأخرى على المؤسسات التعليمية والثقافية كالمساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب، بل نجدها لدى الخاصة، وفي بيوت الأسر العريقة بالعلم[3] ولدى الوراقين[4]،ومن المكتبات العامة التي أنشأها ملوك بني زيان بالمغرب الأوسط، المكتبتان العامتان اللتان كانت بالمسجد الأعظم، والتي كانت كلتاهما حافلتين بالكتب النفيسة التي كان يستفيد منها الطلبة.[5]

فبالنسبة للمكتبة الأولى، فقد أنشأها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1359م) بالجامع الأعظم بتلمسان على يمين المحراب من الجدار القبلي بالمكان

---

[1] ابن الحاج النميري: المصدر السابق. ص488.

[2] ابن بطوطة: المصدر السابق. ص488

[3] – عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية بدول المغرب ،المرجع السابق،ص453.

[4] – حيث يذكر ابن الخطيب أن أحد المشتغلين بالعلم وهو محمد بن محمد العبدري الغرناطي (680-753هـ/1281-1352م) أصبح يشتغل بتجارة الكتب إلى جانب انشغاله بالعلم، فأثرى منها وحسنت حالة ينظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص ص 27-31.

[5] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص253.

والتي لازالت فيه الخشية ذات الكتابة المنقوشة التي كانت فوق بابها وكتب عليها "أمر بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمو موسى ابن الأمراء الراشدين أيد الله أمره، وأعز نصره، ونفعه بما وصل ونوى، وجعله من أهل الفتوى، وكان الفراغ من عملها يوم الخميس الثالث عشر من ذي القعدة عام سبعمائة وستين"[1].

ومما تجدر الإشارة له، أن لهذه المدرسة أهمية خاصة نظرا للفترة التي أنشئت فيها والتي تميزت بنشاط فكري دؤوب، وللأهمية التي أولاها لها الملك أبو حمو موسى الثاني صاحب المكانة العلمية كأديب ومؤلف ومطلع على جملة من معارف عصره، ولاسيما المتصلة منها بالأدب السياسي والسير مع الأخذ بعين الاعتبار الثقافة الدينية التي طبعت فكر العصر الإسلامي الوسيط، وعليه فليس غريبا إذا كانت تزخر بالكتب المختلفة في جميع العلوم والفنون، وفي مقدمتها علوم القرآن[2]والتي لم تفقد إلا حوالي عام (1266هـ/1850م)، حينما قامت مصلحة الآثار التاريخية بترميم الجامع الأعظم بعد تغيير طرفيه الجنوبي والشمالي.[3]

أما بخصوص المكتبة الثانية، فقد أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني بن أبي حمو موسى الثاني حوالي(796هـ/1393 م)، كانت هذه المكتبة بالقسم الأساسي من المسجد الأعظم، وكان يوجد بها زيادة على الكتب والمخطوطات نسخا من القرآن باليد

---

[1] – محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص107.

[2] –عبد الحميد حاجيات، أبو حمو الزياني، المرجع السابق، ص183، محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، المرجع السابق،ص107.

[3] –صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ/1235-1388م)، الجهاز الديني والتعليمي رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراق محمد قرقاني، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004/2003، ص289.

ونسخة من صحيح البخاري ونسخة من كتاب الشفا[1] لأبي الفضل القاضي عياض[2] نسخهما السلطان أبو زيان بنفسه وحبسهما على المكتبة العامة بالمسجد الأعظم بتلمسان.[3]

ومنه نستنتج أنه بفضل وفرة هذه المؤسسات التعليمية وتنوعها بالمغرب الأوسط عموما وبعاصمة تلمسان على وجه الخصوص، اكتسبت هذه الأخيرة مكانة مرموقة وشهرة كبيرة جعلتها قبلة لطلبة العلم، وكل الشغوفين على العلم والمعرفة والتحصيل من جميع أصقاع العالم وجهاته شأنها في ذلك شأن كل من بغداد والقاهرة ببلاد المشرق وقرطبة ببلاد الأندلس.

ثالثا: عقد المجالس العلمية وتنظيم المناظرات.

1-عقد المجالس العلمية:

لا يخفى على أحد تشجيع سلاطين المغرب الأوسط ،وبذلهم في هذا المجال مجهودات كبيرة في سبيل استقطابهم وإلحاقهم بمجالسهم العلمية التي كانوا يعقدونها لاختيار كبار الكتبة والأدباء والفقهاء، وإدراجهم في مجالسهم العلمية والدواوين من جهة، والالتجاء إليهم عند تأزم الأمور لطرح عليهم ما تعسر عليهم طالبين النصح والمشورة كما يتمتعون به من خيرة في تصريف شؤون الدولة.[4]،وفي هذا السياق تشير معظم المصادر

---

[1] -التنسي، المصدر السابق، ص211.

[2] -القاضي عياض، هو أبو موسى (ت544هـ/1149م) من كبار علماء وقته في الفقه والحديث، وأشهر تصانيفه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" بقي كتابه هذا يتمتع بشهرة كبيرة في أرجاء المغرب كله، كان قد نسخه بيده السلطان أبو زيان محمد بن أبي موسى، ينظر التنسي، المصدر نفسه ، ص211.

[3] – لخضر عبدلي، التاريخ السياسي ،المرجع السابق، ص253.

[4] – عطاء الله دهنية، الحياة السياسية والإدارية ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، ج3، ص407.

إلى إسهامات سلاطين بني زيان في تفعيل الحركة الثقافية بالمغرب الأوسط والبداية كانت مع موطد أركانها السلطان يغمراسن بني زيان الذي أرخت له بسيرته وخاصة معاملته لأهل العلم على أنه كان "...يبحث عنهم أينما كانوا ويتقدمهم إلى بلده"[1] ومثال ذلك الشيخ العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي[2] ويستقدمهم (ت680هـ/1281م) الذي ركب إليه بنفسه لاستقدامه بحضرته لنشر العلم على حد قوله "ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيه العلم، وعلينا بجميع ما تحتاج"[3]، وفي رواية أخرى أنه قال "جئتك راغبا منك أن تقيم ببلدنا لتحي بها العلم"[4].

وخير ما يؤكد على المكانة العلمية المرموقة لهذا الشيخ، أن السلطان يغمراسن كان يعقد مجالسه العلمية به، وكان يفد إلى سماعه الفقهاء والقضاة وأكابر رجال الدولة وحتى

---

[1] -التنسي، المصدر السابق، ص126.

[2] -هو إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام بن عيشون المطماطي التنسي سليل أسرة معروفة بالعلم والصلاح نشأ بمسقط رأسه تنس، وأخذ عن مشايخها، ثم انتقل إلى مدن مليانة والشلف والجزائر وبجاية، وانتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في تلك الأقطار، ثم رحل إلى المشرق فزار مصر والشام والحجاز، وبعد عودته إلى المغرب استقر بتلمسان يدرس بها وبها توفي سنة 680هـ/1281م ومدفنة بالعباد، ينظر يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص114، ابن مرزوق، المناقب المرزقية، ص251-274-278-281-281-283-293، التنسي، المصدر السابق ، ص126، ابن مريم، المصدر السابق ، ص ص 66-67، التنبكي، كفاية المحتاج، ج1، ص81، عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص229، حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص42، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، 983، ص122.

[3] – ابن مرزوق، المناقب المرزقية، المصدر السابق، ص ص 75.

[4] – نفسه، ص275.

يغمراسن نفسه، وكذلك تقريبه لكل من الشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق[1] واستقطابه للعالم أبي بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي إلى بلاطه[2].

وللإشارة، فقد سار ملوك المغرب الأوسط على درب يغمراسن بن زيان، فهذا السلطان أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1308-1318م) وبعد ما جعل من تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر من مختلف أصقاع العالم الإسلامي استطاع أن يقرب إليه الفقيهين الكريمين أبني الإمام أبا زيد (ت 749هـ/1348م) وأبا موسى(ت 757هـ/1356م) وأكرمهما وبنى لهما مدرسة باسمهما، وقد كان هذا السلطان يكثر من مجالستهما والاستماع إلى خصائصهما وعلمهما الغزير[3] واختصهما بالشورى.[4]

وكذلك الأمر عند السلطان أبي تاشفين الأول[5] (718هـ-737/1318-1337م) الذي كان يحرص كل الحرص على إقامة المجالس العلمية والأدبية في حضرته، وكان يحضرها باستمرار، وكانت تدار فيها المناقشات بين خيرة علماء العصر وأجلهم من فقهاء وعلماء وأدباء شملت مختلف الجوانب العلمية، وقد لعب فيها الشيخ الفقيه العالم موسى بن عمران المشالي البجائي (ت745هـ/1345م) أعرف أهل عصره بمذهب مالك بعد تقريبه منه وتعينه مدرسا بالمدرسة الجديدة التي أسسها بتلمسان دورا بالغ الأهمية بين

---

[1] – ابن مرزوق، المناقب المرزقية، المصدر السابق، ص285 .

[2] – ابن مريم، المصدر السابق، ص227.

[3] –يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ج، ص130، ابن مرزوق،المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص ص 265-266.

[4] – التنسي، المصدر السابق، ص129.

[5] – هو أبي تاشفين، عبد الرحمان الاول "718-737م"واحد من السلاطين بني زيان الذين عرفوا بإنشائهم للمؤسسات التعليمية ليضاهوا بها سلاطين بني حفص بتونس وبني مرين بفاس،ينظر حاجيات،أبو حمو موسى،ص61 ،لخضر عبدلي التاريخ السياسي ،المرجع السابق،–ص244 .

أقرانه الفقهاء في المسائل الفقهية التي كانت محور الحديث والنقاش وحول التقليد والتقييد والاجتهاد وأصول المذهب المالكي.[1]

2-تنظيم المناظرات

لم يكن حرص سلاطين المغرب الأوسط على إقامة المجالس العلمية إلا لتشجيع وفتح باب المناظرات والجدل في ما بين علماء المغرب الإسلامي بما فيهم علماء المغربين الأوسط والأدنى في ما يخص مختلف المسائل المطروحة للنظر فيها بحكم ما يمتلكونه من خبرة ودراية وسعة في ذلك ، وإذا أردنا الوقوف عند المادة المتصلة بموضوع المجالس فنجدها تتمثل في نصين من تقييد أبي عبد الله المقري عندما كان طالبا.

-**النص الأول:** متعلق بالمناظرة التي دارت بين أبي زيد بن الإمام وأبي موسى المشدالي حول أحد أقطاب المذهب المالكي، وهو ابن القاسم[2] حول كونه مقلدا للإمام مالك أنه مطلق الاجتهاد، وقد دافع كل منهما عن وجهة نظره، ومن العلماء الذين ورد ذكرهم في هذا المجلس الفقيه أبو عبد الله بن أبي عمرو التميمي[3] الذي طلب منه أبو موسى تدعيم رأيه، وانتهت هذه الجلسة بتدخل الطالب السالف الذكر، وكان حينها حديث السن على نحو ما ذكره.[4]

---

[1] - المقري، نفح الطيب، المصدر السابق ، ج1، ص ص 218-219.

[2] - المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض نشر مصطفى السقا وإبراهيم الأباري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، 1942، ج5، ص19.

[3] - نفسه، ج5، ص19.

[4] - ابن الخطيب الإحاطة، ج2، المصدر السابق،ص ص 215-217، القرافي، المصدر السابق، ص ص 147-148.

-**النص الثاني:** متعلق بمجلس أخر بين يدي السلطان نفسه، وجه فيه أبو إسحاق السلوي سؤالا لأبي زيد بن الإمام حينما قرأ الحديث الشريف "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"[1] وتعليق المقري على ذلك مما قرأه على أستاذه أبي زيد.

ففيما يخص النص الأول، فإنه مرتبط بأصول الفقه، أما الثاني فبفقه الحديث والمجال المشترك يبنهما هو الفقه، ففيما يخص الشخصية الأولى والبارزة في النصيين، فهي شخصية أبو زيد بن الإمام، أخذ مكانته في البلاط الزياني بما يزيد عن ثمانية عشر سنة، حين عقد هذين المجلسين[2]، ويعد من كبار فقهاء تلمسان المجتهدين في إطار المذهب المالكي[3]، وأصبح دون منازع صاحب الفتيا[4] بدولة أبي حمو موسى الأول[1]،

[1] -أبو نعيم إسحاق الأصفهاني (ت 460هـ) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد حسن، محمد إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996، ج3، ص ص 5-6، وورد عليه حديث متقدم محمد بن حيان بن أحمد التميمي السيتي (ت 354هـ/965م) ينظر صحيح ابن حيان، تحقيق شعيب الأرنوط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1993، ج7، ص 271 بلفظ "لقينوا موتاكم لا إله إلا الله"

[2] – ولد أبو عبد الله المقري (714هـ/1314م)، فإذا اعتبر أن ميلاده سنة (7145هـ/1315م) فكان عمره عندئذ عشر سنوات حين حضر للمجلس الأول أي سنة (725هـ/1324م) وأبو زيد بن الإمام قد التحق بالبلاط الزياني بنهاية عهد أبي زيان (703-707هـ/1303-1307م)، وما يدعم هذا الطرح أيضا أن أبا إسحاق السلوي التحق بتلمسان بعد سنة (270هـ/1307م) وتكون بها ولا يمكن أن يتم له ذلك في فترة وجيزة ذلك لأنه كان أستاذ حين عقد المجلس الثاني وسؤاله الموجه لأبي زيد كان سؤال عالم متمرس، ينظر المقري، أزهار الرياض، ج5، المصدر السابق، ص19.

[3] – الونشريسي، الوفيات، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976، ص333، ابن مريم، المصدر السابق، ص124.

[4] – الفتيا، هي أخبار عن حكم شرعي لا على سبيل الإلزام وصاحبها المفتي يحظى بأهمية بالغة بوضعه قائما مقام الرسول في تبليغ أحكام الله، كما يجد نفسه ملزما بتطبيق تلك الأحكام من قناعات شخصية باعتباره يحكم إلى عالم يمثل روح الشريعة الإسلامية ونظرا لخطورة هذا المنصب، فقد كان على أولى الأمر (السلطان) رد الفتيا إلى من هم أهل لها ورعايتها ينظر محمد جمال الدين القاسمي، الفتوة في الإسلام، تحقيق، محمد عبد الحكيم القاضي، إشراف المكتبة السلفية لتحقيق التراث، قصر=

واستمر على تلك المكانة إلى وفاته، وكان له شأن هام في التدريس والملاحظة، والأهم من ذلك أنه منذ عهد أبي إسحاق التنسي وأخيه أبي الحسن، لم تعرف تلمسان فقيها في مكانته.

أما عن الشخصية الثانية، فهي شخصية أبو موسى المشدالي من كبار فقهاء بجاية، استوطن تلمسان في عهد أبي تاشفين الذي قدمه للتدريس بمدرسته الجديدة، كما تولى بها الإفتاء إلى جانب مداركه الفقهية، فقد كان متمكنا من الحديث وأصول الفقه والمنطق والجدل،أما الشخصية الثالثة أو الفقيه الثالث، فهو أبو عبد الله بن عمرو التميمي من بيت علم ورئاسة[2]، أصله من أفريقية، نزل تلمسان في عهد أبي سعيد عثمان الأول ما بين (689-695هـ/1290-1295م)[3]، تولى القضاء بوجدة[4]، ثم قضاء الجماعة بتلمسان[5] .

إلى جانب التدريس، له عدة مؤلفات أهمها مصنف في الفقه[6].أما الأخر فهو الأستاذ أبو إسحاق البلوي، تلقى تعليمه الأول بتلمسان[7] وأخذ بأستاذه أبو موسى المستدالي[1] إلى

=التراث، البليدة الجزائر (دت) ص ص 46-48، يوسف بلمهدي، المرجع السابق، ص ص 1-6 ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج1، ص ص 241-241، ابن الصلاح، أدب المفتي والمتفتي، دراسة وتحقيق، موقف بن عبد الله بن عبد القادر، دار الوفاء، (دت) ص73، الونشريس، المعيار، ج1، ص ص 104-105.

[1] – ابن خلدون، العبر، ج3، ص106.

[2] – يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص131.

[3] – نفسه ، ج1، ص 131.

[4] – نفسه، ج1، ص 131، المقري، أزهار الرياض، ج5، المصدر السابق، ص49، المقري، نفح الطيب، ج5، المصدر السابق، ص135.

[5] – نفسه، ج1، ص131.

[6] – يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 131، ابن مريم، المصدر السابق، ص115.

[7] –ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، المصدر السابق، ص59.

أن برز في العلوم إلى حيث لم تلحق غايته"[2]، وكان له شأن هام في التدريس بتلمسان[3]، وللإشارة، فإن هذه المجالس لم يكن يحضرها الطلبة فقط، بل العلماء والسلاطين أيضا[4] وقد كان أهم ما يميزها تناولها للفقه المالكي بالدرجة الأولى إلى جانب التفسير والتصوف والكلام واللغة والنقد الأدبي وغير ذلك.[5]والواقع، إن انعقاد المجالس العلمية بحضرة السلطان كانت تخضع لشرطين أساسين أثبتهما الواقع التاريخي:

1-الاستقرار السياسي للدولة وضمان موارده مالية قادرة على ضمان الاستقرار للسلطان في مقر حكمه.

2-شخصية السلطان نفسه المبنية على حبه للعلم وتقربه من العلماء والإحسان إليهم والمبادرة لاستدعائهم لمجالسه، يجب أن يكون على جانب من العلم والثقافة، ومثال ذلك السلطان أبو تاشفين والسلطان أبو حمو الزياني الثاني.

ولما كان العلماء من أهم عناصر بعث الحياة العلمية سعى كل طرف إلى اجتذاب أكبر عدد منهم إلى حضرته وتقريبهم من مجالسه والعناية بهم، حيث أتاحوا لهم الفرصة للحوار والمناظرة والتعمق في البحث والإقبال على دراسة مختلف المؤلفات الفقهية وغيرها حتى صارت مدينة تلمسان في عهد بني زيان من المراكز التي تستقطب الطلاب وأهل العلم، حيث أقبلوا على الدراسة والاستفادة من علمائها المقيمين والزائرين بشكل مباشر،

---

[1] – ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، المصدر السابق، ص60.

[2] – نفسه، ص60.

[3] –قال ابن خلدون في المقدمة، ص60 "وبني السلطان أبو تاشفين مدرسة بتلمسان قدمه للتدريس بها به أولاد الإمام وتفقه عليه بتلمسان جماعة كان أوفرهم سهما في العلوم أبو عبد الله المقري".

[4] –ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ص 390-391، التنسي، نظم الدر والعقيان، ص 276، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 118-119.

[5] – ابن مريم، البستان المصدر السابق، – ص119.

حتى صار لهم حصول ملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها حسب تعبير ابن خلدون[1].

وللعلم، فكثيرا ما كانت تفتح تلك المجالس بقضية يثيرها السلطان، وله أن يشارك في مناقشات الفقهاء والعلماء[2] وهذا يدل على علم واستعدادات السلطان الذي كانت تعقد في حضرته، وقد كانت تدار فيها مناظرات ومحاضرات تنم عن المستوى العلمي الراقي للعلماء المشاركين فيها، وتكون عادة بين فقهاء وعلماء وصلوا إلى درجة معينة من العلم والرواية، وعليه يمكن القول بأن هذه المجالس والمناظرات ساعدت على تنشيط الأبحاث الفقهية والدراسات العقلية، وذلك يظهر من خلال استعمال علماء تلمسان أو المغرب الأوسط للحجج والبراهين لتدعيم موقفهم معتمدين على كتب المالكية المشهورة كالموطأ أو المدونة، كما ساهمت من جهة أخرى في إبراز عبقرية هؤلاء العلماء ومنهم على سبيل المثال ناصر الدين المشدالي الذي تعصب في أغلبها لمختصر ابن الحاجب وصفه صاحب الدرر المكنونة "بخاتمة المجتهدين في زمانه"[3].

رابعا: انتشار المراكز العلمية.

مثلت مراكز النشاط العلمي في بلاد المغرب الأوسط مظهرا من مظاهر التكامل في كثير من المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية، فقد كانت مقصدا لطلاب المغرب الأوسط تستهويهم وتجذبهم نظرا لما تضمه من مجالس وحلقات علمية كانت تعقد

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص62

[2] –حاجيات،الحياة الفكرية في عهد بني زيان،المرجع السابق،–ص 66.

[3] –يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، الخزانة العامة، الرباط، تحت رقم ق 521، ج3، ص211.

بالمساجد والزوايا، وكذلك لما تتوفر عليه من مكتبات عامة وخاصة وغيرها من عوامل النشاط الفكري.

1-المراكز الرئيسية

1-1-مركز تلمسان الثقافي

يبدو أن العهد الذهبي لمركز تلمسان الثقافي هو العهد الذي تحولت فيه تلمسان كعاصمة سياسة للمغرب الأوسط، ومقر سلطته المركزية، هذا رغم ما عرفته من تطور ثقافي على عهد المرابطين بفضل ما حل بها من العلماء ورجال التصوف.

تعد تلمسان من مدن المغرب الأوسط التي نالت شهرة كبيرة كمركز من المراكز الحضارية و الثقافية التي عرفتها المنطقة ، و من العوامل التي ساعدت على نمو الحركة الثقافية بها نذكر النزعة العلمية و الفكرية التي اتصف بها بعض سلاطين أمراء المغرب الأوسط بداية من مؤسس دولتهم كتشجيعهم للعلماء و نصرتهم لهم ،زيادة على مشاركتهم في الاحتفاء بهم وتبجيلهم ، و هذا ما تؤكده المصادر التاريخية و التراجم التي تزخر بأمثلة كثيرة عن ذلك ، و لعل ما أورده محمد التنسي[1] في كتابه " نظم الدر والعقيان" من أخبار حافلة عن المدارس التي شيدها الأمراء الزيانيون وحفاوتهم لأهل العلم وتبجيلهم لأصدق دليل على ذلك سواء أكان هؤلاء العلماء من ابناء البلد أو الوافدين عليه من مختلف الحواضر المغربية و الإسلامية ، و ما لاقاه علماء العدوة الأندلسية خصوصا لدليل على ذلك [2] و قد كان للجوء علماء الأندلس للمغرب و ما حملوه معهم من علم وفكر ذا وقع كبير على مجريات الحياة الثقافية بعاصمة المغرب الأوسط تلمسان ، و هذا ما أكده ابن خلدون في قوله "و أما المغرب فانتقل إليه من دولة الموحدين من الأندلس

[1]عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص497، بوكريديمي نعيمة، الرحلة العلمية، المرجع السابق، ص170.

[2]عبد الحميد حاجيات،تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط،مقال ضمن مجلة الحضارة الإسلامية،العدد1،وهران،1993،ص40

حظ كبير من الحضارة ،واستحكمت من عوائدها ، لما كان لدولتهم من الاستلاء على بلاد الأندلس"[1]

1-2-مركز بجاية الثقافي:

شهدت مدينة بجاية حياة ثقافية مزدهرة في القرن السادس والسابع الهجريين /الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، حيث عرفت الحركة العلمية والفكرية بها تقدما كبيرا ،ونبغ بها أعلام كثيرون ،اثبت الكثير من تراجمهم صاحب عنوان الدراية ،والذي يرجع له الفضل في التعريف بالمكانة العلمية والأدبية المتميزة بها ،وبنشاطها الثقافي ولقد ساعدت عوامل عديدة في علو شأن مركز بجاية الثقافي نذكر منها موقعها الجغرافي الممتاز الذي وصلها بالأندلس وصقلية والمشرق وبكل المدن الساحلية بحرا كما وصلها برا بكل المناطق في إفريقية والمغرب الأقصى وليس بالمغرب الأوسط فحسب، وهذا الموقع هو ما دفع الإدريسي بتسميتها ببجاية القطب.[2]

وللإشارة لم يكن الموقع الجغرافي وحده عاملا من عوامل ازدهارها الثقافي، بل لقد شهدت بجاية نهضة علمية وفكرية هائلة خلال هذا العصر والعصور التي تلته حيث قامت بها مدارس ومعاهد علمية ذات شهرة ومساجد جامعة وزوايا صوفية عريقة ونبغ بها علماء أجلاء ذوي رأي في الشريعة الإسلامية وشعراء فحول وحكماء ومتطلعون في الفلسفة والحكمة وعلم التوحيد ولغويون مبرزون ومحدثون ، ومتفقون في الرواية ومتصوفة

---

[1] ابن خلدون،المقدمة،المصدر السابق،ص104.

[2] – الإدريسي، المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص116.

في الفقه ورياضيون مبتكرون وطلاب علم ومعرفة من كل أنحاء العالم الإسلامي شرقه وغربه ، ومن أوروبا خاصة إيطاليا وجنوب فرنسا وبلاد اليونان.[1]

وحسب رواية أبي حامد الصغير المسيلي، فإن بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي[2] وقد ذكر ياقوت الحموي بأنه حتى العوام والعمي في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري والمدونة والموطأ والتلقين ويشرحون من ما ذكراتهم.[3]

وعن أبرز أعلامها على الإطلاق والذين نوهت المصادر التاريخية بنبوغهم في علم الفقه نذكر عبد الله بن الحجاج المعروف بابن السكان (562-641هـ/1166-1243م) الذي اشتهر في الفقه المالكي والعالم الفقيه أبو يوسف عبد السلام يعقوب الرواوي البجائي (ت690هـ/ 1291م) الذي كان يدرس الفقه على مذهب الإمام مالك في المدينة كما يعد القاضي عبد الرحمن الوغليسي أشهر فقهاء ببجاية في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، إذ كان قطبا بالجامع الكبير ببجاية، وكان يلتف حوله الطلبة والعلماء من مختلف الأعمار ألف العديد من الكتب في الأحكام الفقهية في الفقه المالكي والمسماة بالوغليسة وهو الكتاب الذي يتصدر أهم مصادر الفقه المالكي طيلة القرن الثامن والتاسع/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وظل مرجعا مهما يرجع إليه الطلبة في أغلب

---

[1] – يحيى بوعزيز، مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية في نهضة إيطاليا وجنوب غرب أوروبا، مقال ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، العدد1، وهران،1993،ص ص 7-22.

[2] –عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 320-321.

[3] –يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص7-22.

الحواضر العلمية من طلبة بلاد المغرب الإسلامي، وقد تخرج على أيد هذا العالم العديد من الطلبة الذين كان لهم الفضل في تكوين مدرسة حملت لواء الثقافة ببجاية ونافست جارتها من الحواضر العلمية كتونس وغيرها، ولذلك فلا غرابة إذن أن تذكر المصادر التاريخية أن أغلب علماء القرن التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، كانوا من تلاميذ الوغليس بطريقة مباشرة أو تتلمذوا على تلاميذه.[1]

إلى جانب علم الفقه، اهتم علماء بجاية بعلم التفسير منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، وبكتبه المتداولة في ذلك العصر، وكان في طليعة هذه الكتب كتاب التفسير الذي قام به المفسر عماد الدين أبو الفدا إسماعيل (ت 774هـ/ 1372م) الذي يتكون من خمسة أجزاء.[2]

ومع ذلك، فقد وجدت كتب لبعض هؤلاء العلماء الأجلاء، اهتمت بالعلوم العقلية والتجريبية خاصة الطب، الأمر الذي جعل من بجاية مقصدا لطلبة علوم الطب والأطباء من مختلف الأمصار خاصة من الأندلس كما اهتموا بعلم الفلك وعلم الرياضيات، حيث حضت بجاية بتطوير علم الحساب الهندسة والجبر والميكانيك بسبب استفادتها من علوم الأولين كالإغريق والهنود بعد دراستها والاستفادة منها[3].

وهكذا، فقد ساهم هذا الحشد من العلماء والمفكرين في هذا المركز الثقافي والحضاري البجائي في إثراء الحضارة العربية الإسلامية إثراء واسعا في مختلف مجالاتها الفكرية والمادية والروحية والأدبية، وفي كل أصقاع المغرب والأندلس وبلدان المشرق،

---

[1] – بن الديب عيسى وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المرجع السابق، ص125.

[2] – نفسه ، ص130.

[3] – نفسه، ص136.

وشاركوا في نهضتها وتطورها، وتوسيع مجالاتها ومفاهيمها علما ودراية واستيعابا وتأليفا وإبداعا، وعبدوا الطريق لمن جاء بعدهم من الأحفاد في سائر المغرب الأوسط كله.

ومنه نستنتج أن مدينة بجاية شكلت منارة حضارية ومركزا علميا نافست به الحواضر العلمية الأخرى داخل المغرب الأوسط وبلاد المغرب والعالم الإسلامي كتلمسان، وفاس وقسنطينة والقيروان وتونس وغيرها من مراكز الإشعاع الفكري خلال العصر الوسيط، وقد قال العبدري في شأنها "وهذا البلد بقية قواعد الإسلام، ومحل جلة من العلماء الأعلام، وله من حسن المنظر طيب المخبر، ومع المرى الرائق المعنى الفائق والحصانة ووثاقة البنيات بآرام وغمدان"[1]

2-المراكز الثانوية:

إن من جملة التغيرات التي أثرت على حياة الثقافة بالمغرب الأوسط في العصور الأخيرة من عمره بروز مراكز ثانوية، أصبحت هي الأخرى تنافس المراكز الرئيسية كتلمسان نفسها، ومن بين هذه المراكز نذكر على الخصوص ما يلي:

2-1-مركز أو مدرسة مازونة الفقهية:

عرفها أبو راس الناصري المعسكري بقوله: "المدرسة هي التي تبنى لدراسة العلم أي لتعليمه و تعلمه"[2]، واشتهرت مدينة مازونة التاريخية العريقة منذ أقدم العصور بمدرستها الدينية المختصة في العلوم والمعارف والدراسات الفقهية المختلفة كالفقه وأصوله الفرائض

---

[1] -العبدري، الرحلة، المصدر السابق ، ص26.

[2] أبوراس الناصري : عجائب الأسفار ، مخطوط غير مرقم – بمخبر مخطوطات شمال إفريقيا– جامعة وهران ورقة 79.

و علم التوحيد وعلم الحديث وعلم اللغة العربية من نحو وصرف علم البلاغة وغيرها من العلوم، كما عرفت بكثرة مجالسها و نجابة طلابها وقريحة شيوخها وعلمائها الأجلاء[1].

كما اشتهرت حسب بعض المصادر الشفوية بوجود مدرسة فقهية أخرى تأسست على أيام ولاء مازونة للدولة الزيانية ، و كان اسمها المدرسة الزيانية التلمسانية اليوسفية وقد شيدت بحي تنصارت "تيسارت"[2] و قد أخذت على عاتقها تعليم كل من يريد من أفراد المجتمع العلوم الدينية ، و من مشايخها نذكر محمد بن إدريس المازوني ، كما عرفت المدينة بروز عدة علماء و فقهاء ذاعت شهرتهم في كل أقطار العالم الإسلام ، نذكر منهم أبو عمران موسى بن عيسى بن يحيى المغيلي المازوني الذي نشأ في مازونة وتعلم بها والذي خصه الحفناوي بقوله: "تمكن من السنة حتى لم يدع للبدعة مدخلا إلا سده ولا لأهلها مقتلا إلا قده"[3] و لذلك فلما سئل أبو راس الناصري المعسكري عن الغرض من قصده مدينة مازونة في رحلته العلمية رد باختصار: "القراءة الفقه"[4] فالفقه تمثيل رأسمال المدينة الثقافي الذي تجدر بها منذ الفترات الأولى لانتشار الإسلام إلى غاية عصر الإمام يحي المازوني[5] للإشارة ، فقد ارتبط الفقه في المدينة بالمسجد باعتباره مركزا من مراكز

---

[1] بوكفة يوسف ،مدرسة مازونة الفقهية ، النهضة و السقوط ، رسالة ماجيستر قسم علم الإجتماع- جامعة وهران- 2008- ص 29، كذلك Jean lion l'Africaine ,description de l'Afrique trd par A.Epoubord libraire d'amerique d'orient paris 1981 pp 348-349.

[2] بوكفه يوسف ، الرجع السابق -ص78.

[3] الحفناوي ، المرجع السابق- ج2- ص 448.

[4] أبو راس الناصري : فتح الإله منته في التحدث بفضل ربي و نعمته ، تحقيق - محمد عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1990- ص20.

[5] فنموح فريد،الدررالمكنونة في نوازل مازونة للمازوني (ت883هـ/1478م) دراسة و تحقيق لمسائل الجهاد و الإيمان و النذور - مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ الوسط- جامعة منتوري قسنطينة.2010-2011- ص204.

التعليم الديني لمسجد سيدي عيسى و عزوز بن يحي المغراوي في القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي[1].

2-2-مركز وهران الثقافي: شهدت مدينة وهران[2] ازدهارا ثقافيا خاصة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، وتعود عوامل هذا الازدهار الثقافي إلى استقرار العالم محمد بن عمر الهواري بها وإنشائه لزاوية لتطوير الحركة العلمية بها، وهذا ما يؤكده ابن صعد بقوله "وكان لا يخلو مجلسه من معارضة علمية ومحاضرة أدبية"[3].

ومن خلال هذا النص، يتبين أن العلوم التي كانت تقدم لطلاب الزاوية لم تقتصر على فن أو علم التصوف فقط، وإنما اشتملت على مجموعة من المعارف الأخرى، سبق الهواري أن أخذها عن شيوخه في كل من بجاية وفاس، كما اعتبر ابن صعد من جهة أخرى الهواري من كبار علماء عصره، وهذا ما نقف عليه من خلال قوله:"حدثني جماعة من الأصحاب أنه كان ربما يعرض الطلبة العلم من أهل وهران وتلمسان وغيرهما من سائر البلدان من المسائل العريضة، يستفتون فيها شيوخ الوقت، لا يجدون غيرهم... وعندما يأثرن إلى مجلس الهواري، ويحضرون في جملة من يحضرون من الناس يجدون الجواب، لأن الشيخ إذا أخذ في الدرس يصل إلى تلك المسائل"[4].

وبناء على رأي ابن صعد، نستنتج أن الهواري كان يستقبل طلبة العلم من مختلف المراكز الثقافية بما فيها تلمسان نفسها التي عرفت ازدهارا ثقافيا في عصره،وعن مساهمتها الفكرية الثقافية، فيتضح ذلك من خلال استقبال مدن المغرب الأوسط وعلى

---

[1] بوكفة يوسف ،مدرسة مازونة، المرجع السابق ص22 فنموح فريد ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة للمازوني المرجع السابق – ص204.

[2] – بن الديب عيسى وآخرون،المرجع السابق،ص138.

[3] – ابن صعد،المصدر السابق، رقم 2569، ورقة 40.

[4] – نفسه،رقم 2569، ورقة 49-50.

رأسها مدينة وهران للمهاجرين الأندلس الذين توافدوا عليها منذ بداية سقوط المراكز الأولى للدولة الإسلامية بالأندلس في أيدي المسيحيين، واستقرار علماء الأندلس بها وهو ما جعل العلماء يقبلون عليها للأخذ عنهم، ومن هؤلاء محمد الشريف الحسني أبو عبد الله الذي قال:"لقيت بوهران سيدي عزوز بجبل المرسى بوهران سنة 582هـ/1448م)، وقرأت على سيدي محمد بن سعد الشريف الغرناطي قاضي وهران عام 860هـ/1453م).[1]من خلال هذا النص الذي أورده الشريف الحسني عندما تعرض لرحلته لوهران يتبين أن دور الأندلسيين لم يقتصر على الحياة الفكرية فقط، بل امتد أيضا إلى تولي وظائف الدولة منها القضاء، ويبدو أنه لم يكن الوحيد الذي هاجر إلى وهران، بل هناك علماء آخرين لم يأتي ذكرهم في كتب التراجم التي أطلعنا عليها،ومن بين العلماء الذين نسبوا لمدينة وهران ،نجد سيدي بختي دفين ناحية غمرة، عرف من قبل المترجمين له بأنه قد جمع بين العمل والعلم وجودة الحفظ وقوة الفهم والديانة، كما تميز بكثرة النصح فانتفع بعلمه خلق كبير من الطلبة خصوصا في علم التصوف، وذلك لكونه درس كل من الشيخ العلامة محمد الهواري الذي تلقى التصوف بمدرسة بجاية التي كانت من أبرز المدارس في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، كما درس أيضا على تلميذه وخليفته إبراهيم التازى الذي طور علم التصوف بمدرسته في وهران.[2]

ويبدو، أن هذا التكوين الذي حضي به الشيخ بختي ساعده على الانتفاع بالعلوم الدينية وجعله ينال بركاته في كل شيء وجعله محبوبا لدى أحد رجال التصوف في تلمسان وهو الشيخ أبو علي الحسن بن مخلوف دفين تلمسان الذي يعد من كبار المتصوفة في عصره، ويكفي أن السلطان الزياني كان يطلب وده، وود محمد الهواري أيام الفترة التي شهدت اضطرابات بسبب محاولات سلاطين الدولة الحفصية بسط نفوذهم على

---

[1] – مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية ،المرجع السابق، ج2، ص239.

[2] – نفسه ، ج2، ص241.

مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط حتى نعرف مكانته العلمية المتميزة[1]،غير أن هذا الازدهار الذي عرفته مدينة وهران مع باقي مدن المغرب الأوسط لم يستمر طويلا بسبب سقوط مدن المغرب الإسلامي، ومن بينها مدينة وهران في يد الاحتلال الاسباني، وقد كان لسقوطها أثر سلبي على الحياة الثقافية والفكرية بها خصوصا بعدما نهبت مكتبتها التي كانت بزاوية محمد الهواري، والتي كانت تحتوي على كتب نفيسة لعلماء المغرب الإسلامي والأندلس ونقلها من طرف الكردينال أخسميناس إلى مسقط رأسه بالقلعة الغربية من مدريد.[2]

وعليه يمكننا القول، بأن هذه المراكز العلمية الثقافية بالمغرب الأوسط سواء كانت رئيسية أو ثانوية ساهمت بمجهود كبير في بناء وإرساء معالم الحضارة العربية الإسلامية الزيانية وحضارة العالم الإسلامي برمته من جهة، كما ساهمت بدورها في محاربة كل أنواع الغزو الأجنبي الذي تعرضت له بلاد المغرب الأوسط بصفة خاصة وبالتالي جمعت بين المهتمين بالثقافة والعمل السياسي التحرري الوطني.

- **مظاهر الحركة العلمية بالمغرب الأوسط**

أولا: أصناف العلوم

شهد المغرب الأوسط في الفترة الممتدة من القرن السابع إلى التاسع الهجري/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، تطورا ملحوظا في الحركة التعليمية ،و نلمس مظاهر ذلك في انتشار الكثير من العلوم وازدهارها[3] ، والتي كانت تنقسم إلى قسمين و هما:

---

[1] – لمزيد من التفصيل عن هذه الأحداث ينظر التنسي، نظم الدرر والعقيان، المصدر السابق،ص ص 243-250.

[2] – مختار حساني، المرجع السابق،ج2،ص250.

[3]بلحسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 41.

1-العلوم النقلية :

و تتمثل في العلوم الدينية أو الشرعية التي تتخذ من القرآن الكريم و السنة أساسا لها وتشمل:

1-1-علم القرآن و التفسير :

اهتم أهل المغرب الأوسط بدراسته و حفظه وتفسيره ،كانوا يدرسونه في الكتاتيب والمساجد و المدارس ، [1] أما عن أهم علماء المغرب الأوسط الذين عملوا واشتهروا في حقل التفسير ،الفقيه أعلم الناس في وقته بالتفسير أحمد بن زاغوا(745هـ/1341م) الذي قام بتأليف مقدمة في التفسير ،وتفسير سورة الفاتحة [2] و كذلك سعيد العقياني (811هـ/1408م)الذي اجتهد في تفسير سورة الفاتحة والأنعام[3] و المفسر ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438) الذي قام بتفسير عدة سور من القرآن الكريم هي "الإخلاص" و"المائدة " و"مريم" حتى قيل فيه بأنه فارس التفسير اقتدى فيه طريقة الأسلاف مثل الزمخشري و إبن عطية و أبي حيان[4] ،ومن أهم كتب التفسير التي كانت تدرس بالمغرب الأوسط نذكر لامية الشاطبي وتفسير بن عطية و أنوار التنزيل للبيضاوي والكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم الزمخشري والتهذيب للبيهقي[5]

1-2-علم القراءات :

و يتضمن عدة فروع منها،فن القراءات،و فن الرسم ويتناول هدا الأخير أوضاع حروف القرآن في المصحف و رسومه الخطية ،و للإشارة ، فقد تعددت القراءات إلى أن استقرت في

---

[1]محمد المتولي، حضارة الموحدين دار توبقال– دار البيضاء –1989 –ص 35 عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني ج2،المرجع السابق ،ص437 .

[2]ابن مريم، المصدر السابق –ص ص41-42، الحفناوي ، المرجع السابق –ص 47.

[3] – ابن مريم ، المصدر السابق – ص 42

[4] – ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق،ص ص 786-788، الغبريني نعنوان الدراية،– المصدر السابق، ص26، حاجيات أبو حمو موسى،المرجع السابق، ص 39.

[5] –المرجع نفسه، ص 39.

سبع طرق معينة ،و نسبت كل طريقة إلى من اشتهر برواتها، فصارت بذلك هده القراءات السبع أصولا للقراءة ،ومن بين العلماء الذين اشتهروا في هدا الميدان بالمغرب الأوسط ، الإمام محمد بن يوسف السنوسي (859هـ/1490م) صاحب العلوم الظاهرة والعلوم الباطنة و التوحيد و القراءات و التفسير و الحديث و المنطق[1] و كذلك المؤرخ الحافظ محمد بن عبد الله التنسي (899هـ/1493م) ،الذي اعتنى برسم القرآن الكريم وألف فيه كتاب عنوانه "الطراز في شرح الخراز " و هو شرح لكتاب محمد بن محمد الأموي الشهير بالخراز و المسمى "مورد الظمأن في رسم القرآن "[2] و هي منظومة في ضبط القرآن نظمها سنة(703هـ/1303م). اشتهرت في بلاد المغرب و اقتصر الناس على حفظها[3].

1-3-علم الحديث :

يراد به حفظ ما نقل على الرسول صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل ، وما نقل عن أصحابه ، وقد ظهر علم الحديث نتيجة إهتمام المسلمون بنقل سيرة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم [4]

و الواقع ، لقد اهتم أهل المغرب الأوسط بهذا النوع من العلوم نظرا لماله من قيمة كبرى في الدين الإسلامي ،حيث يأتي في المرتبة الثانية بعد رتبة القرآن الكريم ، بالإضافة لدلك فنجده يعنى بتفاصيل حياة الرسول الكريم و ملامح شخصيته و سيرته ذات الأهمية لكبرى في حياة المسلمين و ضرورة الإقتداء به في حياتهم الخاصة كما هو واضح في قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ**

---

[1] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 246، الحفناوي، المرجع السابق –ج1، ص 181، عبد العزيز فيلالي– دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي ، دار الهدى للنشر والتوزيع الجزائر 2012، ص 192، عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ج2، المرجع السابق،ص 439

[2] – ينظر المخطوط بالمكتبة الوطنية ، الجزائر تحت رقم – 391–ورقة –140 .

[3] – ابن خلدون ، المقدمة، المصدر السابق، ص 70

[4]ابن خلدون ، المقدمة،المصدر السابق – ص 534

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [1]،أما عن أهم مؤلفات الحديث التي تناولها طلاب المغرب الأوسط بالبحث و الدراسة كتاب الموطأ الإمام مالك (179هـ/ 795 م) ، جامع البخاري للبخاري[2] ، و مسند مسلم لمسلم بن الحاج (261هـ/ 875 م) وسنن أبي داود لأبي داود (275هـ/888م) وجامع الترميدي لأبي عيسى الترميدي (275هـ/ 888م) ، و جامع النسائي لأبي عبد الرحمان شعيب النسائي (303هـ/ 915م).

أما فيما يخص أبرز علماء المغرب الأوسط الذين اشتهروا في علم الحديث الفقيه العالم أبي إسحاق إبراهيم (680هـ/ 1281م)الذي تربع على عرش الحديث ، و كان إنتاجه فيه وفير و كذلك أبوزيد عبد الرحمان بن عتيق البلولي الذي كان منافسا في هدا الميدان وكذلك بن هدية الذي اشتغل بتدريس مادة الحديث[3] والفقيه المحدث أبو زكريا يحي بن عصفور أبي إسحاق التنسى اللذان كان يدرسان علم الحديث لطلاب تلمسان زيادة على أبو عبد الله بن مرزوق العجيسي جد الخطيب الذي اعتنى هو بدوه بهذا العلم [4]وعن أهم مصنفات علماء المغرب الأوسط في هذا الميدان نذكر شرح الجامع الصحيح و الحلق السميح الذي قال عنه ابن مرزوق مايلي:"لم يرى الراؤون مثله لأبو الفضل محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد الذي صنف من كل فن من فنون العلم،" [5] و كتاب المغيلي في علم الحديث المعروف بـ"مفتاح النظر" و شرح محمد السنوسي كبير علماء تلمسان في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس

---

[1]سورة الأحزاب – الآية 21

[2]الغبريني، المصدر السابق – ص 216–

[3]ابن المرزوق ، المجموع– ورقة 45 – عبد العزيز فيلالي ،تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق – ج1–ص 443 .

[4]ابن المرزوق،المصدر السابق، ورقة 45.

[5]نفسه ورقة –ص 50

عشر ميلادي، كل من صحيح البخاري في كراسين و مختصر الزركشي[1] و مختصر إكمال الأكمال، وقد زاد فيه السنوسي نكتا غريبة و دررا حسب تعبير الملالي [2]

1-4-علم الفقه :

عرف ابن خلدون الفقه بقوله "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب الحظر و الندب والكراهة و الإباحة ، وهي مشتقات من الكتاب و السنة عموما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه [3]، و هو يعالج جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته الشخصية و الدينية والاجتماعية والاقتصادية ، و يضع القواعد التي تنظمها حيث دخل في تنظيم العبادات من الصلاة و الصوم وزكاة و حج وتنظيم أمور الحياة و قوانين إدارة الدول و دستورها و أمور الحرب ، و هو في الأصل في التشريع الإسلامي كما أنه الدستور المنظم للإنسانية جميعا[4]و هو يستند على أربعة مصادر و هي الكتاب و السنة والاجتهاد و القياس [5]،أما عن أهم المؤلفات الفقهية التي درست من قبل طلاب المغرب الأوسط نجد كتاب المدونة لسحنون عبد السلام بن سعيد[6] ، و التهذيب الأبي

---

[1] – هو بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المصري ، توفي سنة 794/ 1391 بنظر فيلالي ،تلمسان في العهد الزياني –ج2– ص 483 .

[2]الملالي ، المذاهب القدسية في المناقب السنوسية –دار الكتب الوطنية التونسية – رقم 6253 ورقة 144

[3]عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ،المصدر السابق،ص 798

[4]خالد بلعربي ، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن،المصدر السابق، ص 326

[5]ابن خلدون ، المقدمة ،المصدر السابق،ص ص 801– 802

[6]– البرذاعي هو أبو سعيد خلف بن ابي القاسم بن سليمان الأزدى القيرواني من حفاظ المذهب املكي و هو من أصحاب أبي زيد القيرواني و أبي الحسن القاسمي و له كتاب التهذيب في إختصار المدونة -ينظر ابن غازي ، فهرس ابن غازي –ص129، ابن فرحون ، الدياح المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب مطبعة السعادة –ط 1– مصر 1351–1932–ص 113 ،عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين – دمشق –1961 ،ص82 ، الغبريني ، المصدر السابق، ص 266 .

سعيد البر ادعى و الرسالة الأبي زيد القيرواني [1] ، وكتاب الإمام عياض بن موسى [2] ، أما في ما يخص أشهر علماء الفقه بالمغرب الأوسط فنجد الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام لتنسي لمطماطي (680هـ/1281م) الذي استقدمه السلطان يغمراسن إلى تلمسان (666هـ/ 1267م) لتدريس العلوم الدينية بها ، وقد أخد عنه خلق كثير ، وقد حظي أبو إسحاق التنسي بسمعة طيبة في كل الأقطار التي زارها [3] و بشأن هذه السمعة الطيبة التي تمتع بها قال عنه السلطان المريني أبو يعقوب: "ما صفحني أحد قط إلا أحسست بإرتعاش يده لهيبة للسلطان إلا الفقيه أبو إسحاق التنسي فعندما يصافحني تدركني منه مهابة ، فكانت يدي ترتعش من هيبتة"[4]،أما عن أشهر تأليفه شرح كتاب تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهي الأبي محمد عبد الوهاب المالكي في عشرة أجزاء ، غير أنه قد ضاع أثناء الحصار الطويل،ومن الفقهاء كذلك نجد أبوزيد عبد الرحمان بن أحمد الوغليس[5] (786هـ/1384م) نشأ ببجاية وولي الفتيا بها، و أخد عنه كثير من علمائها كأبي الحسن علي بن عثمان وغيره كثيرون[6]،ومن أشهر تأليفه الجامعة في الأحكام الفقهية في الفروع الوغليسية ، و له المقدمة المشهورة وفتاوى [7] وصفه ابن

---

[1]– الغبريني ، المصدر السابق، ص 225

[2] -التنسي ، المصدر السابق –ص 232– 233

[3] -يحي بن خلدون، المصدر السابق ص–114

[4] -ابن مرزوق،المجموع،المصدر السابق، ورقة 44

[5] – بن وغليس ،هم من قبائل البربر في جنوب بجاية باعلي واد الصومام ينظر عادل النويهض، معجم أعلام الجزائر، – ص 342 .

[6]– بوداوية مبخوث ،العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بن زيان – دكتوراه دولة في التاريخ – إشراف عبد الحميد حاجيات .جامعة تلمسان – 2005 – 2006– ص 118.

[7]– عبد الحميد حاجات ، الحياة الفكرية،المرجع السابق، ص 443 .

زكرياء الزواوي بأنه الفقيه الأصولي المحدث المفسر، عمدة أهل زمانه و شيخ الجماعة في بجاية[1] .

1-5- علم التوحيد:

هو علم يبحث عن وجود الله ، و ما يجب أن يثبت له من صفات و ما يجوز أن يوصف به و ما يجب أن ينفى عنه ، و عن الرسل الإثبات رسالتهم ، وما يجب أن يكونوا ما يجوز أن ينسب إليهم و ما يمنع أن يلحق بهم [2]،أما عن أهم أعلام المغرب الأوسط الذين برزوا في هذا العلم نذكر أبو محمد عبد الله السنوسي محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب (832هـ-895هـ/1428م-1490م) تلمساني الأصل ،والذي تتلمذ على أشهر علماء تلمسان ،اشتغل في الحقول المعرفية التالية الفقه و التفسير و المنطق و علم التوحيد وعلم الكلام ،أما فيما يخص أشهر مؤلفاته ، فنجد عقيدة أهل التوحيد، العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد ، توفي بتلمسان سنة 795هـ/ 1490م) عن عمر يناهز 63حولا[3].

1-6-علم الكلام :

ظهر علم الكلام كنتيجة لظهور الحاقدين على الإسلام و سمي بعلم الكلام لأن أهم مسألة وقع الخلاف فيها في كلام الله "القرآن الكريم"وهو علم أشبه بالمنطق، وهو يبحث في المسائل المعقدة و الدقيقة مثل التوحيد و الآخرة و الصفات الإلهية، والخير و الشر، و الحقيقة

---

[1] - عبد الحميد حاجات ، الحياة الفكرية، المرجع السابق، ص 443.

[2]-عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر،المصدر السابق -ج2- ص 584، الأخضر عبدلي - مملكة تلمسان في العهد بني زيان شهادة التعميق في البحث كلية العلوم لإنسانية و الاجتماعية جامعة تونس - 1987 - ص 45

[3]عبد القادر بو عرفة الهلالي ،أعلام الفكر و التصوف بالجزائر ما قبل الملا دالي القرن السادس عشر ميلادي - دار الغرب لنشر والتوزيع وهران 2004 -ج1- ص 81 .

النبوية، والقرآن وما إلى ذلك [1]،أما عن أشهر علماء المغرب الأوسط الذين برزوا في هذا العلم فنجد محمد بن عيسى العابدي الملكي المشهور بابن عباس (871هـ/1467م) ،نشأ بمدينة تلمسان تولي مهمة الإفتاء وعدّ من كبار العلماء اشتهر في الحقول العلمية التالية المنطق ، وعلم الكلام والفقه و الفتوى و اللغة و النحو .

أما عن أهم المؤلفات التي ألفت في هذا النوع من العلوم فنجد شرح جمل الخونجي تحقيق المقال و تمهيل المنال، والاعتراف في ما لفظ أبي هريرة من الإنصاف،أما عن أهم المؤلفين فنجد أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبي العيش بن محمد (986هـ/1041م) التلمساني الأصل ، الذي تتلمذ على يد عمه أبي عثمان سعيد بن أحمد، وبرع في الفنون والعلوم التالية علم الكلام، التاريخ ، علم التجويد ، الأدب،و عن أشهر مؤلفاته التي تركها نخص بالذكر نفح الطيب ، البدأة وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض روض الآس العاطر الأنفاس، كما له مجموعة من القصائد والمطارحات الشعرية والأدبية المليحة ومنها قوله:

تركتُ رسومَ عزِي في بلادي وصرتُ بمصرَ منسي الرسومَ

توفي بالشام مسموما سنة(986هـ/1041)على أرجح التقدير [2].

1-7-علم التصوف :

يعرف علم التصوف "بأنه الأخذ بالحقائق و اليأس مما في أيدي الخلائق "[3]،أما عبد الرحمان بن خلدون فقد عرف التصوف الحقيقي في قوله :"التصوف رعاية حسن الآداب مع الله في الأعمال الباطنية و الظاهرة بالوقوف عند حدود مقدما الإهتمام بأفعال القلوب مراقبا

---

[1] ابن خلدون ،العبر –ج2المصدر السابق،ص 787 ، بلحسن ابرهيم ،المرجع السابق – ص 44 .

[2] -عبد القادر بوعرفة الهلالي ،أعلام الفكر والتصوف ، المرجع السابق-ج1- ،ص 97 .

[3] – السهروردي شهاب الدين، عوارف المعرفة –دار المعرفة –بيروت –1982 –ص 62 .

خفاياها حريصا بذلك على النجاة[1] ، و كذلك عرفه بأنه "علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة و أصلها العكوف عن العبادة و الإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها و الزهد فيها يقبل عليه الجمهور من لذة و مال وجاه [2]،وكان المتصوفة الأوائل يؤكدون دوما على لالتزام بالكتاب و السنة فعن الجنيد أنه قال "ما أخذنا التصوف عن القيل و القال ،لكن عن الجوع و ترك الدنيا و قطع المألوفات والمحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه و تعالى و أصله التفرق عن الدنيا "[3]

و عليه ، فإن علم التصوف يقصد به العبادة و الزهد ،و يطلق عليه أيضا بعلم الباطن أو علم الحقيقة مع الإلمام بعلم الظاهر و هو الشريعة الإسلامية [4]،أما الغاية منه فهي البعد عن الدنيا و التحكم في النفس حتى تقضى على القوى الحسية [5].

و للإشارة ، فقد برزت ظاهرة التصوف في بلاد المغرب الأوسط بصفة خاصة مع ظهور الزوايا و انتشارها خلال القرن السابع الهجري(/13م) ومن العوامل التي ساعدت على انتشارها الظروف السياسية و الأمنية التي عرفها المغرب الأوسط و المتسمة باللاإستقرار واللاأمن بسب الحروب المستديمة بين الدويلات المغاربية والصراعات الداخلية على السلطة ودور القبائل العربية و كذلك الخطر الخارجي و المتمثل في الحملات الصليبية على بلاد المغرب الإسلامي ،ا لأمر الذي دفع بأعداد كبيرة من الشعب إلى الانكماش في حياة العزلة

---

[1] –عبد الرحمان ابن خلدون ، شفاء السائل لتهذيب المسائل –تحقيق أغناطيوس عبده الخليفةالمطلعة الكاثوكلية –بيروت –1959 –ص50.

[2]ابن خلدون ، المقدمة ،المصدر السابق ص 462.

[3]ابن الجوزي البغدادي ، تلبيس إبليس – دار الكتب العلمية –بيرت – الطبيعة البثانية – 1987– ص ص192– 193.

[4]عبد العزيز فيلالي ، دراسات في تاريخ الجزائر ،المرجع السابق،ص 109 .

[5]بلحسن ابراهيم ،المرجع السابق – ص 44.

الانزواء و الهروب من المشاكل اليومية[1] بدون أن ننسى دور سلاطين المغرب الأوسط في دعمها و نموها و توسعها ، و ذلك من خلال الاحترام المتميز الذي خصوا به رجال التصوف.

ومن بين شيوخ التصوف الذين اهتموا بعلم التصوف في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة المعنية بالدراسة وبرزوا في التصوف الفلسفي إبراهيم محي الدين بن عربي[2] (638هـ/1240م)الذي مر ببجاية أواخر القرن السادس الهجري/10م و عبد الحق بن سبعين[3] (669هـ/1270م) حيث كون مدرسة تركت أثارها في تلمسان وبجاية وغيرها[4] محمد بن خميس[5](708هـ/1308م) الذي تصدى له و لأفكاره بعض فقهاء تلمسان على رأسهم القاضي

---

[1]بوداود عبيد ، طاهر التصوف المرجع السابق، ص 33 .

[2] – هو محي الدين بن عزلي المرسي ، ولد يوم الإثنين 17 رمضان سنة560 ه أصله من مرسية ، رحل إلى شرق وفي طريقة الدخل بجاية في رمضان 597ه عرف برحلاته المتعددة ، بعد قطب من أقطاب التصوف الفلسفي له العديد من المؤلفات منها كتاب النصوص – الفتوحات و هو أعظم مؤلفاته لمزيد من المعلومات ينظر المقري ، نفخ الطيب المصدر السابق، – ج 14.

[3] – هو أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين ، عرف بسعة علمه و معرفته و نباهته و بلاغته ، عرف رحل إلى المشرق ، و إستقر ببجاية ، لهة مشاركة في العلوم القلية و العقلية بنظر التنبكتي ، نيل الإتهاج المصدر السابق، –ص 184 المقري ، نفخ الطيب المصدر السابق، – ج2– ص 356.

[4] محمد مكيوى ، المرجع السابق – 143 .

[5] هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن خمسي الحمري النسب ، معظم المصادر لما تتحدث عن الشيوخ الذين أخذ عنهم ، عاش مجهول عند أهله و بين بلدته ن و لم ينشر له ذكر حتى في الكبر يوم أصبح فارس حلبة البيان ، ينظر أبن خلدون ، التعريف برجال السلف – ج2– ص 366– 382، المقري ، نفح الطيب المصدر السابق، –ج7– ص ص 277– 297 يحي ابن خلدون المصدر السابق – ج1–ص 109.

و رئيس الوزراء أبن هدية[1] (737هـ/1337م) الذي عرف بتفرده السياسي في الدولة الزيانية و اتهامه لابن خميس بالكفر و الزندقة[2] من المتصوفة أيضا الشيخ العالم أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق (ت681هـ/-128م) الذي انكب على التصوف ، انقطع للعبادة [3]،و منهم الشيخ المتصوف أحمد بن عبد الرحمان الشهير بابن زاغو لتلمساني (782هـ-845هـ/1370-1441م) الذي عرف بتأليفه و شروحه الكثيرة لاسيما في ميدان التصوف ، قال عنه تلميذه أبو الحسن القلصادي في رحلته :"شيخنا الفقيه الإمام المضيف المدرس أعلم الناس في وقته بالتفسير ... ،وله قدم راسخة في التصوف مع الدوق السليم والفهم المستقيم و به يضرب المثل في الزهد والعبادة"[4] .

و عليه يمكننا القول أن ازدهار العلوم الدينية بالمغرب الأوسط، و كثرة الإقبال عليها يعود للإحترام الذي يكنه عامة الناس المتخصصين فيها هذا من جهة ، و من جهة أخرى كونها كانت تمكن الطلبة من الحصول على وظائف هامة في القضاء و في الدواوين الإدارية والتدريس و الإمامة و غير ذلك من المناصب التي كان يتهافت عليها الناس[5] ، كما أنه لا يمكن الاستفادة من كل هذه العلوم ، إلا إذا كان الطالب ملما بعلوم اللسان العربي وهي علم

---

[1] هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرش كبير علماء نبامة و جاما و قوة في الحق و صرامة كان كاتب سر السلطان ، و كان يستشيروه في ملكه وفي كل الأسور ينظر ابن مريم المصدر السابق، ص 105 .

[2] نفسه ،ص106

[3] – يحي ابن خلدون المصدر السابق –ج1 ،ص ص114 –115 ابن مريم ،المصدر السابق، – ص 226 .

[4] – القلصادي (علي بن محمد)، رحلة القلصادي ،دراسة و تحقيق محمد ابو الاجفان ،الشركة التونسية للتوزيع –تونس – 1978 ص .69

[5] – الحسن الوازن ، المصدر السابق – ج2 – ص21، عبد الحميد حاجيات ، الحياة الفكرية بالجزائر ،المرجع السابق، ص439.

النحو و علم الأدب وحتى الحساب التي كانت تعد مادة يجب على الطالب إتقانها في الفرائض والمواريث.

2-العلوم اللسانية :

و نقصد بها العلوم التي تتصل بالعربية من نتاج أدبي نثرا كان أو شعرا و هي تشمل اللغة والنحو و الأدب الذي تتفرع عنه علوم أخرى كالصرف و البلاغة و البيان و المعاني والبديع والعروض ، أما المراد من دراستها فيتمثل في الاستعانة بها على فهم الدين الإسلامي ذلك لأن الأحكام الشرعية كلها مشتقاه من الكتاب و السنة وهي باللغة العربية لذلك فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان،و يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام هي كالتالي :

2-1 -اللغة العربية :

تعد اللغة العربية من أرقى اللغات السامية ، لكثرة مفردتها ،[1]و للإشارة فقد خطيت الدراسات اللغوية من قبل علماء المغرب الأوسط و أدبائه بإهتمام وإقبال الكبير : وذلك لارتباطها الوثيق بعلوم القرآن و الحديث خاصة، وبالعلوم الدينية على وجه العموم[2] ذلك أن الدارس لا يستطيع أن يصل إلى أسرار القرآن و معانيه و تعبيره دون الإلمام باللغة و البيان

أما عن أبرز علماء اللغة العربية في هذا العهد فنجد إبن مرزوق الحفيد الذي كان يدرس لطلابه جملة من الكتب تتعلق بالنحو و الصرف مثل كتاب سيبويه، و ألفية ابن مالك والمغنى

---

[1]برجستراسر ، التطور النحوي اللغة العربية سلسلة محاضرات ألقاما في الجامعة المصرية – المطبعة السياح –1929 –ص 75، عبد العزيز الفيلالي تلمسان في العهد الزياني – ج2 ،المرجع السابق،ص 452 –

[2]عبد الحميد حاجيات ، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بن زيان ،المرجع السابق،ص 146 – عبد العزيز فلالي تلمسان في العهد الزياني – ج 2 ،المرجع السابق، ص 452 ، خالد بلعربي ، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ،المرجع السابق،ص336

لأبن هشام ، و ألف شروحه الثلاثة على البردة ، الأكبر ،الأوسط والأصغر،[1]تطرق فيها إلى البيان والإعراب ، و من مؤلفاته كذلك "المفاتيح القوطاسية في شرح الشقراطيسية وغيرها من المؤلفات[2].

و من أئمة اللغة العربية الذين برزوا في هذه الفترة المعنية بالدراسة بالمغرب الأوسط نذكر: شيخ أبو عبد الله محمد الشريف (ت847 هـ/1443) اهتم بتدريس تلخيص المفتاح لطلابه و بعض ألفيته ، والتسهيل لابن مالك في النحو ، و جمل الزجاجي ،وتنقيح القوافي[3]،(821هـ/1461م) و محمد بن العباس التلمساني الذي كتب كتابا في الصرف سماه "شرح لامية الأفعال " ، و ظهر على رأس أعلام هذه العلوم التي كانت شائعة في المغرب لأوسط الشيخ الفقيه محمد بن قاسم بن تومرت التلمساني الذي كان متطلعا في علم الخط والنحو[4].

2-2- الأدب :

تأثر أدب المغرب الأوسط في هذه الفترة المعنية بالدراسة، بأدب بلاد المشرق والأندلس من دون أن يفقد شخصيته و ما يحتويه من مميزات، كما شهد من جهة أخرى تطورا ملموسا بفعل عدة عوامل منها عناية سلاطين المغرب الأوسط بالأدباء و العلماء ،وهو ماساهم في تنشيط الحركة الفكرية و الأدبية ، كذلك موقع مدينة تلمسان و مناظرها الخلابة التي فجرت المواهب ولأحاسيس لدى الأدباء الذين أثرو بإنتاجهم الجانب الفكري والأدبي، ومن ذلك النتاج الأدبي بالمغرب الأوسط نذكر:

---

[1]ابن مريم ،المصدر السابق، ص ص 210- 211

[2] – نفسه، ص 211.

[3]نفسه، ص 222

[4]ابن مريم البستان، المصدر السابق، ، ص 237.

2-3-الشعر:

شهد فن الشعر إزدهارا كبير في المغرب الأوسط ، ومن العوامل التي ساهمت في إزدهاره حاجة رجال التصوف في القرن السابع الهجري (/13م) إلى نقل أحاسيسهم الدينية وزهدهم و تجاربهم الصوفية في قصائد ساهموا من خلالها في إضفاء على الشعر أغراضا ذات طابع ديني منها الزهد و المدح[1]قرض كثير من سلاطين المغرب الأوسط للشعر و اغذاقهم الأموال على الشعراء واهتمامهم و عنايتهم بأهل العلم و الأدب "[2]ومن بين شعراء المغرب الأوسط الذي غلب على قصائدهم المسحة الصوفية خلال هذه الفترة ،نذكر الشاعر ابن خميس (650هـ-705م) الذي يكشف لنا في أحد أبيات قصيدته عن سيرته التي كانت تجنح إلى التعفف عما في الدنيا و الترفع عن ملذاتها بالصيام المتواصل والاعتكاف الدائم، واللجوء إلى الاحتفاظ كي تتطهر النفس و تسمو عن متاع الدنيا فيقول في بيت من قصيدته الحائية:

أما بعدَ صيامِي واعتكافِي وخلوتِي....يقالُ فلانَ ضيقَ الصدرِ نائحٌ[3]

كما يقول في مقاطع من قصيدته الهائية مصورا لنا طبيعة التجارب التي خاصها ما يلي :

عجبَا لها أيذوقُ طعمَ وصالهَا.....من ليسَ يأملُ أن يمرَ ببالهَا

وأما الفقيرُ إلى تعلةٍ ساعةَ.... منها وتمنعنِي زكاةَ جمالِها

وابن السبيلِ يجيئُ يقتبسُ نارَها....ليلا فتمنحُه عقليةَ مألِها[4]

---

[1]الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر خلال القرنين ال6 و7 الهجريين /12 – 13 م الملاديين ،دار الهدى للطباع والنشر وتوزيع الجزائر – 2004، ص 254 – خالد بلعربي ، المرجع السابق، – ص 342

[2]-الأخضر عبدلي ، الحياة الثقافية ،المرجع السابق، –ص 184 .

[3]المقري ، نفح الطيب –ج 9 ،المصدر السابق،ص 393 .

[4]- نفسه، –ص 268

أما عن شعراء المغرب الأوسط الذين نظموا قصائد في المدح السلاطين ومنهم السلطان أبي حمو موسى الثاني نذكر الشاعر الطيب أبو عبد الله التلالسي الذي يقول فيها :

فيا جنة الدنيا التي راق حسنها.....فحازت على كل البلاد به الفضلاَ

ولا عجب إن كنت في الحسنِ هكذا.... وموسى الإمام المرتضى قيلاً قد حلا[1]

2-4-**النثر**:

يعرّف ابن خلدون النثر بأنه كلام الغير الموزون "[2] ، و يتفق معه ابن البناء العددي (721هـ/ 1321م) في تعريفه للنثر بقوله "و هو الكلام الغير الموزون "[3]

وعليه فالنثر هو الطريقة الاعتيادية في أداء المعنى بدون إيقاع أو وزن أو قافية موحدة، وهو ينقسم إلى عدة فنون منها الأمثال و الخطب و الرسائل و المقالات و النقد والتاريخ والقصة والبحث و الوصايا وغيرها .

2-5- **الرسائل الرسمية (الديوانية):**

ومن بين الرسائل الرسمية تلك التي و جهها الوزير هلال القطلاني إلى جاسمة الثاني بإسم السلطان أبي تاشفين الأول ، و التي تتعلق بتحرير الأسرى المسحيين الموجدين في سجون تلمسان و الذين يعدون با لآلاف حيث أصبحوا في عداد العبيد [4]، و قد رد عليها

---

[1]محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري – الشركة اللنشر و التوزيع – الجزائر 1973 ص 241، عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ج2 ،المرجع السابق،ص 646

[2]ابن خلدون ، المقدمة ،المصدر السابق، – ص 1093

[3]ابن البناء المراكشي العددي ، الروض ،مرجع في ضاعة البديع ، تحقيق رضوان بن شقرون دار النشر المغربية دار البيضاء – 1985 – ص 81 – نافلة عن عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني – ج 2 – ص 455

[4]نفسه –ج2 – ص457

السلطان أبو تاشفين في رسالته الجوابية بالرفض على صاحب آراغون جاء فيها : "أما ما أشرتم إليه من تسريح من عندنا من الأسرى فذلك لا يمكن أن يكون ، لأن ما عمر بلادنا إلا الأسرى و أكثرهم ضاع ولو طلبتم ما يستغني عنه الحال في تسريح خمسة أو ست لا يسعنا مطلبكم ، أما تسريح الجميع فصعب الآن ذلك يخلي المواضع و يعطل ما يحتاج إليه من أنواع الضائع "[1]،أما عن الرسائل الرسمية التي كانت تحمل في طياتها مراسيم و اوامر وتوجيهات ووصايا إدارية مختلفة والتي كان السلطان الزياني يوجهها من تلمسان إلى الولاة و العمال حكام الأقاليم ، فلم يبق منها إلا القليل كالرسالة التي و جهها أبو حمو موسى الثاني إلى عبد الرحمان بن خلدون ، وهو بمدينة بسكرة يطلب منه جمع القبائل العربية خاصة قبائل رياح للإستعانة بهم في هجومه على مدينة بجاية [2] كذلك الظهير الذي كتبه أبو بكر بن خطاب على لسان مخدومه يغمراسن و المتعلق بمنح الأندلسيين المهاجرين الحق في السكن و التملك لأراضي زراعية [3]

2-6-الرسائل الاخوانية :

اشتهر العديد من كتاب المغرب الأوسط و أدبائه بالتنوع في إنشاء الرسائل الاخوانية أو الأدبية، وخاصة منهم ابن الخطاب ، و محمد بن خميس ، و ابن هدية ، و ابن مرزوق الخطيب و يحي ابن خلدون و محمد بن يوسف الثغزي و غيرهم .

1- نفسه – ج 2 – ص 459 – كذلك Dhina (A) le Royaume Abdalwadide a l'époque d'Abou Hamou Moussa 1er et d'abou Tachfine 1er ,op.v Alger 1985, p 227

2- عبد العزيز فيلالي ،تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق –ج2 –ص459 .

3- حول هذا الظهير ، ينظر أبو بكر بن خطاب ، فصل الخطاب في نثر أبي بكر بن خطاب – مخطوط بخزانة لملكية بالرباط – تحت رقم 4605- ورقة 39.40

غير أن رسائلهم هذه لم يدونها المؤرخون و الأدباء ، و لولا رد كتاب و أدباء الأندلس عليها لما كنا علمنا مضامينها و فحواها،[1] أما بالنسبة لمواضيعها فقد تشمل الرسائل الاخوانية فقد كانت تشمل بصفة عامة أغراض الوصف و العتاب و الشكر و المدح و التهنئة والتعزية و الشفاعة والتهادي و الشوق و التحية وغيرها من المواضيع المتداولة عند الأدباء[2]

و عليه ، يمكننا القول بأن بلاد المغرب الأوسط شهدت نهضة أدبية بصفة عامة ونثرية بصفة خاصة خلال العهد الزياني ، جعلتها تضاهي من تزامن معها من الدول وتنافسها ،وخير الدليل على ذلك الكم الهائل الذي أنجبتة من فطاحل الكتاب في هذا الحقل الأدبي العلمي المتميز .

3-العلوم العقلية:

إعتنى علماء المغرب الأوسط كغيرهم من العلماء المسلمين بالعلوم العقلية و الطبيعية بحكم أن الناس لا يستغنون عنها في قوائم أمور دنياهم[3] و تعمقوا في دراستها ، و كانت تشمل مايلي:

3-1-الرياضيات(العلوم العددية):

تعد الرياضيات من العلوم العقلية البالغة الأهمية ،عرفها ابن خلدون: "بأنها معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف"[4]، و من فروعها علم الحساب و علم الجبر والمعاملات و الفرائض و الهندسة [5]، وهي من العلوم التي لا يستغنى عنها الناس

---

[1]عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد زياني – ج 2،المرجع السابق، ص 457

[2]نفسه،ص 460.

[3] – الغزالي،إحياء علوم الدين – ج 1 – ،المصدر السابق،ص 62 .

[4]ابن خلدون ، المقدمة ،المصدر السابق،ص ص- 894 .

[5]نفسه –ص –ص 894 – 903 .

في المعاملات ، و لهذا ألفوا فيها الكثير[1]،مما تجدر الإشارة إليه هو أن الدراسات الرياضية بالمغرب الأوسط ارتكزت منذ القرن السابع الهجري(/13م) على ابن الياسمين في الجبر [2] وتلخيص أعمال الحساب الابن البناء (721هـ/1134م)[3]، وإقليدس في الهندسة [4]

وقد أصبحت هذه المصنفات و الدراسات في حواضر بلاد المغرب الإسلامي محور الحلقات الدراسية [5]،أما عن أبرز علماء المغرب الإسلامي الذين برزوا في هذا النوع من العلوم نذكر العالم أحمد التلمساني المعروف بالحباك (ت867هـ/1463م) صاحب شرح تلخيص أعمال الحساب .[6] وسعيد بن محمد.العقياني التلمساني (ت811هـ/ 1418م) الذي قام بشرح كتاب الحوفي في الفرائض و إستخدم فيه الكسور[7]، وأحمد بن محمد بن عبد الرحمان الشهير بإبن زاغو التلمساني صاحب شرح الكتاب التلمسانية في الفرائض [8]،أما عن أبرز من تميز بالتعمق في دراسة هذا العلم فذكر أبو عبد الله الأبلي تلميذ ابن البناء الذي قرأ عليه علم المخزونات ، و هي أعلى مراتب علم الهندسة ، و لهذا كان يسمى هذا العلم بعلم الأشكال

---

[1]عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني –ج 2 ،المرجع السابق، ص 470

[2]نفسه –ج 2 – ص470

[3]نفسه –ج2– ص 470

[4]المراكشي ، إعلام ممن حلى بمراكش من إعلام – المكتبة الملكية – الرباط – 1983 – ج4 – ص ص 356 – 357 ، ابن خلدون ، التعريف بأبن خلدون ص 840 ابن مريم ، المصدر السابق – ص – ص –153 – 154

[5]محمد المنوني ، نشاط الدراسات الرياضية في مغرب العصر الوسيط – مجلة المناهل تصدرها وزارة الشؤن الثقافية العدد 33 سنة 1985 – ص 78 – هو أبو عبد الله محمد بن أحمد يحي المعروف بالحياك ، نشأ وعاش بتلمسان خلال القرن التاسع الهجري / 15م ينظر عنه محمد الطمار ، جوانب من حياة المغرب الأوسط – ص 62

[6]عبد العزيز الفيلالي ، دراسات تاريخ الجزائر و المغرب الإسلامي ،المرجع السابق،ص 193

[7]ابن مريم ، المصدر السابق، – ص 106 ، ابن فرحون ، المصدر السابق، – 124

[8]نفسه، ص 124.

العجيبة [1]، وكذلك ممن برز في علم الحساب إسحاق بن إبراهيم الأنصاري التلمساني نزيل سبتة عرف بنظمه أرجوزه محكمة بعلمها و هو لا يتجاوز العشرين من عمره (ت690هـ/1291م) [2].

3-2-علم الفلك :

لقد إهتم بعض علماء المغرب الأوسط بعلم الفلك كعلم يعنى بدراسة حركات الكواكب والمواقع و الأمكنة على ظهر الأرض ، و معرفة القبلة و حساب الأشهر والسنين[3] ومواقيت الصلات و الحج ، و تحديد شهر رمضان ومن أشهر علماء المغرب الأوسط الذين إشتهروا بعلم الفلك و تخصصوا فيه إلى جانب العلوم الرياضية ، الشيخ الفقيه الرياضي محمد بن أحمد التلمساني المعروف بالحباك (867هـ/1462م) الذي تميز بتدريس علم الأسطرلاب ، ووضع فيه أرجوزة سماه "بغية الطلاب في علم الاسطرلاب "، وكذلك تلميذ محمد بن يوسف السنوسي الذي قام بشرح قصيدة أستاذه بغية الطلاب في علوم الأسطرلاب ، و سماها" عمدة ذوي الألباب و نزهة الحساب في شرح بغية الطلاب في علم الأسطرلاب"[4].

3-3-علم المنطق :

إعتبر المتأخرين من العلماء المنطق اشبه بعلم الكلام ، و قد كان يتناول مسائل العقيدة الدقيقة مثل التوحيد والآخرة، والصفات الإلهية ، و خلق القرآن وما إلى ذلك [5]، ومن فوائده تمييز الخطأ من الصواب، وبه يعرف الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والحجج

---

[1]عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج 2 – ص 471

[2]ابن مريم ، المصدر السابق – ص – 73

[3]عبد العزيز فيلالي ،تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق ، ج 2، ص 475

[4]نفسه، ج2، ص 475.

[5]إبراهيم حركات ، المرجع السابق –ج1– ص 399، الأخضر عبدلي تلمسان في عهد بن زيان، المرجع السابق ص 215

المفيدة للتصديقات، وذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس [1]،أما فيما يخص أبرز علماء المغرب الأوسط الذين اهتموا بهذا العلم ونشره بتعليمه بالمدارس محمد بن يوسف السنوسي، صاحب كتاب شرح مختصر ابن عرفه[2].و مختصر في علم المنطق والذي يعتبر أهم ما ألف السنوسي في علم المنطق ، قال عنه تلميذه الملالي " هو شرح عجيب جدا لم ير مثله " [3] وتظهر أهمية هذا الكتاب من خلال قيام العديد من علماء المغرب الأوسط والمغاربة على وجه العموم بشرحه[4]،و مع ذلك فان هذه الدراسات المنطقية التي قام بها علماء المغرب الأوسط وغيرهم ، تعد ضئيلة إذا ما قورنت بالمؤلفات الأخرى كالفقه و النحو والأدب والحساب .

3-4-العلوم الطبيعية :

يقول أبن خلدون في شأنها: " هي علم يبحث عن الجسم من جهة ، و ما يلحقه من الحركة والسكون ، فينظر في الأجسام السماوية و المعنوية ، و ما يتولد عنها من إنسان وحيوان و نبات و معدن ، و ما يتكون في الأرض من العيون و الزلازل و في الجو من السحاب و البخار و الرعد و الصواعق" [5] ومنها علم الطب الذي يهتم بالإنسان من حيث المرض و الصحة [6] ، و عن أشهر المؤلفات التي كانت تدرس في علم الطب أرجوزة ابن سينا

---

[1]ابن خلدون ، المقدمة ،المصدر السابق،ص 931

[2]عبد العزيز فيلالي ،تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق -ج2-ص 478

[3] نفسه، ج2، ص 478.

[4] لمزيد من المعلومات عن شرح مختصر السنوسي في المنطق - بنظر علوان سعيد ، محمد بن يوسف السنوسي و شرحه لمختصر في المنطق (دراسة و تحقيق) ،معهد الفلسفة - جامعة الجزائر 1987 - ص ص 72- 75

[5]ابن خلدون ، العبر - ج2- ،المصدر السابق،ص ص 72- 75

[6]نفسه - ج2 -ص 619

في الطب وجزء من كتاب المنصوري للرازي[1].، وزادا المسافر في الطب لأحمد بن الجزار[2]،أما عن أبرز علماء الطب بالمغرب الأوسط و الباحثين فيه فنذكر محمد بن أبي حمعية التلاليسي من أهل القرن الثامن الهجري(/14م) الذي كان أديبا و ماهرا في الطب و قد سمحت له براعته في الطب و العلاج أن يجمع بن الجبر ووهن الأجسام و مواساة حركات القلوب والأرواح ، وقد كان من أطباء أبي حمو موسى الزياني الثاني [3] ،و ابن قنفد القسنطيني من أهل القرن الثامن الهجري (/14م) الذي أنجز بعض الأعمال الطبية ،لكن للأسف أكثرها الأن مفقود [4] والفقيه المشارك محمد بن يوسف السنوسي من أهل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي[5]، وأبو القاسم محمد الحكم التلمساني الطبيب الخاص للعاهل التلمساني أبو تاشفين الأول (718هـ/1317م) [6]،و لعل خير دليل على تطور الحركة الطبية بالمغرب الأوسط هو حلول المصري عبد الباسط بن خليل خلال القرن التاسع الهجري(/ 15م) بتلمسان لدراسة الطب على كل من محمد بن علي قشوش ، و اليهودي بن الأشقر الذي كان شيخ أطباء تلمسان آنذاك [7] وعلم الفلاحة والكيمياء الذين اهتم بهما علماء المغرب الأوسط كغيرهم من العلوم.

4-العلوم الإجتماعية والرحلات:

---

[1]القلصادي ،المصدر السابق،ص 117 .

[2] – ابراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 408. وكذلك

Hady Roger idris‹ le berberie orientale sous les zivides , paris p 810.

[3]عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام – مكتبة بيروت – 1965- ج1 – ص250- ابراهيم حركات مدخل إلى تاريخ العلوم – ج1 –المصدر السابق،ص 411، بوكر ديمي نعيمة ، المرجع السابق ص- 67.

[4]إبراهيم حركات ، المرجع السابق –ج1- ص- 412 .

[5]نفسه – ج 1- ص 412 .

[6]عبد العزيز فيلالي ، دراسات في تاريخ الجزائر ،المرجع السابق ،ص 194

[7]عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق –ج1- ص 250 .

مثلها إهتم علماء المغرب الأوسط بالعلوم العقلية (الدينية) والعلوم العقلية ، كان لهم حظ و نصيب في الرحالات و العلوم الإجتماعية ، و على رأسها علم التاريخ بإعتباره أصل وهوية الشعوب والأمم، و لو كان ذلك بإنتاج قليل و ذلك بحكم الفترة الزمنية المعنية بالدراسة ومن بين المؤلفات التي اشتهروا بها هي في متناول الباحثين اليوم في مجال التأليف التاريخي السياسي نذكر :

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد من تأليف ابي زكريا ، يحي ابن خلدون وهو كتاب تاريخي سياسي جعل موضوعه عن الدولة العبد الوادية منذ نشأتها إلى عصر المؤلف، ويبدوا أنه قام بتصنيفه بطلب من السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني بهدف تخليد دولته، و جاء في ثلاثة أقسام ، احتوى كل قسم على ثلاثة أبواب ، إنتهت حوادثه في أواخر سنة(776هـ/ 1374م) أي قبل اعتقاله بأربع سنوات (780هـ/1373م)،زهرة البستان في دولة بني زيان لمؤلف مجهول عاش في ظل الدولة الزيانية و عاصر سلطانها الزياني ، أبو حمو موسى الثاني، غير أنه و للأسف قد ضاع الجزء الأول من هذا الكتاب ولم يبق منه سوى السفر الثاني الذي سلط الضوء فيه للحديث عن تاريخ أبي حمو موسى الثاني خلال الخمس سنوات الأولى من حكمه [1]،ونظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان من تأليف الحافظ محمد بن عبد الله التنسي وهو من نتاج القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، وكتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في التاريخ ا لعرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لمؤلفه المؤرخ و عالم الاجتماع الكبير أبوزيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الذي يعد مصدر بالغ الأهمية بالنسبة للأحداث المعاصرة له و القريبة من عصره من هذه الدولة [2]، أما عن كتب التراجم ، فتجدر الإشارة إلى كتاب عنوان الدراية فمن عرف من

---

[1]عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني المرجع السابق –ج2– ، ص 467

[2]ابراهيم حركات ، المرجع السابق، –ج1–، ص267

العلماء في المائة السابع ببجاية لمؤلفه الغبريني (ت741هـ/1314م) من أهل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، وبداية القرن الثامن/ الرابع عشر ميلادي[1].

النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لعبد الله محمد بن أحمد بن صعد الأنصاري التلمساني (ت901هـ/1495م) في ثلاثة أقسام ،غير أن في القرن التاسع تضاءلت كتب الطبقات و التراجم كما و كيفا وكادت كتب المناقب تستأثر بميدان التراجم ومن بين أعمال هذا القرن نذكر: مناقب الأربعة رجال المتأخرين لمحمد بن عمر الهواري إبراهيم التازي، وعلى بن مخلوف أبركان ، ومحمد بن لحسن لغماري و كلهم من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، لمؤلفه محمد بن يوسف السنوسي [2]و كتاب الوفيات لإبن قنفذ القسنطيني الذي يتضمن تراجم قصيرة للعلماء و الصلحاء ومن التراجم الذاتية نذكر التعريف بإبن خلدون لمؤلفه عبد الرحمان بن خلدون و هو من المؤلفات النادرة مطبوع و متداول ومناقب إبراهيم بن موسى الصنهاجي المصمودي نزيل تلمسان (805هـ/1402)لمحمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد [3]

كما قد اهتم طلبة المغرب الأوسط إلى جانب ذلك بفن الرحلات سواء كانت داخلية أو خارجية أو كليهما معا ، وقد دفعت الى ذلك جملة من العوامل من بينها الإضطرابات الداخلية نتيجة الصراع بين أمراء الدولة الزيانية ، و محاولة دول المغرب الإسلامي الجارة السيطرة على تلمسان[4]، وإذا أردنا الوقوف عند عينة من رحالة المغرب الأوسط فنذكر بهذا الخصوص سعد الدين إبراهيم بن أعراب، وأبو البركات التلمساني ، الذي يجهل تاريخ مولده[5]،ومن التلمسانيين الذي أثرو الحقل العلمي برحالتهم نذكر أحمد بن سعيد بن إبراهيم التلمساني الملقب بشهاب

---

[1]نفسه –ج1 –ص 270

[2]ابراهيم حركات ، مدخل تاريخ العلوم،المرجع السابق –ج1–ص272

[3]نفسه –ج1– ص 273

[4]– نفسه –ج1– ، ص 274.

[5]– ابراهيم حركات ، مدخل تاريخ العلوم، المرجع السابق –ج1–ص 274.

الدين الذي تولى قضاء المالكية ببلاد الشام سنة(845هـ/ 1441م)، وأحمد المقرى الذي رحل إلى حواضر المغرب الإسلامي ومنها الحاضرة فاس التي زارها مرتين طالبا للعلم والتدريس وغيرهم كثيرون.

ثانيا: مراحل التعليم و طرق التدريس و مناهجه

1-مراحل التعليم:

لقد مر التعليم في المغرب الاوسط بثلاثة مراحل :

المرحلة الاولى: تبدا هذه المرحلة بقراءة و حفظ القرآن الكريم، و تنتهي بتمكن التلميذ من استظهار كتاب الله تعالى من حفظه قراءة تامة ،و بالقراءات المشهورة ،و بعد ذلك ينتقل الى المرحلة الثانية[1].

المرحلة الثانية :يبدا التلميذ في هذه المرحلة بدراسة مجموعة من المواد المتعلقة بالعلوم النقلية كالحديث و الفقه و العربية[2].

المرحلة الثالثة: يتناول الطالب في هذه المرحلة جملة من المواد النقلية والعقلية يبدو وكأنها مرحلة اخيرة في التعليم ،اذ يصبح الطالب عندها مؤهلا للتدريس والتأليف.

2- طرق التدريس:

لقد كان المدرس او الاستاذ محور العملية التعليمية في النظام التعليمي في المغرب الاوسط و غيره من بلاد المغرب الاسلامي[1]،فقد كان بمثابة المنبع الذي ينهل

---

[1] ابن خلدون ،العبر ،ج7،المصدر السابق،ص457.

[2]رشيد بورويبة وآخرون،الجزائر في التاريخ ،ج3،المرجع السابق،ص437.

منه التلاميذ و الطلاب علومهم و معارفهم و الموجه الذي يهتدي به الطلبة في مشوارهم التعليمي ، ولذلك كان لكل عالم حلقته المشهورة في المدرسة او الجامع او الزاوية التي يتوافد اليها الطلبة من انحاء مختلفة من العالم الاسلامي[2].

اما عن طريقة القاء الدروس فقد تميزت بجلوس المدرس على الكرسي[3]،بينما يجلس الطلبة على الحصير[4]، ويبدا المدرس عادة مفتتحا درسه بمقدمة دينية و يمهد لموضوعه[5]،ثم يبدا احد الطلبة بقراءة نص من الكتاب المعد سلفا للدراسة ،و يقوم الاستاذ بشرحه فقرة بعد فقرة ،و خلال ذلك يقوم الطلبة بتقييد ما يلقيه المدرس او ما يمليه[6].

3-مناهج التعليم :

لقد كانت المناهج التعليمية بالمغرب الاوسط في العهد الزياني تعتمد في بداية الامر على تحفيظ القرآن الكريم كلا او جزءا مع مبادى العلوم الدينية علما وعملا من وضوء وصلاة وغيرها.

كما كان التعليم يزاول بالمساجد عبر انحاء المملكة، بحيث تدرس العلوم الدينية والدنيوية، وكان المعلم لا ينتقل من فن الى الآخر حتى يتقنه المتعلمون[7].

كانت هذه جملة العلوم و مراحل التعليم و مناهجه التي شهدها المغرب الأوسط خلال هذه الفترة المعنية بالدراسة والتي تعكس لنا ذلك التطور في حركة النهضة العلمية التي

---

[1]سعد الله ابو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،المرجع السابق،ص34.
[2]نفسه، ص34.
[3]الونشريسي ،المعيار ،ج2،المصدر السابق ،ص ص 476-486.
[4]التينسي، المصدر السابق،ص180، ابن مريم، المصدر السابق، ص171.
[5]عبد الجليل قوريان، المرجع السابق ص 549.
[6]نفسه ، ص549.
[7]بلعربي خالد ،المرجع السابق ،ص313،عبد الجليل قوريان، المرجع السابق، ص549.

شهدها هذا الإقليم، أما عن الانشغالات العلمية لعلماء المغرب الأوسط من وراء رحلتهم للمغرب الأدنى، فهذا ما سوف نفصل له في الفصل الثالث والموالي من هذه الدراسة.

الفصل الثالث :

الانشغالات العلمية لعلماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/الثالث عشر–الخامس عشر الميلاديين

أولا: دراسة العلوم المتداولة في المغرب الأدنى

1. العلوم النقلية
2. العلوم اللسانية
3. العلوم العقلية
4. العلوم الأخرى
5. نماذج عن اختصاصات علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى

ثانياً: منافسة علماء المغرب الأوسط لعلماء المغرب الأدنى

ثالثاً: تكوين شخصيتهم العلمية

رابعاً: تولي المناصب والوظائف الإدارية الهامة

تميزت العلاقات الفكرية بين دول المغرب الإسـلامي بالترابط عموما وبين المغربيين الأوسط والأدنى خصوصا، وقد جسد هذه العلاقات أولئك العلماء والفقهاء الذين رحلوا من المغرب الأوسط إلى حواضر المغرب الأدنى للقاء أشهر علماء عصرهم، والأخذ عنهم أو للتدريس أو تقلد مناصب إدارية سامية كوظيفة القضاء ووظيفة الكتابة والإنشاء وغير ذلك من الوظائف.

وقد اسـتفادت معظم الحواضـر المغربية من هذا التبادل النشـيط ،ومن بينها حواضـر المغرب الأدنى والأوسـط، التي كان لها حظ وافر في النهوض بالعلوم ونشـرها خاصـة العلوم الدينية وبذلك سعت إلى خدمة الحضارة الإنسانية وتطويرها، يشهد على ذلك العدد الكبير من العلماء والفقهاء الذي أنجبتهم هذه الحواضـر أو اسـتقطبتهم واحتضـنتهم في مدارسـها ووفرت لهم شـروط التعلم والتعليم والإبداع الفكري ومنحتهم فرصـة تقلد مناصـب إدارية عدة منها التدريس والقضـاء والشـورى والخطابة،كما وضـحته لنا العديد من الكتب التراجم والنوازل كنوازل المازوني في كتابه الدرر المكنونة في نوازل مازونة خلال العهد الزياني والتي كشفت لنا عن تلك الانشغالات التي شغلت علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى نظرا لما امتازوا به من شـغف علمي وكفاءة علمية وفقهية منقطعة النظير وسـمعة طيبة وبروح مسـؤولة فيما يخص آدائهم لمهامهم الإدارية ومن جملة هذه الانشـغالات العلمية نذكر منها :

أولا: دراسة العلوم المتداولة في المغرب الأدنى

لقد كان للمكانة الراقية التي بلغها المغرب الأدنى في عهد الدولة الحفصية الفتية بفضل علماءه وصناع ثقافته ومنشط حركته الفكرية مساهمة كبيرة في ازدهار علومه وتنوعها ،الأمر الذي جعل منه محط أنظار علماء المسلمين من كل مكان بصفة عامة وعلماء وطلبة المغرب الأوسط الذين توافدوا عليه لينهلوا من علومه ويستفيدون من معارفه بشكل خاص،ويمكننا الوقوف على هذه المكانة المتميزة التي حظي بها من خلال اعجاب الرحالة العبدري الذي زار تونس سنتين من بعد رحلة ابن الرشيد ،والتي لم يعترف بوجود العلم الصحيح بعد خروجه من المغرب في بلد من بلدان الشرق إلا بمدينة تونس[1] حيث يقول :" وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما ولا موردا من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله واردا وحائما "[2] ،وعن جملة العلوم المتداولة بالمغرب الأدنى ،والتي لقيت اقبالا كبيرا من قبل طلبة المغرب الأوسط الشغوفين على دراستها نجد :

1- العلوم النقلية:

1.1 الفقه :

حظي علم الفقه بالنصيب الأوفر من اهتمامات طلبة المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى،وذلك نظرا لمكانة الفقهاء في أوساط المجتمع وأهمية فتاويهم في تسيير امور الناس من جهة،ولما يوفره لهم هذا الاختصاص من مناصب عليا في الدولة من جهة أخرى،وعن ابرز المؤلفات التي اهتم بدراستها طلبة المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى في

---

[1] محمد الفاسي ،الرحالة المغاربة وآثارهم .مقال ضمن مجلة دعوة الحق .العدد 2 السنة الثانية .نوفمبر 1958.ص07.

[2] العبدري ،المصدر السابق .ص23.

هذا المجال كتاب "المدونة" للإمام عبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون[1] الذي اجتمعت فيه خصال قل ما اجتمعت في غيره منها حسب الكناني"الفقه البارع والورع الصادق "[2]،وعن مكانتها ،فقد أكد صاحبها نفسه نقلا عن القاضي عياض قائلا: "عليكم بالمدونة ،فإنها كلام رجل صالح ،وروايته "[3] ،ومن هنا كانت محط رغبات الفقهاء في المغرب والأندلس اختصارا وشرحا وتعليقا[4]،أما فيما يخص أبرز الشيوخ المدرسون لها بالمغرب الأدنى ،وعن تلاميذهم من طلبة المغرب الأوسط فنجد أو نذكر :

- **ابن زيتون(ت 691هـ/1226م)** :هو تقي الدين أبو القاسم بن أبي بكر بن مسافر بن أبي بكر بن أحمد اليمني التونسي المعروف بابن زيتون الفقيه القاضي التونسي ولد سنة(620هـ/1250م)[5] ، عرف بأسفاره ورحلاته إلى بلاد المشرق[6] ،لقي خلالها حلة من العلماء وخيار الفضلاء ،الذين سمع منهم وأجازوه في مختلف فنون العلم خصوصا في الأصلين ،ومنهم نذكر الزكي المنذري ،والشرف المرسي، والرعيني ،كما التقى مع تلاميذ فخر الدين الرازي (543هـ/1148) أوحد أهل زمانه في المعقول والمنقول، صاحب

---

[1] سحنون ،هو أبو سعيد بن حبيب التنوخي (160هـ-340هـ) نشأ بالقيروان ،ثم بتونس، وأخذ عن أسد بن الفرات كتاب الأسدية ،ثم رحل إلى المشرق ولازم ابن القاسم ودون فتاواه وروايته عن مالك في كتاب ضخم سماه المدونة =ثم عاد إلى افريقيا سنة191 هـ وتفرغ لنشر المذهب المالكي ومحاربة البدع ، ينظر حاجيات .مساهمة المغرب العربي،المرجع السابق، ص05

[2] محمد القيرواني الكناني ،تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الايمان في الأولياء بالقيروان ،تحقيق عبد المجيد فيلالي دار الكتب العلمية ط1 بيروت.2005.ص44.

[3] القاضي عياض اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تحقيق أحمد بكير محمود .ج1.ص 473.

[4] يوسف بن أحمد حوالة ،الحياة العلمية في افريقية "المغرب الأدنى"المرجع السابق، ص337.

[5] أبن القاضي المكناسي ،درة الحجال في عزة أسماء الرجال .تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.دار الكتب العلمية .ط1 بيروت.2002.ص 420.

[6] ابن الشماع ،المصدر السابق، ص7.

المؤلفات [1] كما سمع عن عز الدين بن عبد السلام الدمشقي (ت 660هـ/ 1262م) أحد العلماء البارعين في علوم الفقه والأصـــول واللغة العربية صـــاحب الكتب العديدة منها "التفســير الكبير" و"الفوائد والإلمام" وغيرها [2] ، وبعد جولته العلمية التي قادته إلى بلاد المشـرق عاد إلى تونس بعلم كثير ،وبذلك سـاهم ابن زيتون في بناء ودعم الحياة الثقافية بالمغرب الأدنى ،وخصـوصـا فيما يتعلق بالحركة الفقهية منها ،وهو ما جعل من المغرب الأدنى يحظى بإقبال وتوافد العديد من طلبة العلم ، وفي مقدمتهم طلبة المغرب الأوســط الشغوفين على العلم والمعرفة [3] ،ومن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط نجد:

الغبريني(644هــــ/1246م): هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن علي، من قبيلة بني غبرين البربرية بأعالي واد ســباو قرب مدينة العزازقة ، تلقى علومه الأولى بمســقط رأسه،قبل ان ينتقل إلى بجاية ،وبلاد المشرق واخذه على العديد من شيوخ العلم الذي ناهز حســب ما ســجله هو نفســه ســبعين عالما منهم أبي القاســم بن زيتون (ت691هـ 1292)الذي خصــه بقوله:"ومنهم شـيخنا الشـيخ الفقه القاضــي الامام المجد المجتهد أبو القاسـم بن أبي بكر اليمني الشـهير بابن زيتون من أهل تونس ،لقيته ببجاية وتونس ،هو رجل له علم وجلال وأبهة وكمال وفضـل واعتدال"[4]،وقد سـاعده هذا الاحتكاك برجال العلم على سـعة علمه واشـتهار أمره،وتوليه قضـاء بجاية ، ولم يختصـر الأمر على ذلك بل

---

[1] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى.تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الضاحي ط1.القاهرة د.ت ،ج4.ص285 البغدادي ،هدية العارفين مكتبة المثنى بغداد 1951. ج1 .ص784.

[2] ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .ط القاهرة .1933،ج7 ،ص208،الزركلي ،الأعلام،المصدر السابق، .ج4.ص21،مبطي المسعودي ،المظاهر الحضارية في عصر بني حفص منذ قيامها سنة621 وحتى سنة 893، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية جامعة أم القرى .المملكة العربية السعودية .2000.ص185.

[3] نفسه .ص421.

[4] الغبريني ،عنوان الدراية ،المصدر السابق، ص114–115.

خاض ميدان التعليم حيث اشـــتهر بكتابه في التراجم لمشـــاهير أعلام بجاية وهو كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة الســـابعة ببجاية "،عرف فيه بشـــيوخ العلم ورجال الدين والتصوف والأدب التي ازدانت بهم بجاية في القرن السابع (7هـــ/13م) وقد أوضـــح ذلك في مقدمته بقوله:"إني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة الســـابعة التي نحن في بقية العشـــر الذي هو خاتمها ،ختمها الله بالخيرات وجعل ما بعدها مبدأ للمســـرات أذكر منهم من اشـــتهر ذكره ونبل قدره وظهرت جلالته وعرفت مرتبته في العلم ومكانته "[1]

– **الصفاقسي(ت 744هـــ/1343م):** هو ابراهيم بن محمد بن براهيم عيسى الصفاقسي ،قال الحافظ ابن حجر نقلا عن التنبكتي بشانه:" ولد في حدود سنة سبع وتسعين وستمائة ،أخذ علومه عن شيوخ بجاية والقاهرة ودمشق،"عرف بمؤلفاته الفقهية العديدة منها "تقييد على ابن الحاجب الفرعي وجزء ألفه في اسماع المؤذنين خلف الامام"[2] ومع ذلك لم يذكر من مصنفاته سوى إعراب القرآن الكريم ، أما صاحب كتاب توشيح الديباج ،فقد ذكر من مؤلفاته "الروض الأريج في مسألة الصهريج "حيث كان قد سئل عن أرض ابتيعت فوجد فيه صـــهريج مغطى هل يكون به تواجد الأحجار أم لا ،ألف فيها وخالف فيها كثيرا من المالكية ،وعمل على مذهبه فيها [3] ،أما عن أبرز من تتلمذ عليه من طلبة المغرب الأوسط نذكر :

[1]الغبريني ، المصدر السابق، ص34.

[2]– التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص20.

[3]القرافي ،توشيح الديباج،المصدر السابق ص21

-**الخطيب ابن مرزوق الجد**[1](710-781هـ /1310-1379م) إمام جامع الزيتونة[2] زاره ابن مرزوق وأخذ عنه ،والإمام العلامة برهان الدين الصفاقسي شيخ ابن مرزوق والذي قال في شأنه :"ومن شيوخي ابراهيم الصفاقسي نزيل القاهرة ،وأحد أئمتها ،أحمل عنه مصنفاته سمعت من لفظه كتابه الذي أعرب فيه إعراب القرآن وتحدث فيه مع شيخنا أبي حيان في أبحاثه وقرأت عليه بعض تأليفه في نوازل الفروع التي سئل عنها ومنها:الروض الأريج في مسألة الصهريج سئل عن أرض ابتيعت فوجد فيها صهريج مغطى هل يكون به توحد الأحجار أم لا؟ وأبدع فيها وخالف كثيرا من المالكية وعمل على مذهبه فيها "[3] ،كما يقول كذلك في شأنه :"قرأت عليه أكثر تقييده على ابن الحاجب الفرعي وتركته لم يكمله ،وتلخيص المفتاح لشيخنا وشيخه القزويني"[4]

و عليه ومن خلال هذا النصوص التي تقدمنا بها فيما يخص بعض الشيوخ الذين تتلمذ عليهم الفقيه ابن الخطيب الجد ندرك فضل تلك الرحلات والسفارات التي قام بها هذا الأخير في تنمية رصيده الفكري وتنمية تلك المكانة الراقية التي حضي بها بين أقرانه من لعلماء وحتى شيوخه ،لدرجة أن بعض المصادر ومنها صاحب الديباج المذهب الذي :"علم الأعلام فخر المغرب على المشرق ،وهو نادرة الزمان وأية شتى أصناف العلوم بإتقان"[5] غير أن هذا لا يعني أبدا أن ابن مرزوق الخطيب لم يستفيد من العلوم والعلماء الذين كان قد احتك بهم بمسقط رأسه تلمسان .

---

[1] ينظر حول ذلك ، ابن مرزوق ،المجموع ورقة 47،المقري،نفح الطيب .ج5 ص414.

[2] جامع الزيتونة هو جامع كبير في غاية الجمال والسعة كثير المستخدمين وعظيم الموارد ينظر ليون الافريقي، وصف افريقيا ج2، المصدر السابق.ص76.

[3]التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص21.

[4] نفسه .ص21.

[5]ابن فرحون ،المصدر السابق،ج2.ص290.

- **بن عقاب(ت851هـــــ/1447م):** هو محمد بن محمد بن ابراهيم الجذامي التونسي المعروف بابن عقاب،واحد من أئمة وعلماء تونس وقاضي الجماعة بها ،وصفه صاحب نيل الابتهاج بقوله "الفقيه العلامة الحجة المحصل المحقق العارف الناقد النظار ذو الفنون الصافية والتحقيقات والبارعة"[1] ، احتك ابن عقاب بنخبة من علماء المغرب الأدنى ومن الوافدين عليه، وقد أخذ عنهم زاد وفير وأجازوه[2]، وكان من نتيجة هذا الزاد العلمي الكبير والتحصيل العلمي الممتاز ،أن شهدوا له ببروزه في ميدان التدريس في مختلف العلوم [3] ،أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط فنذكر:

- **ابن مرزوق الكفيف**(ت 901هـ/1496م)[4] : ولد بتلمسان سنة (824هـ / 1421م)[5] نشأ بها وأخذ عن علماءها الأجلاء وعلى رأسهم والده ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) ،وعلماء الحواضر الأخرى من بلاد المغرب بفاس وبجاية وتونس ،أما عن شيوخه الذين أخذ عنهم بتونس ،فنجد محمد بن محمد بن ابراهيم بن عقاب الذي قال في شأنه ابن القاضي المكناسي ما يلي:" اشتهر بعلمه وتدريسه بتونس ،وممن أخذ عنه الكفيف وغيره ،وقد شهدوا له ببروزه في ميدان التدريس في مختلف العلوم زيادة على إمامته بجامع

---

[1] التنبكتى، نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص545،كفاية المجتاج، المصدر السابق،ج2.ص166.

[2]التنبكتى ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،.ج2 .ص166،ابن القاضي المكناسي ،درة الحجال، المصدر السابق ،ج2 .ص294 ،السخاوي ،الضوء اللامع ،المصدرالسابق،م3.ج6.ص161، وكذلك brosselard(ch) ،les indriptions arabesde tlemcen tombeaux des familles el makkari et el kbani revue africain 5 ‘eme anneé n30 novembre 1861 p416.

[3] التنبكتي ، كفاية المجتاج ،المصدر السابق .ج2 .ص166،نيل الابتهاج ، ص546.

[4]دحي محمد .فهرس الخزانة العلمية الصبحية بسلا .منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم .الكويت .1985.ص315.

[5]التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص574.

الزيتونة ،وتوليه قضـــاء تونس وللإشـــارة فقد توفي يوم الاثنين 17 جمادى الأولى 851هـ"[1].

وبعد جولته الدراسية والتكوينية في حواضر العلم الإسلامي مشرقا ومغربا ،يعود ابن مرزوق الكفيف سنة(872هـ/1467م) إلى تلمسان ليتولى مهمته الأساسية والمتمثلة في التعليم والتدريس في مختلف العلوم الدينية التي برع فيها ،وقد أخذ عنه في هذا المجال خلق كثير ،ذكره صاحب النيل قائلا في شأنه :"الإمام علم الأعلام وفخر خطاب الإسلام"[2]

وعليه يمكننا القول بأن ابن مرزوق الكفيف قد بلغ مرتبة كبيرة من العلم والمعرفة جعلته يصل درجة الافتخار كإمام وخطيب ومدرس بارز بتلمسان ،وخير دليل على قولنا هذا ما وصـــفه به في هذا المقام صـــاحب النيل بقوله "الإمام علم الأعلام وفخر خطباء الاسلام "[3] .

- **بن هارون التونسي (ت750هـــ /13م)** : هو محمد بن هارون الكناني التونسي الإمام العلامة الحافظ،وصـفه "[4] تلميذه الامام بن عرفة نقلا عن صـاحب توشـح الديباج "ببلوغ درجة الاجتهاد"[5] .

وعليه ،ومن خلال هذه النص يظهر لنا أن محمد بن هارون الكناني التونسي هو أحد شيوخ الامام ابن عرفة التونسي، اشتهر ليس في المغرب الأدنى فحسب وإنما في كل

---

[1]التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،، ص527.

[2] نفسه، ،ص574.

[3]نفسه،ص574.

[4] القرافي ، المصدر السابق،ص50.التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص412.

[5]القرافي ، المصدر السابق،ص49.

أصقاع العالم الاسلامي بفضل منزلته العلمية الرفيعة التي حظي بها في عصره،[1]أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط فنذكر:

-**أبو عبد الله المقري(ت 759هـ/1358م)** هو محمد بن أحمد بن أبي بكر المقري أحد أكابر علماء المذهب المالكي المتأخرين عرف برحلاته في سبيل العلم والتحصيل حيث دخل تونس،وأخذ عن امامها محمد بن هارون الكناني الفقه وأصول الدين ، وعن شيوخه الذي تتلمذ عليهم يذكر صاحب البستان قائلا :"وبتونس أخذ عن ابن عبد السلام وأبي محمد الأجمى وابن هارون شارح ابن الحاجب "[2]،وبفضل هذا النبوغ العلمي الغزير ،والمستوى العلمي الرفيع الذي وصل إليه أبو عبد الله المقري بفضل رحلاته ،واعتكافه على التدريس على العديد من علماء مسقط رأسه بالمغرب الأوسط وعلماء المغرب الأدنى والمغرب الأقصى وعلماء حواضر بلاد المشرق ،ذاع صيته بين طلبة العلم في أصقاع العالم الإسلامي،ومن ثم تسابقوا عليه للأخذ عنه ،وفي مقدمتهم طلبة المغرب الأوسط وعلى رأسهم أبو عبد الله محمد بن مرزوق[3] .

الخطيب ابن مرزوق (781هـ/ 1379 م)**:**هو من طلبة محمد بن هارون الكناني التونسي ، خصه التنبكتي بقوله "إمام عالم حافظ يعد من المجتهدين في المذهب المالكي ،تولى التدريس بتونس ،وعنه أخذ الخطيب ابن مرزوق ،ثم القضاء ،مولده كان سنة 680هـ ووفاته سنة 750هـ وهي سنة وباء الطاعون "[4] .

– **الأجمي(القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي):** هو أبو عبد الله محمد التونسي ،أحد فقهاء تونس وقاضي الأنكحة بها ،ثم الجماعة بعد ابن عبد السلام ،كان من الفقهاء

---

[1] القرافي ، توشيح الديباج،ص50

[2] ابن مريم،البستان ،المصدر السابق،ص156.

[3] القرافي،المصدر السابق، ص246.

[4] التنبكي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص407. الزركشي ،المصدر السابق .ص88.

العلماء الأعلام ،أخذ عنه الكثير من العلماء التونسـيين ومنهم الامام ابن عرفة ،وقد نقل عنه في مختصـره قصـة في آجرة الشـهادة[1] ،أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط ،فيذكر صاحب نيل الابتهاج وبقية المصادر التي ترجمت له الإمام المقري الذي سبق تعريفه وقد قال عنه نقلا عن التنبكتي :"أنه حافظ فقهائها في وقته"[2] ،وكذلك الامام الفقيه الخطيب ابن مرزوق وهو الآخر سبق وأن عرفنا به .

أبو مهدي عيسى الغبريني:(ت815هـ/1415م) هو عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى بن مهدي الغبريني التونسي ،عالمها وصالحها وقاضي الجماعة بها ،وهو يعد من أحد تلامذة الامام ابن عرفة التونسي المتميزين ،وبشأن تميزه هذا عند شيخه ابن عرفة قال فيه أبو العباس القلشاني نقلا عن صاحب نيل الابتهاج ما يلي :"استناب ابن عرفة وقت سفره للحج تلميذه القاضي الجليل أبو مهدي الغبريني على امامة جامع الزيتونة وهو المشار إليه في كلامه وتلميذه حينئذ قاضي الجماعة ،ثم استقل بالإمامة المذكورة بعد وفاته ،وبقي عليها حتى توفي ليلة السبت سابع وعشرين من ربيع الثاني عام خمسة عشر وثمانمائة"[3] .

و من خلال هذا النص يتضح ،أن سبب اختيار الإمام ابن عرفة لأبي مهدي عيسى الغبريني تلميذه لاستنابته له في إمامة جامع الزيتونة ،لم تكن عشوائية أو صدفة ،وإنما يعود السبب في ذلك إلى المستوى الرفيع والمكانة العلمية المتميزة التي بلغها والدراسات العليا التي وصل إليها هذا الأخير في مجال العلم والتفقه والفتوى سواء بين الجيل الواسع من مثقفي ذلك العصر من رفقائه من تلاميذ الإمام ابن عرفة بتونس أو من خارجها.

---

[1] التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص410.

[2] نفسه.ص410.

[3] نفسه،ص296.

ومن تلامذته الذين درسوا عليه قال السخاوي نقلا عن صاحب نيل الابتهاج مايلي:"أخذ عنه أحمد القلشاني والشرف العجيسي وغيرهما"[1] ويضيف في نفس السياق قائلا:" بل أخذ عنه غالب تلاميذ ابن عرفة المتأخرة وغيرهم كالبسيلي وأبي يحيى بن عقبة وعمر القلشاني وأبي القاسم القسنطيني وأبي الحس علي بن عصفور وابن ناجي و في خلف كثير"[2] .،أما عن طلبته أو تلامذته من المغرب الأوسط ،فنجد الشيخ الثعالبي الذي قال في شأنه:"شيخنا أوحد زمانه علما ودينا "[3].

– **ابن جماعة التونسي (ت712هـ/1312م):** هو أبو بكر يحيى بن القاسم بن جماعة الهواري،أخذ مبادئ تعليمه الأولى من شيوخ تونس وفي مقدمتهم ابن واصل[4] ،أما عن تلامذته الذين تكونوا عليه من طلبة المغرب الأوسط فنذكر :

– **ابنا الامام:** وهما أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله بن الامام ،يعرفان بابني الامام خصهما في هذا الشأن الونشريسي نقلا عن التنبكتي بقوله :"هما الشيخان الراسخان الشامخان العالمان المفتيان ،الفقيه العلامة آخر صدور أعلام الغرب شهادة أهل الانصاف شرقا وغربا أبو زيد والعلامة النظار آخر أهل النظر جمع أشتات المعارف أبو موسى"[5] ،نشأ بمدينة برشك[6] التي كان أبوهما اماما بها ،ومنها رحلا إلى تونس أخر المائة السابعة،فقرأ بها على علمائها ،وبعد رحلة طلب العلم عادا إلى بلدهما ليستقرا بتلمسان ،حيث استقبلهما السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول بكل حفاوة

---

[1]التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق ،ص296.

[2] نفسه ،ص296.

[3] نفسه ،ص295.

[4] ابن القاضي المكناسي ،درة الحجال،المصدر السابق،ص447.

[5] التنبكتي ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق،ج1 .ص187 ،ابن مريم ،المصدر السابق،ص123.

[6] مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط ،بعيدة عن مستغانم بعدة أميال (بين شرشال وتنس) ينظر الحسن الوزان .وصف افريقيا،المصدر السابق .ج2 .ص32.

وبنى لهما المدرسة التي سبق ذكرها واختصهما بالفتوى والشورى[1] وبعد وفاة أبي حمو موسى الأول سنة 718هـ/1398م خلفه ابنه السلطان أبو تاشفين وقربهما إليه ،وفي سنة720هـ/1320م رحلا إلى المشرق والتقيا بكبار العلماء كشيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية [2] ويكفيهما فخرا أنهما قد ناظرا شيخ الإسلام ورائد السلفية آنذاك الإمام تقي الدين بن تيمية (728هـ/1327م) وتفوقا عليه في بعض المسائل وهو الأمر الذي أحدث له مضايقات واحراجات أمام طلابه وزملائه في القدس الشريف ،وحول هذه الحادثة قال المقري نقلا عن صاحب البستان "وقد سمعته أنا عليهما ،ويقصد "صحيح البخاري الذي سمعاه على الحجار"،وناظرا تقي الدين بن تيمية فظهر عليه وكان ذلك من أسباب محنته "[3] ،ونظرا لما أبداه من تفوق في العلوم الدينية وعلى رأسها المسائل الفقهية ومناظراتهم لكبار علماء الفقه ،فقد أثنى عليهما علماء المشرق حيث قال عنهما أحد علماء المشارقة في هذا الصدد "بهما يفتخر المغرب"[4]،أما عن تكوينهم العلمي بتونس ،فقد ذكر لنا الامام المقري تلميذهما نقلا عن صاحب البستان أنهما 'كان قد رحلا في شبابهما من بلدهما تلمسان إلى تونس ،فأخذا عن أبي جماعة وابن القطان والبطرني من المائة السابعة...

---

[1] يحيى ابن خلدون ،بغية الرواد،المصدر السابق،ص15 ،ابن عماد الحنبلي ،شذرات الذهب المصدر السابق،م3 .ج6 .ص80.

[2] هو أحمد تقي الدين بن تيمية ،يعرف بشيخ الاسلام ،فهو المجتهد المطلق لغزارة علمه وسرعة الحفظ وقوة الادراك ،تأهل للفتوى والتدريس دون العشرين فكان ملما بالعلوم النقيلة والعقلية (ت728هـ).ينظر ابن عماد الحنبلي ،شذرات الذهب .م3 .ج6 .ص80 ،ابن فرحون المالكي ،الديباج المذهب ،المصدر السابق،ج1 .ص486،ابن خلدون ،التعريف بابن خلدون .ص22 ،التنبكتي ،نيل الابتهاج،المصدر السابق،ص245 و291 ،ابن مريم ،البستان،المصدر السابق .ص123.

[3] نفسه،ص123.

[4] التنبكتي ،نيل الابتهاج،المصدر السابق،ص166، عبد العزيز فيلالي،دراسات في تاريخ الجزائر ،.ص189.

،ثم ورد في أوائل المائة الثامنة تلمسـان،ثم رحلا بعدها إلى المشـرق في حدود العشـرين وسبعمائة "[1].

وهكذا ندرك من خلال هذه النصـوص تلك الجولات والرحلات العلمية التي قام بها ابنا الامام إلى حواضـر العالم الإسـلامي مغربا ومشـرقا وعلى رأسـها مسـقط رأسـهما تلمسان في بناء معارفهما وجودة تكوينهما واتساع ثقافتهما الفقهية التي استفادا منها وأفادا.

- **البحيري(ت858هـ/1454م):**هو عبد الله بن سليمان بن قاسم البحيري التونسي ،عاصر الامام بن عقاب التونسـي ،واختص في قضـاء الانكحة بتونس ،كما تولى التدريس بها [2] ،ذكره صـاحب نيل الابتهاج قائلا في شـأنه:"الامام الراوية العلامة قاضـي الأنكحة من معاصري الامام بن عقاب"[3] ، أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط فنجد :

ابن مرزوق الكفيف (824هـ-901هـ/1421م-1495م):الذي عرف برحلاته للحواضر العلمية ببلاد المغرب الإسـلامي بتونس وفاس إلى جانب تلمسـان وبجاية ،وكان قد لازمه وأخذ عنه في المسـائل الفقهية ،الأمر الذي سـاهم في بروز مكانته العلمية[4] ،وهذا ليس بجديد عن أسرة كأسرة بني مرزوق ،وحتى يميز عن سلفه أصبح يكنى بالكفيف[5].

الحفصـي (القرن الثامن والقرن التاسع الهجري/15-14م): هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الحفصـي الأمير ابن السلطان أبي العباس التونسـي ،يعرف بالحسين أخو السلطان

---

[1] ابن مريم ،البستان ،المصدر السابق،ص123.

[2] التنبكتي ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق،ج1 .ص176.

[3] التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص221.

[4] نصر الدين بن داود ،علماء أسرة المزارقة،المرجع السابق، .ص101.

[5] نفسه .ص101.

أبي فارس ،صـــاحب تونس كان من جلة فقهاء تونس وعلماءها [1]،أما عن من أخذ عنه من تلامذة المغرب الأوسط فنذكر :

الونشـريسـي(834هـــ/1430م): أحمد بن يحيى بن محمد عبد الواحد بن علي الونشريس [2]،نشأ بمدينة تلمسان وأخذ عن علماءها العقبانيين والمزارقة في مختلف العلوم الدينية[3]،قال صاحب البستان في شأن فتاوى معياره ما يلي:"أما فتاوى أهل افريقية وتلمسان فاعتمد فيها على نوازل البرزلي والحفصـي والمازوني فيما يظهر لمن طلعها والله أعلم"[4] ،وعليه ومن خلال النص يتضح لنا أن الونشـريسـي في معياره قد اعتمد على عدة فتاوى منها فتاوى الحفصي التونسي ونوازل البرزلي والمازوني.

2-1 القراءات والرسـم: اهتم طلبة المغرب الأوسط بدراسة علم القراءات والرسم كغيرهم من طلبة العالم الإسـلامي ،وعلى رأس ذلك كان اهتمامهم بالشـاطبية[5] واسـمها الكامل "حرز الأماني ووجه التهاني"،وهي نظم لكتاب التيسـير في القراءات السـبع لأبي عمر

---

[1] التنبكتي،نيل الابتهاج،المصدر السابق،ص542.

[2] جبال شاهقة عامرة بالسكان تقع غرب الجزائر وجنوب مدينة تنس في الداخل .ينظر ليون الافريقي ،وصف افريقيا،المصدر السابق .ج2 .ص45.

[3] التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص135 ،ابن مريم ،المصدر السابق،ص53 ،الحفناوي ،.ق1 ،المرجع السابق،ص62.

[4] ابن مريم ،المصدر السابق .ص54.

[5] الشاطبية "قصيدة لامية في القراءات ،وتعرف كذلك بحرز الأماني ،ذكر ابن خلكان أن عددها ألف ومئة وسبعون بيتا ،ولقد أبدع فيها صاحبها كل الابداع ،وهي عمدة قواعد هذا الزمن في نقلهم ،وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفيفة ،ينظر ابن خلكان ونبات الأعيان .ج4 ،المصدر السابق،ص71 ،المقري ،نفح الطيب ،المصدر السابق،ج2 .ص24 ،ابن غازي ،فهرس ابن غازي .تحقيق محمد الزاهي ،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر .الدار البيضاء .1979 .ص38

الداني[1] نظمها أبو القاسم الرعيني الشاطبي [2]،بالإضافة إلى بعض الشروح كشرح حرز الأماني لابن أجروم[3]الذي تناول فيه مختلف القراءات ،واستدل فيه بحجج ما قرأ بقراءة معينة ،وشرح التيسير لابن أبي السداد وكتاب ترتيب الأداء وبيان الجمع في الاقراء لأبي الحسن الانصاري هذا إلى جانب ضبط الخراز واسم الكتاب الكامل هو"مورد الظمآن في رسم القرآن "لمحمد الأموي الشريسي الشهير بالخراز ،أما عن أبرز الشيوخ المدرسين لعلم القراءات بالمغرب الأدنى فنذكر :

–البلوي القيرواني (ت780/1378م):هو عبد الله الشبيبي البلوي القيرواني ،الإمام العالم الصالح الفقيه العلامة المتقن الأستاذ ،قال تلميذه أبو القاسم البرزلي في شأنه نقلا عن التنبكتي مايلي:"كان شيخنا فقيها راوية صالحا متفننا ،قرأت عليه القراءات والفقه والحديث والنحو والفرائض والتنجيم في علم الأوقات ،وحضرت مجلسه ولازمته من عام ستين وسبعمائة إلى عام سبعين وأجازني جميعها"[4] .

---

[1] هو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ،أحد الأئمة في علم القراءات ورواياته وتفسيره في معرفة رسم مصاحف الأمصار ،والتيسير في القراءات طبقات القراء ،توفي بدانية سنة 446هـ .ينظر ابن العماد الحنبلي ،شذرات الذهب ،المصدر السابق،ج3 .ص272 ،المقري،نفح الطيب ،المصدر السابق .ج2 ،ص135.

[2] هو أبو القاسم الشاطبي ،ولد سنة 538هـ ،قرأ القراءات على ابن اللامة ،روى عنه أبو بكر ابن وضاح ،توفي سنة 590هـ ،من تصانيفه حرز الأماني ،ينظر ابن العماد الجنبلي ،شذرات الذهب،المصدر السابق .ج4 .ص301 ،السبكي ،طبقات الشافعية ،المصدر السابق،ج4 .ص297.

[3] ابن أجروم ،هو أبو عبد الله بن داود الصنهاجي المعروف بابن أجروم ،نشأ ودرس بفاس ،برز في النحو واللغة وعلم القراءات منذ شبيبته ،توفي عام 723هـ/1323م .من تصانيفه المقدمة الأجرومية في النحو ،وقد وضعت عليها شروح كثيرة ،ينظر حول ذلك السيوطي ،بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة ،تحقيق أبو الفضل ابراهيم .ط1 القاهرة ،1961 .ص102،ابن القاضي ،جذوة الاقتباس .ج1 .ص233 .

[4]التنبكتي ،نيل الابتهاج،المصدر السابق،ص213 ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق،ج2 ،ص169.

ويســــتنتج من هذه النص المتعلق بالعلوم التي اختص بتدريســـها الشـــيخ البلوي القيرواني وأهم تلامذته الذين تكونوا وأخذوا عليه، أن هذا الأخير كان نادرة ونابغة زمانه ،فقد كان فصيحا متواضعا لا يغيب على مشكل أو سائل ،كما كان صاحب كرامات ،وقد انتفع به غالب من قرأ عليه وذلك لحســن نيته وكثرة بيانه ،أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط ،فنجد معظم طلبة المغرب الأوسط الذين قصدوا الديار التونسية بالمغرب الأدنى في فترة عصره.

- **ابن عقاب** (ت851هـــــــ/1447م): محمد بن محمد بن ابراهيم بن عقاب الجزمي التونســي ،ذكره القلصــادي في رحلته قائلا :"شـيخنا وبركتنا أوحد زمانه ، العديم في أوانه ،كان فقيها محدثا أستاذ مقرئا إماما علامة قاضيا ..."[1] وقد سمحت له كفاءته العلمية هذه بتولي قضاء الجماعة بتونس، وأن يكون أستاذ جليلا وبارزا بمدارسها وبذلك انتفع به خلق كثير[2] ،أما إذا أردنا الوقوف عند أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوســـط الذين أخذوا واستفادوا منه في علم القراءات فنجد:

الامام ابن مرزوق الكفيف(ت901هـــ/1495م):[3] عرف بكثرة رحلاته لحواضـر العالم الاســلامي مشـرقا ومغربا في ســبيل العلم والتحصــيل "[4]، قال عنه الإمام أبو عبد الله بن الإمام[5]:"

---

[1] التنبكتي كفاية المحتاج ،المصدر السابق ،ج2،ص166.

[2] نفسه. ص166.

[3] ابن القاضي ،درة الحجال .ج2.المصدر السابق،ص144 ، التنبكتي نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص575.ابن مريم ،المصدر السابق .251 ،عادل نويهض ،المرجع السابق، ص292 .

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص574،المقري ،المصدر السابق،م5.ص419.ابن مريم ،المصدر السابق،ص250.

[5] هو ابن العباس الصغير صاحب رحلة وأحد تلامذة ابن مرزوق الكفيف ينظر حوله ابن مريم ،المصدر نفسه .ص259 ،التنبكتي ،نيل الابتهاج،المصدر السابق،ص575.

علم الأعلام حجة الإسلام آخر حفاظ المغرب"[1].

– **البرزلي:** هو أبو القاسم بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني ثم التونسي المعروف بالبرزلي ،ولد عام(740هـ/1339م)،أخذ عن علماء المغرب الإسلامي في كل من تلمســـان وفاس ،ثم رحل إلى تونس وأصـــبح مفتيها وفقيهها وحافظها وإمام الجامع الأعظم ،وهو أحد البارزين الحافظين للمذهب المالكي ،له ديوان كبير في الفقه والفتاوى ،ذكره صـــاحب البســـتان قائلا في شـــأنه"نزيل تونس ومفتيها وفقيهها وحافظها العلامة أحد الأئمة في المذهب صـــاحب الديوان الكبير في الفقه والفتاوى ،كان رحمه الله تعالى اماما علامة بارعا حافظا للفقه متفقها فيه بحاثا نظارا مستحضرا للمذهب"[2] .

أما عن مشـيخته فيقول نقلا عن ابن مريم :"وممن أخذت عنه الشـيخ الفقيه الرحالة الراوية المحدث أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب وقد أجازني إجازة عامة ،ومنهم الشـيخ الراوية المحدث المسـن الصـالح الزاهد أبو الحسـن البطرني قرأت عليه القراءات الســـبع وكتبا كثيرة ومنهم الفقيه الامام المؤلف المتفنن العالم أبو عبد الله بن عرفة الذي قرأت عليه سـنين كثيرة ،قرأت عليه بعض مسـلم وسـمعت عليه جميعه وجميع البخاري والموطأ وعلوم الحديث لابن الصـــــلاح وجميع التهذيب مرارا وابن الحاجب الفرعي وكثير من الأصـلين والمعالم الفقهية لابن التلمسـاني وجمل الخونجي بشـرح ابن واصـل وقرأت عليه مختصـــره في المنطق وفي الأصـــلين وأجازني جميع ما يحمله ويرويه وغيرهم كثيرون"[3] ، وعليه فليس هناك أدنى شك ،أو ما يدعو للاستغراب إذا كان موصوفا بشيخ الاســـلام من قبل علماء عصـــره ،فنظرا لملازمته للعلماء وأخذه عنهم واجازتهم له ومنهم حســبما ذكر في فتاوية نقلا عن صـــاحب نيل الابتهاج الامام ابن عرفة الذي لازمه نحو

---

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص575 ، الكتاني، المصدر السابق،.ج1 .ص525.

[2] ابن مريم البستان،المصدر السابق، ص150

[3] ابن مريم البستان،المصدر السابق.ص ص 150–151–152.

أربعين عاما ،فأخذ هديه وعلمه وطريقته وجالس غيره كثيرا في الفقه والرواية والحديث وغيره وحصـــل بذلك على علما كثيرا[1] ،وقد أخذ عنه غير واحد من طلبة المغرب الأدنى نذكر من بينهم أبو القاســم بن ناجي والوضـــاح والشـــيخ جلول وغيرهم[2]، أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط فنذكر :

عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـــ/1471م): الذي سبق لنا التعريف به ،والذي أخذ عنه في العلوم الفقهية والفتاوى بالدرجة الأولى ،واستفاد منها استفادة كبيرة في مجال التدريس ،وفي ميدان توليه قضاء الجزائر الذي لم يدم فيه طويلا ،وفي ميدان التأليف كذلك[3] .

3-1 التفسير :

إلى جانب علم الفقه وعلم القراءات والرسـم ،اهتم طلبة المغرب الأوسـط بالمغرب الأدنى بدراسة علم التفسير[4]الذي وجد عناية كبيرة من المسلمين لأنه منبع العلوم الشرعية التي تعتمد على منهج القرآن والســـنة،وإذا أردنا الوقوف عن جملة كتب التفســـير التي اعتنت بتفســـير القرآن وتدبره حتى يســـهل على الناس معرفة أحكامه وما فيه من أوامر ونواهي وكانت متداولة بين علماء وطلبة المغرب الاســـلامي نذكر كتاب "الزمخشـــري"[5]

---

[1] التنبكتي ،نيل الابتهاج،المصدر السابق .ص373.

[2] ابن مريم، المصدر السابق،ص152 ،التنبكتي ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق،ج2 .ص18 .التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص374.

[3] ابن مريم،البستان ،المصدر السابق،ص152 .التنبكتي ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق،ج2 .ص18 .التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص374 ،رمضان يخلف ،المرجع السابق .ص25.

[4] يقصد بالتفسير بالمأثور ما نقل عن الأقدمين ،ويشمل ذلك تفسير القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ،ينظر الذهبي،التفسير والمفسرون،دار إحياء التراث العربي ،بيروت .ج1 ،ص152 .

[5] هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي من كبار أئمة العلم و التفسير واللغة والدين والأدب ولد سنة 467هـ ،وسافر إلى مكة وبقي بها زمنا ثم تنقل بين البلدان وعاد إلى الجرجانية ،وتوفي بها سنة538هـ ،له عدة مؤلفات منها المفصل وأطواق الذهب والأنموذج والمقامات والكشاف وهو أشهر

الكشاف الذي شرحه محمد بن عطية ،وقد وصل هذا الشرح إلى بلاد المغرب في منتصف القرن الرابع عشر[1] وأيضا على الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي ثم ظهرت عدة تفاسير للقرآن الكريم،أما عن أبرز شيوخ التفسير بالمغرب الأدنى نذكر :

-**عبد الستار التونسي**(ت749هـ /1348): هو أبو عبد الله بن عبد الستار التونسي يعد أحد علماء تونس الأخيار،إلى جانب كونه امام وخطيب جامع الزيتونة ومفتيها[2] عرف عند علماء عصره وطلبة المشرق والمغرب الاسلامي إلى جانب فضله وورعه ومتانة دينه والالتزام به ،بغزارة رصيده العلمي والمعرفي الذي أشاع به أنوار البلاد الاسلامية برمتها ،وليس المغرب الأدنى فحسب ،حيث كان لتكوينه الدراسي الجيد على أبرز شيوخ العلم حينها دور وفضل في تهافت طلبة العلم من كل حدب وصوب للأخذ عنه والاستفادة من علومه وخصوصا علم التفسير خاصة ، وصفه لنا صاحب نيل الابتهاج قائلا:"وهو ثاني أبي الحسن المنتصر في الفضل والولاية والعلم ،والمستمع الراوية العالم العامل خطيب جامعهُ الأعظم ،امام من أئمة الفروع والتفسير وسراج يقتدى به ،انتهى فضله إلى أقصى أمد وأنار بأنوار معارفه البلاد ،وترادف عليه القصاد .... ولازمته وشاهدت له كرامات ومقامات لا تصدر إلا عن مثله"[3]،ومن أبرز تلامذته في علم التفسير بالمغرب الأدنى وغيره ،فنجد قد أخذ عنه كل من الامام ابن عبد السلام ،وخالد البلوي[4]،أما فيما يخص أبرز طلبته الذين استفادوا منه في هذا العلم من طلبة المغرب الأوسط فنجد:

كتبه وتناول فيه تفسير القرآن الكريم وغيرها من المؤلفات ينظر ابن خلكان،المصدر السابق،ج5 .ص169 .الزركشي ،تاريخ الدولتين ،المصدر السابق،ج7 ص178، الغبريني عنوان الدراية ،المصدر السابق،ص364.

[1] ابن خلدون ، المقدمة ،المصدر السابق،ص440 .

[2] محمد بن مخلوف،شجرة النور،المصدر السابق،ص210.

[3] التنبكتي ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق،ج2 .ص37.

[4] محمد بن مخلوف ،المصدر السابق،ص210.

المقري الجد[1] (759هـ/1358) : سبق لنا ترجمته ،كان آية من آيات الله الكبرى،وكانت له معرفة تامة بالعربية والآداب والتاريخ علاوة على العلوم الشـــرعية قال ابن الخطيب في الاحاطة بخصوصه :"كان مشارا إليه اجتهادا ودؤبا وحفظا وعناية واضطلاعا ونقلا ونزاهة ،يقوم أتم قيام على الفقه والتفســـير والعربية ،ويحفظ الأخبار والتاريخ ويشـــارك مشـــاركة فاضـــلة في الأصـــلين والجدل والمنطق ،ويكتب ويشـــعر ...ويتكلم في طريق الصـــوفية ويعتني بالتدوين"[2] ،ومن تأليفه :القواعد والحقائق والرقائق في التصـــــوف ،والتحف والطرد في غاية الحســـــن ،وعمل من طب لمن حب ،مشـــــتمل على فنون من احاديث حكيمة كأحاديث الشهاب وسراج المهتدين لابن العزلي وشرح جمل الخونجي[3] ومن أشهر تلامذته لسان الدين ابن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون وغيرهم [4].

ومن هذا كله يتضـح لنا أن الامام المقري لم يكن فقط طالبا وإنما كذلك كان مدرسـا تكوّن عليه وتخرج عليه العديد من التلاميذ من طلبة المغرب الاســـــلامي ،كما كان إلى جانب ذلك مؤلفا اشتهر بالعديد من التصانيف التي أثر بها الجانب الثقافي.

_ **البرزلـــــــي**(ت844هــ/1440م) :هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني الشــهير بالبرزلي ،أحد تلامذة ابن عرفة الذي قرأ عليه ســنين كثيرة ما تزيد على الثلاثين سنة ،وعن ذلك يقول صـاحب البستان ابن مريم "قرأت عليه بعض مسلم وسمعت عليه جميعه ،وجميع البخاري والموطأ وكثير من الأصـول والمعالم الفقهية لابن التلمسـاني

---

[1] أصله من مقرة بفتح الميم وتشديد القاف وهي قرية من قرى بلاد الزاب سكنها سلفه ثم تحولوا لتلمسان وبها ولد ونشأ وأخذ تعليمه عن علماءها ،ينظر ،التنبكتي ،كفاية المحتاج،المصدر السابق،ج2.ص75 .ابن الخطيب ،الاحاطة .مج2 .ط1 1974 .القاهرة .ص201 .

[2] نفسه ،مج2 .ص226 ،التنبكتي،نيل الابتهاج،المصدر السابق،ص395 ،يحيى ابن خلدون،المصدر السابق،ص121 .

[3] ابن مريم ،المصدر السابق .ص163–164 ،التنبكتي ،كفاية المحتاج،المصدر السابق،ج2 .ص84.

[4] نفسه .ج2 .ص84 .

،وســـمعت عليه كثيرا من المحصــــل وإلقاء التفســــير غير مرة وأجازني جميع ما يحمله ويرويه"[1]، أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوســـط الذين أخذوا عنه في مجال التفسير فنذكر :

-**عبد الرحمن الثعالبي: (ت875هـــ/1471م)**:قال السخاوي بخصوصه نقلا عن التنبكتي ما يلي:"كان اماما علامة مصنفا ،اختصر تفسير ابن عطية في جزأين،وشرح فرعي ابن الحاجب في جزأين ،وعمل في الوعظ والرقائق وغيرها"[2]،عرف الثعالبي بحبه للعلم والرغبة في تحصـــيله وفي هذا الصــــدد نجده قد أخذ مبادئه الأولى في قريته ،ثم بعدها انتقل إلى بجاية سنة(802هـــــ/1400م) حيث أخذ فيها عن شيوخها العلماء ،وبعد ذلك انتقل إلى تونس سنة(809هــــــ/1406م) وأخذ فيها عن الامام البرزلي ،وحول هذا يقول "ثم دخلت تونس عام تسعة أوائل عشرة ،وأصحاب ابن عرفة متوافرون ،فأخذت عنهم كشيخنا واحد زمانه أبي مهدي عيســى الغبريني، وشـيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبي عبد الله الآبي ،وأبي القاسم البرزلي وأبي يوسف يعقوب الزغبي وغيرهم"[3].

ثم ارتحل بعدها إلى القاهرة ،وأخذ عن علمائها وعلماء بلاد المشــــرق قبل عودته إلى مدينة الجزائر واســتقراره بها ،حيث أســس فيها رواية معروفة ومســجد مشــهور،واشــتغل بالتدريس والتأليف إلى أن توفي سنة 875هـــ/1470م ودفن بزاويته و هو يزار إلى يومنا هذا[4] ،وهكذا نجد رحلاته العلمية الكثيرة في سبيل التحصيل العلمي ، قد أفادته افادة كبيرة

---

[1] ابن مريم البستان ،المصدر السابق،ص.ص 151.150.

[2] التنبكتي ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق،ج1 .ص201.

[3] عبد الرحمن الثعالبي ،الجواهر الحسان في تفسير القرآن .طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .الجزائر .1909.ص40.

[4] يحيى بوعزيز ،أعلام العلم والثقافة.ج2 .ص108.

ونلمس ذلك من خلال ملازمته للعديد من شيوخ العلم البارزين وفي مقدمتهم الشيخ البرزلي الذي أفاده افادة واسعة في علم التفسير.

أما عن أهم مؤلفاته في علم التفسـير فنذكر منها :"الجواهر الحسـان في تفسـير القرآن"، و "العلوم الفاخرة في أحوال الأخوه" ،و"روضـة الأنوار ونزهة الأخبار" و"المختار في الجوامع في القراءات" ، و"شـرح مختصـر ابن الحاجب في الفقه"[1] وبذلك ،فقد أثر عبد الرحمن الثعالبي بتأليفه في التفسـير والفقه والتصـوف الحقل العلمي،وأخذ عنه علماء كثيرون منهم على وجه الخصـوص علماء مسقط رأسـه نذكر من بينهم محمد بن يوسـف السـنوسـي وأخوه لأمه علي بن محمد النالوتي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي وابن مرزوق الكفيف[2] .

1-4 الحديـث:

يعتبر هذا العلم من بين العلوم التي عرفت اقبالا من قبل التلمسانيين وهو علم بالقوانين التي يعرف بها أحوال السند والمتن وغايته معرفة الحديث الصحيح من غيره وينقسم إلى قسمين: علم الحديث بالرواية ،وعلم الحديث بالدراية ،ومن أشهر كتب الحديث التي كانت في متناول علماء المغرب الأوسط نجد كتب الصحاح منها صحيح مسلم ،صحيح البخاري،وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن أبي دوود وجامع الكناني،[3] وقد ظهرت شروحات عدة في الحديث منها شرح على صحيح مسلم لأبي محمد خلفة بن عمر الوشتاني ،درس في تونس زمنا ،وهو محدث ومفسر ،له كتاب في الحديث يسمى اكمال المعلم ،وقد

---

[1] يحيى بوعزيز ،أعلام العلم والثقافة ،المرجع السابق،ص108.

[2] ابن مريم ،المصدر السابق، ص190.

[3] لخضر العبدلي،المرجع السابق،ص268.

حضي باهتمام المحدثين في العصر الحفصي لأنه تضمن عدة شروحات ومنها شرح كتاب المازري[1] والقاضي عياض[2].

وللإشـــارة ،فقد تعددت المؤلفات في علم الحديث ومنها "المســتوفى في رفع أحاديث المصــطفى" ،و"ســنن القوم في آداب الليلة واليوم" جميعها للمحدث التونســـي عثمان ابن عتيق القيسي المهداوي المتوفى سنة(659هــ/ 1261م)[3] ،وكذلك عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنصـــاري الأوســـي المعروف بـابن الـدبـاغ المولود بـالقيروان ســـنـة (605هــ/1208م)،والمتوفى سنة(699هــ /1299م)،له الأربعون حديث ،و"مشارع أنوار القلوب ومفاتيح أســرار الغيوب"[4] ، ومنهم أيضـــا ابن بزيزة صـــاحب المؤلفات العديدة في الحديث منها "الاســعاد في مقاصــد الإرشــاد" وهو رســالة في ثمانية وعشــرين ورقة فيها أربعين حديثا في فضل القرآن[5] ،أما عن أبرز علماء الحديث بالمغرب الأدنى فنذكر:

الأبـي(ت827هـ/1423م): هو محمد بن خليفة الوشتاني أبو عبد الله الشهير بالأبي[6]،

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي المازري ،محدث من فقهاء المالكية نسبة إلى مازر بجزيرة صقلية ،توفي سنة 536هـ .ينظر حوله الغبريني ،عنوان الدراية ،المصدر السابق،ص382.

[2] القاضي عياض ،هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي المالكي ،ولد سنة 476هـ ورحل إلى الأندلس ،تولى قضاء سبتة ،من مؤلفاته ،ترتيب المدارك وتغريب المسالك وكتاب الشفا في أحوال المصطفى توفي سنة 544هـ .ينظر ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،المصدر السابق،ج3 .ص483.

[3] ابن الشماع،المصدر السابق ،ص.ص 53-54.

[4] محمد محفوظ ،المرجع السابق .ج2 .ص29.

[5] نفسه .ج2 .ص291

[6] الأبي بضم الهمزة نسبة لأبة قرية من تونس ،ينظر القرافي ،توشيح الديباج ،المصدر السابق،ص189 .

وصفه صـاحب نيل الابتهاج :"بالامـام المحصل النظـار المالكي ، عالم بالحديث من أهل تونس"[1]، أما الامام السخاوي فقال بشأنه:"ويعجبني الأخذ عنه"[2].

ومما يستفاد من هذه النصوص ، هو أن العالم الأبي ،كان واحدا من علماء الحديث البارزين في مدينة تونس حاضـــرة المغرب الأدنى ،وقد تتلمذ على علماءها ،وفي مقدمتهم الامام الشـيخ أبي عبد الله بن عرفة الشـهير ،وقد كان الامام السـخاوي من أشـد المعجبين بالأخذ عنه،أما عن تلامذته من طلبة المغرب الأوسط فنذكر :

– **عبد الرحمن الثعالبي** (ت875هـ/1471م): الذي افادته رحلاته إلى حواضر العالم الإســـلامي بعلم غزير أهله بأن تكون رائد من رواد العلم خصـــوصـــا في علم التفســـير والحديث.وفي هذا الإطار يقول :"ثم رجعت لتونس ،فوجدت شـــيخي أبو مهدي عيســـى الغبريني قد مات وخلفه في موضـــعه الشـــيخ أبو عبد الله محمد القلشـــاني ،فأخذت عنه ولازمته مدة، وأخذت عن البرزلي في المدة الأخيرة البخاري لم يفتني من سـماعه عليه إلا ليســـير ولم يكن يومئذ بتونس من أعلمه يفوتني في علم الحديث من تعالى ،إذا تكلمت أنصـتوا ،وتلقوا ما أرويه بالقبول فضــلا من الله سـبحانه ثم توضـعا وإذعانا للحق واعترافا به"[3] ،كما يضـيف في ذات السياق أن بعض فضـلاء المغاربة هنا ،ويقصـد بذلك بالمغرب الأدنى محل وجوده يقول لي :"لما قدمت علينا من المشـــرق رأيناك آية للســـائلين في علم الحديث ،وذلك فضــلا من الله تعالى ومنة منه سـبحانه ،ومع ذلك لا أسـمع بمجلس روي فيه الحديث إلا حضرته جعل الله ذلك خالصا ومبلغا إلى مرضاته ونعوذ بالله من أن يكون ذلك فخر وسمعة"[4] .

---

[1] التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ص193.

[2] نفسه .ص189.

[3] الثعالبي الجواهر، الحسان ،المصدر السابق،ص25.

[4]الثعالبي الجواهر، الحسان ،المصدر السابق ،ص25

وعليه ومن خلال هذا النص ندرك التفوق الذي أحرزته شـــخصـــية الثعالبي في ميدان علم الحديث مثلما أحرزته كذلك في ميدان التفســـير ،وقد أصـــبح من خلال هذا النبوغ والتفوق آية يضـــرب بها المثل بين أقرانه العلماء ،ومع ذلك فإننا نجده في آخر المطاف ،وبعد تلك الرحلة الطويلة في أرجاء العالم الاســـلامي يفضـــل حياة الخلوة والتصوف ،ولكن هذا لا يعني أبدا أنه كان بعيدا عن مواكبة حركة العصر السياسي ولم يكترث بما يجري حوله من أحداث .

- **البطرني** :(ت 848هـــــ/1444م)،هو محمد بن ســـالم بن حســـن البطرني الزناتي الأنصاري التونسي ،ذكره البرزلي نقلا عن التنبكتي قائلا في شأنه : "شيخنا الفقيه الراوية المحدث المســن المقرئ الصـــالح "[1] ،كما ذكره في نفس الســياق قائلا :"وممن أخذت عنه الشــيخ الراوية المحدث المســن الصـــالح الزاهد أبو الحســن البطرني ،قرأت عليه القراءات السبع"[2] ،وكذلك ذكره ابن قنفذ نقلا عن التنبكتي قائلا فيه :"شيخنا الفقيه الخطيب الصـالح "[3]،أما عن تلامذته من طلبة المغرب الأوســـط فنذكر :يحيى بن محمد التلمســـاني (ت 865هـ/1460)[4].

1-5 التـصوف:

اهتم طلبة المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى بدراسة علم التصوف الذي شهد شيوعا وانتشـارا واسـع في العصـر الحفصـي "[5]،وللإشـارة ،فقد اتخذت الصـوفية عدة أسـماء تبعا لمؤسسيها ،فالشاذلية تنسب إلى الشيخ نور الدين أبو الحسن الشاذلي ،الذي يعتبر مؤسسا

---

[1] الثعالبي، المصدر السابق ،ص ،97.

[2] ابن مريم ،المصدر السابق،ص150.

[3] التنبكتي ،نيل الابتهاج،المصدر السابق،ص97

[4] القرافي ،المصدر السابق،ص247.

[5] ابن خلدون ،المقدمة ،المصدر السابق،ص467.

للصوفية في افريقية ، ولد ببلدة غمارة سنة(593 هـــ /1197م)،ومنها العروسية والتي تنتسب إلى أحمد بن عروس الهواري المولود سنة(778هـــ /1376م)،سافر إلى المغرب الأقصى وأقام مدة ،ثم عاد إلى تونس ولازم الصلاة بجامع الزيتونة وشاع خبره حتى سمي بسلطان المدينة والتف حوله الناس ،وبنى له السلطان الحفصي محمد المنتصر الزاوية المعروفة باسـمه ، ولم يكن التصـوف مقتصـرا على الرجال ،بل هناك من النسـاء من اشتهرت ومنهن السيدة المنوبية عائشة بنت عمران ابن الحاج سليمان والتي ولدت سنة(589هـــ /1193م)وحفظت القرآن الكريم ،وكانت تمتهن الصوف وغزله ،ثم انتقلت إلى العاصمة تونس ،واتصلت بالشيخ أبي الحسن الشاذلي وتلقت عنه طريقته ،وبنت لها زاوية انعزلت فيها للعبادة ، إلى أن توفيت سنة(665هـ \1266م) .وكان ذلك في زمن الخليفة المنتصر الحفصي.

وقد تمخض عن الصـوفية ظهور مؤلفات تتناول سـيرة ومناقب الأولياء الصـوفيين ،ومن أشـهر المؤلفين في هذا المجال ،علي بن عمر بن محمد أبي القاسـم الهواري ،وهو تونسي الأصل ولد سنة(584هـــ\1188م) وكان من أصحاب الشيخ ابن سعيد الباجي ،ألف عدة كتب في مناقب الأولياء منها "مناقب الأولياء وبيان ترباتهم ومزاراتهم"و "مناقب أبي الحسن الشاذلي" وأبي سعد الباجي وغيرها [1] ،أما عن أبرز علماء التصوف بالمغرب الأدنى نذكر:

الزغبـــي(860هـ/1455م): أبو يوسف يعقوب ،العلامة الفقيه المحقق المفتي من أكابر أصحاب ابن عرفة التونسي ،ولي قضاء القيروان ثم الجماعة بتونس بعد أبي مهدي عيسى الغبريني[2]، أما عن أبرز تلامذته الذين أخذوا عنه في علم التصوف فنجد:

---

[1] محمد محفوظ، المرجع السابق، .ج3 .ص227 ،جميلة مبطر المسعودي ،المرجع السابق. ص195.

[2] التنبكتي ،نيل الابتهاج ،المصدر السابق .ص645 ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق ج2 .ص264.

عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/1471م) الذي سبق لنا ترجمته.

الزبـــيـــدي: (ت 740هــ \1339م) هو محمد بن حسن بن عبد الله القرشي التونسي عالم صـالح وزاهد ،اشتهر بعلمه وخاصـة علم الأنسـاب ،غير انه وللأسـف لم تطلعنا مصـادر ترجمته بمعلومات وافية عنه خصوصا فيما يتعلق بتكوينه العلمي ،وعن مشيخته ورحلاته العلمية باســـتثناء ما ذكره ابن بطوطة حوله في رحلته بكونه:"من علماء تونس"[1]،أما فيما يخص تلامذته من طلبة المغرب الأوسط فنجد قد أخذ عنه الامام ابن مرزوق الجد[2].

2- العلوم اللسانية

2- 1 علوم اللغة العربية: حرص علماء المغرب الأوســـط بالمغرب الأدنى على دراسة فنون اللغة العربية الثلاثة سواء النحو أو الأدب أو البلاغـــة وذلك لتعلقـــها بعلوم الدين وتسهـيــلا لفهم أحكامه ،فـفي النحـو فقـد تدارس طلبة العلم في المـغرب الأدنى كتاب(سيبويه)[3] ،و(ألفية ابن مالك)[4]

[1] ابن بطوطة،المصدر السابق،ص85

[2]نفسه،ص85.

[3] سيبويه،أبو بشر عمر بن عثمان الحازمي الملقب بسبويه ،إمام النحاة وأول من بسط علوم النحو ،ولد سنة 148هـ وتوفي سنة 180 ،ينظر ابن عماد الحنبلي ،شذرات الذهب ،المصدر السابق،ج10.ص 252.الذهبي ،سير أعلام النبلاء المصدر السابق،ج80 .ص351.

[4] ابن مالك هو أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك المولود سنة 600هـ والمتوفى سنة 272هـ إمام في النحو ،ومن أشهر مؤلفاته كتاب (الخلاصة) الذي عرف بين الناس باسم (الألفية) جمع فيه خلاصة علمي النحو والتصريف ،وأشار فيه إلى مذاهب العلماء وبيان ما يختاره من الآراء من مقدمة كتاب شرح ابن عقيل ،تأليف محمد بن محي الدين عبد الحميد ج1 .ص70 ،10.

وكتاب (الجمـــل) للزجاجي[1] و(المفصل) للزمخشري ،كما عكفوا على دراسة بعض كتب ابن عصـفور[2] ومنها (المقرب)،ولم يقتصـر الأمر على دراسـة هذه الكتب فقط ،بل قام أدباء المغرب الأدنى بوضع الشروحات والمختصرات[3] على هذه الكتب تسهيلا لطلبة العلم.

أما عن فن البلاغة فلم يحظى باهتمام كبير من قبل أدباء المغرب الاســلامي وفي مقدمتهم أدباء المغرب الأدنى ،ويرى ابن خلدون أن الســـبب في ذلك أنهم يعتبرون العلوم البلاغية "شــــيء كمالي في العلوم اللســـــانية"[4] ،ولذلك لم يأخذوا من علوم البلاغة بعلم البديع وذلك لإضــفاء جمال على اللفظ ،ولذلك أكثروا من المحســنات البديعية من جناس وسجع ونحو ذلك ،وهو ما أدى إلى التكلف والمبالغة في ذلك[5] ،أما بالنسبة لفن الأدب في المغرب الأدنى والذي شـمل النثر والشـعر .فقد عرف هو الآخر اهتماما من قبل سـلاطين المغرب الأدنى ولو بدرجة اقل مقارنة بما عرفته العلوم الدينية ،وإذا أردنا الوقوف عن جملة علماء المغرب الأدنى الذين برزوا في المجال اللغوي والأدبي نذكر:

---

[1] الزجاجي ،هو أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق النهاوندي شيخ العربية في عصره من كتبه (الجمل الكبرى) و(الزاهر) توفي سنة 337هـ .ينظر محمد بن مخلوف ،شجرة النور الزكية ،المصدر السابق،1 .ص226،التنبكتي ،نيل الابتهاج المصدر السابق،ج ص74.

[2] ابن عصفور ،هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي،ولد بإشبيلية سنة 597هـ \1200م أديب ونحوي شهير ،نزيل تونس ،توفي سنة 667هـ ،ينظر الغبريني ،عنوان الدراية ،المصدر السابق،ص317 ،النيفر ،عنوان الأديب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب .ج،المرجع السابق2 .ص339.

[3] الغبريني، المصدر السابق .ص123.

[4] ابن خلدون ،المقدمة ،المصدر السابق،ص552.

[5] يوسف أحمد حوالة، المرجع نفسه،ج1،ص197.

– **ابن القصار(ت790هـ/1388م):** هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي التونسي الشهير بابن القصار كان على ما قيل إماما علامة محققا عارفا بالنحو وغيره ،كما عرف بكثرة شروحه منها شرح حسن على البردة ،وشرح شواهد المغرب في مجلد وحاشية على الكشاف حسب ما قيل ، كان حيا بعد التسعين وسبعمائة حسب مصادر ترجمته[1] غير أن هذه المصادر لم تطلعنا على تكوينه العلمي وخصوصا فيما يتعلق بالشيوخ الذين تتلمذ عليهم ورحلاته العلمية في سبيل استكمال نبوغه وبلوغ نهمه العلمي،أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط الذين أخذوا عنه في هذا الفن اللغوي نذكر:

– **ابن مرزوق الحفيد** (ت842ه \1439م) الذي اشتهر بشرحه لقصيدة البردة والتصانيف الشهيرة حسب مترجميه[2].

– **ابن عصفور:** (ت 670هـ \1271م)[3] هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي، ولد بإشبيلية سنة(597ه\1200م) أديب نحوي شهير ،نزيل تونس ،كان حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس بسبب سعة إطلاعه وتفوقه العلمي وقد وصفه الغبريني في هذا الصدد قائلا عنه: "شهير الذكر رفيع القدر من أهل إشبيلية قرأ بها على جماعة من أكابر العلماء ومنهم أبو علي الشلوبين فحصل له ما لم يحصل لغيره"[4].

عرف بتنقلاته بين كل من الأندلس وبجاية التي استوطن فيها ،وكان بها أستاذ للأمير أبي يحيى بن عبد الواحد أبي حفص ،ثم ارتحل إلى حاضرة افريقية فحظي بها

---

[1] التنبكتي ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق،ج1،ص43.

[2] القرافي ،المصدر السابق .ص53 ،محمد بن مخلوف ،المصدر السابق،ص226.

[3] محمد بن مخلوف ،شجرة النور ،المصدر السابق.ص266.

[4] نفسه،ص266.

عند المنتصر بالله[1] وكان أحد خواص مجلسه ،أحد أساتذته الذين كانوا يدرسونه إضافة إلى خلف كثير من الطلبة الذين أقبلوا عليه وأخذوا عنه وانتفعوا به بما فيهم طلبة المغرب الأوسط ،وللإشارة ،لم يشتهر أبي الحسن بن عصفور بالتعليم والتدريس فقط وإنما عرف كذلك بالتأليف العديدة ، ومنها "المقرب" وهو كتاب بارع وضـــع شــروحات عليه وعلى الجمل وله "شرح أبيات الايضـاح" ولم يسبقه أحد بمثله ،كما نجد كلامه في جميع تأليفه سهل منسك محصل"[2]،وإن تآليفه النحوية هذه وإن دلت على شيء فهي تدل على مكانته الأدبية الرفيعة، وبالتالي يستحق أن يكون حسب قول صاحب عنوان الدراية "أن يكون كلامه مقدما على كلام غيره من المعبرين من النحاة"[3]،أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط الذين أخذوا عنه في ميدان الدراسات النحوية فنذكر:

– **أبو اسحاق التلمساني**(ت 699هـــ\1299م) :هو أبو اسحاق ابراهيم بن أبي بكر الأنصـــاري المعروف بالتلمســـاني الامام الفقيه الأديب ،العارف بالشـــروط المبرز في الفرائض أخذ عن أبي علي الشلوي ،ولقي ابن عصفور وابن عميرة وابن محرز وأجازوا له ،وعنه روى جلة منهم أبو عبد الله بن عبد الملك ،صـاحب تأليف المنظومة المشـهورة في الفرائض تعرف بالتلمسانية ،التي لم يؤلف مثلها، وأخرى في السير ومدح النبي صلى الله عليم وسلم[4].

---

[1]هو الأمير المنتصر بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد أبي حفص كان ببجاية ثم تولى السلطنة بتونس (647هـ–675هـ\1249م) وهو الذي نكبه وذلك بالالقاء به بثيابه بالجابية ،وتثاقل الحاضرون عن اخراجه ،ولما رجع لمحله بثيابه =المبتلة ،وكان اليوم شديد البرد أصابته حمى مات بسببها بعد ثالث يوم ،ينظر الغبريني ،عنوان الدراية،المصدر السابق .ص267.

[2] نفسه .ص267.

[3] الغبريني ، عنوان الدراية، المصدر السابق،ص268.

[4] محمد بن مخلوف ، المصدر السابق،ص202.

- **ابن عربية (ت 659هـ \1261م):**[1] هو أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي المهداوي المعروف بابن عربية ،أحد العلماء الأعلام وأئمة الاســـلام ،كان حافظا للحديث مقدما في علوم الأدب فحلا من فحول الشعراء[2] .

وللإشـــارة ،فقد برز ابن عربية في شـــعر المدح وقد أجازه الأمير الحفصـــي أبو زكريا بجائزة سنية ،وتشهد عليه في ذلك تصانيفه المفيدة التي ألفها في هذا الميدان كتاب الزهرة في مسند العشرة" ،وكتاب "آثار الصحابة" وله ديوان في مدح السلاطين الحفصيين سماه "قصـائد المدح ومصـائد المنح" وغير ذلك[3] وله تخمين نفيس على الشـقراطسـية[4]وللعلم فقد كان من نظراء ابن الأبار ومن خواص الأمير أبي زكريا الحفصي وله قصيدة مدح بها أبا زكريا المذكور متشوقا إلى المهدية المنستير :

ذكـرتُ جـدَة والـذكـرَى تـهـيـجُ لـي   وأيـن حُـجـة مـنـن والـمُـنسـتـيـر
ومـا مُنـاي ليـاليهَـا التي سـلُفـت   وما مُناي محانـيها المعاطيرُ
لـكن بـهَـا رحِـم مـجـوفَـة يئِسـت   من أن تَقربِنـي مِنهـا المقـاديرُ[5]

ومن أجمل ما قاله مهنئا الخليفة المنتصر ومعزيا له في أبيه ما يلي:

يلـدُ الزمـانُ للفـتى ثم يـوقعُ   بضـررِ هـذا الـدهرِ ثم ينفـعُ
لـئـن قـد انـطـوَى طـودَ الإمـامـةُ   فلقد جلَى شـمسُ الخلافةِ مطـلعُ[6]

---

[1] محمد بن مخلوف ، المصدر السابق، ص189.

[2] نفسه،ص189.

[3]نفسه،ص189– 190.

[4] هي قصيدة لامية في مدح النبي ،وهي تتكون من 35 بيتا من بحر وسيط ،وهي لعبد الله الشيخ يحيى بن علي زكريا الشقراطيسي – توفي سنة 466هـ ،ينظر محمد محفوظ ،تراجم المؤلفين المرجع السابق.ج3\ص204.

[5] ابن مخلوف، المصدر السابق .ص190.

[6] محمد النيفر ، المرجع السابق،ج1،ص271.

ولم يكن لون المدح مقتصـــرا على مدح الســـلاطين، وإنما مدحت من خلاله المدن التونسـية كذلك شـأن المهدية والمنسـتير، ومن أبرز الشـعراء الذين حذو حذو ابن العربية التونسي في هذا اللون من الشعر ونقصد بذلك المدح نذكر الشاعر:

- **ابن الفكـون:** أبو علي حسن بن عمر الذي ظهر في أوائل القرن السابع الهجري \14م من قسنطينة[1] ونظم قصيدة امتدح فيها مدينة بجاية قائلا في مطلعها:

دعى العـــراقَ وبغـــدادَ وشامُهما	فالناصريةُ[2] ما إن مثـــلهَا بلـــــدَ
برُ وبحرُ وموجُ للعيونِ بـــــــهِ	مســـارحُ بـــانَ عنهَا الهـــمَ والنكـــدَ
حيــثُ الهوَى والهواءُ الطلقُ مجتمعُ	حيثُ الغنَى والمنَى والعيشـــةُ الرغدَ[3]

2- العلوم العقلية:

اعتنى علماء المعرب الأوســط بالمغرب الأدنى بدراســة العلوم العقلية التي يهتدي إليها الإنسان بفكره وعقله[4] وذلك لحاجة الناس لها في قوام أمور دنياهم[5]، وقد شملت هذه العلوم الرياضـيات من حسـاب وجبر وهندسـة وفلك وتنجيم وطب وتشـريح وعلم الهيئة والكيمياء وعلم الفلاحة والميكانيكا وغيرها من العلوم التطبيقية،أما عن أبرز مصـــــنفات التي كانت متداولة في هذا النوع من العلوم في مختلف أرجاء بلاد المغرب الإسلامي ،وكانت متناولة

---

[1] الغبريني ،المصدر السابق،ص334.

[2] الناصرية يقصد بها بجاية ،ينظر حول ذلك ياقوت الحموي – معجم البلدان،المصدر السابق .ص134

[3] الغبريني،المصدر السابق .ص334.

[4] ابن خلدون ،المقدمة ،المصدر السابق،ص478.

[5] التنبكتي ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق،ج1،ص83.

بالتدريس والتعليم[1] نجد "أرجوزة ابن الياسمين في الجبر"[2] و"مختصر الجبر" لابن بدر الإشبيلي[3] .

وبالإضافة إلى ذلك كان لهم اهتمام بدراسة تلخيص كتاب أعمال الحساب لابن البناء (ت 721هـ \1321) [4] وغيرها من المؤلفات ، غير أنه وعلى الرغم من الكم الهائل من المؤلفات ،فقد تركزت الدراسات في الحساب والجبر والفرائض في حواضر المغرب الإسلامي على تلخيص أعمال الحساب ومختصر الحوفي ،وقد صارت هذه المؤلفات معتمد عليها من قبل الدارسين والباحثين في هذا المجال ببلاد المغرب وخارجها ،وأصبحت محور الحلقات الدراسية والمؤلفات الشارحة والملخصة لمسائله[5].

وفي المقابل ،فإن هذا لا ينفي وجود علوم عقلية اخرى ببلاد المغرب الاسلامي عموما والمغرب الأدنى على وجه الخصوص ،ومنها علم الطب الذي شهد في العهد الحفصي اهتماما من قبل سلاطين الدولة الحفصية وفي مقدمتهم السلطان أبي زكريا الأول والسلطان أبي فارس الذي أنشأ بيمارستانا عظيما في تونس وبالتالي ظهور كوكبة من الأطباء الحفصيين والتي فاقت شهرتها أطباء أوربا في مجال الطب والتي اشتهرت بمؤلفاتها القيمة كالطبيب أحمد بن أبي العباس الخميري صاحب كتاب "تحفة القادم" ، وأيضا ابن القوبع القرشي المولود سنة(664 هـ \1265م) والذي كان له اهتمام بالطب[6]

---

[1] محمد المنوني،المرجع السابق،ص258-259.

[2] ابن خلدون ،المقدمة ،المصدر السابق،ص1063.

[3] عبد الله بوخلخال ،التعبير الزمني عند النحاة العرب .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر .ج2\ص22 وما بعدها ،فيلالي ،تلمسان في العهد الزياني المرجع السابق،ج2،ص470.

[4] ابن مريم ،البستان،المصدر السابق،ص222

[5] نفسه ،ص211.

[6] محمد محفوظ ، المرجع السابق .ج2 ،ص241 ،برنشفيك، المرجع السابق .ج2 ،ص394.

،وإلى جانب ذلك ،فقد اهتم الحفصـــيون بعلم الفلك والنجوم ،حيث عرفوا علم الأزياج[1] وظهرت مؤلفات في هذا العلم منها مؤلفات ابن الكماد أحمد بن علي التميمي الذي ضبط الأزياج قبل سـنة(679هـــ 1280م)[2]،أما عن أبرز علماء المغرب الأدنى الذين برزوا واشتهروا في مجال العلوم العقلية فنذكر:

- **الأُبي**(ت 827هـــ \1423م): بحكم ما عرف عنه من فضل وسعة علم ، وبروزه وتمكنه الجيد في العلوم العقلية ،انهال عليه طلبة العلم للأخذ عنه والتزود بمعارفه ومنهم الامام ابن ناجي وأبي حفص القلشـــاني وأبي زيد الثعالبي[3]،وكغيره من العلماء ،فلم يكتفي الأبي بالأخذ والعطاء ،بل اشـتهر بالتصـنيف والتأليف منها "شـرح نبيل على صـحيح مسلم"سماه "إكمال الأكمال"،وله "شرح المدونة" وله "نظم وتفسير"[4] وإلى جانب ذلك ،فقد تولى الأبي قضـاء الجزيرة وكان ذلك سـنة(808هـــ\1405م)[5] وبذلك فقد كان مشـواره العلمي حافلا بالانجازات العلمية و المعرفية وتولى المناصـــب الادارية السـامية،أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط ،فقد أخذ عنه :

- **عبد الرحمن الثعالبي** (ت 875هـــ \1471م) والذي يصفه عندما يتحدث عن حياته العلميـة في عـاصـــمـة الحفصـــيين قـائلا عنـه :"ثم دخلـت إلى تونس في أواخر 809هـ\1406م) وأوائل عام(810\1407) فوجدت أصحاب ابن عرفة متوافرين ،فأخذت

---

[1] علم الأزياج ، الزيج هو جدول حسابي يبين مواقع النجوم ويحسب سير الكواكب ومنه يستخرج التقويم ،ينظر عمر فروخ ،المرجع السابق،ص116.

[2] يوسف بن أحمد حوالة،الحياة العلمية في إفريقية،المرجع السابق .ص215.

[3] نفسه،ص244.

[4]نفسه ،ص244.

[5]نفسه،ص244.

عنهم وحضـرت مجالسـهم ومنهم شـيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبو عبد الله محمد بن خلف الأبي ...وأكثر عمدتي على الأبي"[1] .

- **ابن عرفة:** (ت 803هـــ \1400م) " ذكره ابن حجر قائلا 'كان شيخ الاسلام بالغرب ،مهر في الفنون وأتقن المعقول حتى صـــار المرجع في الفنون إليه ببلاد الغرب"[2] أما ابن القاضــي فقد قال في شـأنه 'كان حافظا للمذهب ضـابط لقواعده مجيدا للعربية والأصـلين والفرائض والحسـاب وعلم المنطق وغير ذلك"[3]،أما عن سـر تفوقه هذا فيعود إلى الاجتهاد الذي تميز به والمطالعة والمذاكرة وملازمته لجلة الشـــيوخ الذين تتلمذ على أيديهم وفي مقدمتهم ابن عبد السلام الذي لازمه كثيرا وأخذ عنه الفقه والحديث والقراءات العشر وعلما غزيرا ،وعلى الســطي الفرائض ،وعلى ابن أندراس العلوم العقلية وعلى ابن الحباب النحو والمنطق والجدل وعلى الأبلي الحساب وسائر المعقول وغيرهم[4].

وبفضـــل هذا الكم الهائل من الشـيوخ الذين تكون عليهم ،وما اجتمع له من العلوم اســتحق بأن يوصــف بشــيخ الاســلام بالغرب وكان من نتائج ذلك أن رحل إليه الناس وانتفعوا به ،"[5]،وهكذا فقد كرس حياته للتدريس والفتوى ولم يتولى من المناصـــب ســـوى الخطابة والامامة بجامع الزيتونة ابتداء من سنة(772هـــ \1370م)[6] ،وزيادة على ذلك ،فقد برع في ميدان التأليف ،ومن أشـــهرتآليفه نذكر : "الأصـــول" عرض فيه طوالع

[1] أحمد أبو راس ،في عجائب الأسفار ولطائف الأخبار – مخطوط 1220 المكتبة الوطنية – الجزائر – ورقة 25.

[2] نفسه ورقة 25 .

[3] ابن القاضي ،المصدر السابق،ص272.

[4] محمد بن مخلوف، المصدر السابق،ص100.

[5] نفسه .ص106.

[6] الرصاع ، الفهرست، المصدر السابق– ص83 – عاشور بوشامة ،العلاقات الدولة الحفصية بدول المغرب المرجع السابق .ص85.

البيضـــاوي ،ومختصـــره في المنطق[1] بالإضـــافة إلى مختصـــره في الفقه الذي أفاد فيه وأبدع[2]،أما عن أبرز تلامذته من طلبة المغرب الأوسط فنذكر ابن مرزوق العجيسي الذي أخذ عنه وانتفع بمعارفه في هذا المجال العقلي.

4-العلوم المركّبة:

4- 1 علم التاريخ: من بين المؤلفات التي استأثر بها المغاربة بشكل عام وطلبة المغرب الأوسط بشكل خاص بالمغرب الأدنى نذكر كتاب "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية" لابن النخيل بن ابراهيم بن عبد العزيز (ت 618هـ/1221م)[3]،وكذلك كتاب "العبر" للمؤرخ والفيلسوف وعالم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون التونسي (ت 808هـ/1405م)[4] وتعتبر المقدمة الشهيرة جزء منه،و للاشارة فقد كان قدمه هدية للسلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز، وكذلك كتاب أبو العباس أحمد بن الحسن ابن قنفذ أو ابن الخطيب (ت 809هـ/1406م) "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" والذي سرد فيه الأحداث التاريخية بدءً من نشأة الدولة الحفصية إلى غاية انهاء الكتاب في سنة(806هـ/1403م)[5]، "الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية" لأبو عبد الله أحمد بن الشماع (ت 936هـ/1529م)[6]،وكتاب تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لمحمد بن أحمد بن اللؤلؤ الزركشي الذي كان كاتبا بديوان الإنشاء في الدولة الحفصية (820-883هـ/1417-1478م) ، وللتذكيرفقد سبق وأن ذكرنا أن المؤرخ ابن النخيل له كتاب بنفس الاسم وربما

---

[1] محمد بن مخلوف ،المصدر السابق ،ص110 .ابن القاضي ،المصدر السابق،ج2،ص273.

[2] نفسه .ص110.

[3] محمد محفوظ، المرجع السابق، ج1، ص-ص 108-147.

[4] خير الدين الزركلي،المصدر السابق، ج1، ص-ص 106-107.

[5] ابن قنفد،الفارسية،،المصدر السابق،ص17.

[6]ابن الشماع ،الأدلة النورانية،المصدر السابق،ص12.

دل ذلك على أنه أخذ تسمية كتابه من ابن النخيل وقد نقل الزركشي في كتابه هذا عن ابن خلدون وعن ابن القنفذ القسنطيني.

4- 2 الجغرافيا والرحلات: لقد اعتنى المغاربة بتدوين رحلاتهم وإنتاجهم الجغرافي والمعرفي الذي خلفوه وراءهم، وقد انكب علماء المغرب الأوسط على قراءتها وأخذ المعرفة والعبرة منها. وفي هذا الصدد، فقد لمع بعض المؤرخين الجغرافيين المغاربة الذين مزجوا علم الجغرافيا والتاريخ، فكانت كتب الرحلات، ومن أشهر كتب الرحلات التي استفاد منها علماء المغرب الأوسط رحلة ابن بطوطة الذي بدأها سنة (725 هـ/1325م) وانتهى منها سنة(756هـ1356م)، وقد زار خلالها بلاد المغرب والشام والعراق، وكان قد قدم من خلالها وصفا جغرافيا يشمل المدن ككل،وفي كل النواحي وهو الأمر الذي جعل منها ذات طابع ممتع للقارئ[1] و رحلة العبدري الذي مزج فيها بين الوصف الجغرافي الدقيق للأحوال المناخية، والمدن والبلدات التي زارها والوصف الثقافي والعلمي، للعلماء وذكر مؤلفاتهم وأشعارهم[2]،ورحلة تخللها الوصف الجغرافي والثقافي هي الأخرى في آن واحد[3]. وقد كانت استفادة علماء المغرب الأوسط من خلال اطلاعهم عليها كبيرة .

5- نماذج عن اختصاصات علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى

استطاع المغرب الأدنى ان يجلب أنظار علماء المغرب الأوسط منذ وقت مبكر بحكم صلة الجوار والقربى، فرحل إليه عدد لا يحصى منهم، وقد أشارت كتب التراجم والطبقات والسير إلى ذلك مؤكدة على بداية التواصل العلمي والثقافي والبشري بين المغربين

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق،ص-ص18-19.

[2] اسماعيل سرهنك، تاريخ دول المغرب، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، ، بيروت 1408، ص 9.

[3] روبرت برانشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 415.

والأدنى وخصوصا في الفترة الممتدة ما بين القرن السابع الهجري والتاسع الهجري/ (13-15م) وهي موضوع الدراسة.

وفي هذا الصدد سنورد عينة من علماء المغرب الأوسط الذين حلوا بالمغرب الأدنى خلال هذه الفترة، وذلك حسب نوعية اختصاص كل واحد منهم على سبيل المثال في هذا الجدول التالي، وقد جاء ترتيبهم زمنيا باعتماد مجموعة من المصادر المتوفرة :

نوع التخصص اسم الرحالة	فقيه	مفتي	مفسر	محدث	قاضي	فلكي	رياضي	مدرس	لغوي	نحوي	أديب	شاعر		المصدر
أبو العباس الغبريني (ت704هـ/1304م)	×				×									الغبريني ،عنوان الدراية،ص05
الآبلي (757هـ/1358م)					×			×						الحفناوي،المرجع السابق،ص93
الشريف التلمساني(ت 771هـ/1)	×							×						ابن مريم البستان ،ص 167
ابن الخطيب الجد(ت 781هـ/1379م)	×													عادل نويهض،المرجع السابق،ص107.

ابن مرزوق الحفيد(ت 842هـ/1439م)	×		×	×			×	×	×	×				الحفناوي،المرجع السابق،ص166
ابن مرزوق الكفيف(ت 901هـ/1496م)	×													المرجع نفسه،ص167
الونشريسي (834هـ/1430 م)	×	×												ابن القاضي،جذوة الاقتباس،ج1،118
ابني الإمام أبوزيد (ت741هـ/134 0م)	×	×												عادل نويهض،المرجع السابق ،ص 133
ابني الإمام أبو موسى (ت 749هـ/1348م)	×	×												المرجع السابق ،ص 133
عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1471م)			×											المرجع نفسه،ص176
أبواسحاق التلمساني (ت699هـ/126 6م)											×			المرجع نفسه،ص176
ابن الفكون														المرجع نفسه،ص109

(أوائل القرن السابع الهجري/14م)														
العقباني (ت871هـ/146 7.م)											×			الحفناوي،المرجع السابق،ص118
الرصاع (ت894هـ/1 489.م)							×					×		عادل نويهض،المرجع السابق ،ص106

إن المتتبع لحركة العلماء وطلبة المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى والتي رصدناها من خلال هذا الجدول يتأكد لديه ما يلي:

- ازدهار العلوم الدينية وعلى رأسها علم الفقه وأصوله وأصول الدين والعربية والنحو والفرائض والعلوم العقلية من حساب وفلسفة وفلك.

- سيادة الدراسات الفقهية مقارنة مع باقي الدراسات أو الاختصاصات الأخرى .ويعود سر الاهتمام بالدراسات الفقهية، ووفرة الإنتاج الفكري في ذلك لكونها تعد من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة لأنها منتقاة من الكتاب والسنة، ولما كانت توفره هذه العلوم من مناصب إدارية مرموقة كالإفتاء والقضاء والتدريس التي لا يستطيع تقلدها إلا من عرف بالتفوق العلمي الكبير.

- انتشار ظاهرة التصوف في أوساط العلماء والصلحاء، واحترامهم في أوساط الجماهير وتقديرهم.

ثانياً: منافسة علماء المغرب الأوسط لعلماء المغرب الأدنى

نظرا للتطور الكبير في المؤسسات العلمية بالمغرب الأوسط، وشيوع ظاهرة التعليم في كل مستوياته، أصبح المغرب الأوسط يسير نحو الريادة العلمية وذلك بفضل جيل من العلماء الذين أصبحوا شيوخا حاولوا ابراز قدراتهم المنهجية العلمية من خلال ما عرفوا به من روح تنافسية شريفة مع جيرانهم من علماء المغرب الأدنى،وللإشارة، فقد تجسدت المنافسة في تلك المناقشات التي كانت تدار فيما بينهم والتي كان يشعر من خلالها علماء المغرب الأوسط بأنهم يمكنهم بها أن يتجاوزوا المشيخة الحفصية، وأن يكونوا مستقلين في الرأي والتفكير، بل والريادة فيهما[1].

وعن تلك المناقشات التي جمعت بين ثلة من كبار علماء المغرب الأوسط وبعض علماء المغرب الأدنى، فقد سجل لنا الونشريسي في معياره جانبا من المنافسة التي جمعت بين أبي القاسم الغبريني نجل أبي العباس الغبريني صاحب عنوان الدراية الذي كان قاضيا للحضرة الحفصية في تونس وكبيرؤ المفتيين فيها الذي رد بقسوة على كل من المقري الجد (759هـ/1357م)، والشريف التلمساني (ت 711هـ/1369) حول مسألة التراجع على الوصية بعد أن يشترط صاحبها عدم التراجع، وكانت هذه الفتوى بين (750هـ-759هـ/1349-1357م)، ورد الغبريني يبدو أنه كان بين سنة (765-770هـ/1363-1368م)[2].

وللإشارة، فلما ورد ابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م) على تونس في هذه الفترة قبل انتقاله إلى مصر قام بالرد على فتوى الغبريني دفاعا كما قال عن أبي عبد الله،

---

[1] عبد الجليل قريان، التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية وتلمسان في العصر الوسيط، قراءة تاريخية، مقال ضمن مجلة عصور الجديدة، لعدد 10، صيف جويلية 1434هـ/2013م، ص 155.

[2] عبد الجليل قريان، التلاقح العلمي ،المرجع السابق، ص 156

ثم لما علم بذلك الشريف التلمساني رد هو الآخر على كل من الغبريني وابن مرزوق بجواب مطول[1].

وبذلك فقد أثرت الدراسات الفقهية والأصولية، وتنوعت فيها طرق الاستدلال والنقاش، وبالتالي فقد أفادت الحركة العلمية في تنوع المناهج والرؤى والفكر بحوالي مئة صفحة بين جواب ورد وتعقيب في مسألة فرعية واحدة[2].

وفي الواقع، لم تقتصر هذه المناقشات على هذه المسألة، بل هناك مسألة أخرى حتى وإن بدأت مناقشاتها في عشرينات القرن الثامن سنة (727هـ/1326م)، إلا أن علماء المغرب الأوسط دخلوا في صلب النقاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/14م، وذلك بعدما توطدت أركان مدرسة المغرب الأوسط، وهذه المسألة تعلقت بقضية الشرف من قبل الأم التي كانت محل جدل بين علماء المغرب الأدنى في بداية الأمر، إذ كان القاضي أبو اسحاق ابن عبد الرفيع التونسي يرى أن الشرف لا يثبت من جهة الأم [3]، بينما دخل علماء المغرب الأوسط في هذا النقاش في النصف الثاني من القرن الثامن في سنة (770هـ/1368م) وقد مثل ذلك كل من الشريف التلمساني وابنيه عبد الله وأبي يحيى، وسعيد بن محمد العقباني، وقاسم بن سعيد العقباني، وعلى بن محمد بن منصور الأشهب وكلهم يرى الشرف من قبل الأم بطريقة المغرب الأوسط الذي يفرق بين النسب والفضلية كما جاء في فتوى الشريف التلمساني[4].

---

[1] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 156.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص-ص 268-354.

[3] نفسه،ج 12، ص 385-394.

[4] الونشريسي، المعيار المعرب،المصدر السابق ، ج 12، ص 193-207.

وللعلم، فقد بقيت هذه المنافسة حتى عصر ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) الذي كتب رسالة كاملة حول إثبات الشرف من قبل الأم وذلك سنة(818هـ/1415م)[1] وبقيت فتاوى الشرف تلقي بظلالها في الثقافة السياسية إلى أواخر الدولة الزيانية، فقد حاول التنسي(ت 899هـ/1493م) أن يثبت شرف نسب الزيانيين ضمن كتابه الذي أهداه إلى السلطان الزياني تحت عنوان "نظم الدر والعقبان في شرف بني زيان"[2]،وعليه وبفضل هذه المناقشات التي دخل فيها علماء المغرب الأوسط مع علماء المغرب الأدنى، أثبتوا تفوقهم في النقاش وقدرتهم في المناظرة ومنافسة غيرهم من علماء المغرب الأدنى في المجال العلمي والمعرفي، وهو ما جعل المغرب الأوسط يفضل مدارسه وشيوخه وعلماءه موئلا لعلماء المغرب الأدنى، يرحلون إليه للعلم والاستزادة من العلوم والتفاعل مع علماءه ومناهجهم.

وخير دليل على اهتمام علماء المغرب الأدنى بعلماء المغرب الأوسط نلمسه عندما تم استدعاء العالم التلمساني الآبلي وهو بتونس من قبل السلطان المريني أبي عنان، وعند مروره ببجاية توقف للتدريس بها مدة شهر كامل كأستاذ زائر بطلب من علماءها، كما رحل أبو العباس أحمد بن موسى البجائي إلى تلمسان للقراءة على عبد الله بن محمد الشريف التلمساني (792هـ/1389م) وابن الشريف التلمساني المشهور الذي كان يدرس بالجامع الأعظم بتلمسان ويحضره إلى جانب ذلك الطلبة الفاسيين وكان من شأنهم حفظ المسائل والنقل على عادتهم[3].

وبهذه المشاركة في المناقشات والتفوق الذي برز به علماء المغرب الأوسط أمام جيرانهم من علماء المغرب الأدنى، نالوا عبارات الإعجاب والإثراء من قبل فضائل العلماء

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج 12، ص 193–207.

[2] التنسي، المصدر السابق، ج1،ص 21.

[3]ابن مريم،البستان،المصدر السابق، ص 117.

ليس في المغرب الأدنى فحسب، بل عند علماء الأندلس، فقد كان لسان الدين بن الخطيب يراسل الشريف التلمساني، ويطلب منه تقديمه لمؤلفاته الجديدة[1] كما كان سعيد بن لبيب العالم الأندلسي الشهير كلما أشكلت عليه مسألة راسله فيها وطلب رأيه[2]، في ذلك الصدد قال فيه ابن عرفة لما توفي: "لقد ماتت بموته العلوم العقلية"[3].

ثالثاً: تكوين شخصيتهم العلمية

بالرغم من خصوبة بيئة المغرب الأوسط، فإن العديد من علمائه فضلوا الرحلة إلى بيئات أخرى وفي مقدمتها بيئة المغرب الأدنى التي كانت تستهويهم لما كانت تتوفر عليه من مراكز ثقافية كانت تغص بالعلماء الأجلاء للدراسة والمناظرة واستكمال رصيدهم العلمي والمعرفي، والسعي إلى نيل الشرف في تحصيل السند، ومن ثم إلمامهم بالفنون المختلفة، والمساهمة في تكوين شخصيتهم العلمية، والقدرة على إثبات الذات في أوساط معاصريهم من العلماء[4].

فكما هو شائع ومعروف، فإن الكثير من العلماء لم يشتغلوا بالتدريس ولم يتولوا المناصب الرفيعة إلا بعد ممارسة الرحلة في طلب العلم التي كانت تشعر الرحالة بالاحترام في بلدهم وترفع من مكانته العلمية، بحيث يصير لآرائه وعلمه قيمة، واعتبار عند الناس تجعله يقبلون عليه للإفادة والاستفادة، وفي هذا الصدد يرى ابن خلدون أن "من كان قليل البضاعة من الحديث فيتعين عليه طلبه ورواياته والجد والتشمير في ذلك"[5]،ولا يتأتى ذلك إلا إذا تميز العالم بالدقة والتحري والاتصال المباشر بالشيوخ، ذلك أن منهاج المحدثين

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص 175.المقري، المصدر السابق، ج6، ص 25.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج،المصدر السابق، ص 438.

[3] نفسه، ص 435، ابن مريم، المصدر السابق، ص 170.

[4] الحسن الشاهدي، المرجع السابق،ج1، ص 97.

[5] ابن خلدون،المقدمة،المصدر السابق،ص102.

يعتمد على تنويع الرواية والبحث على العلوم في السند وطلب الكمال والقرب وكل هذا يعد بالنسبة للعلماء مكسبا في رحلات ومصدر فخر على غيرهم[1] وفي هذا الصدد يذكر صاحب فهرس الفهارس أنه لما رجع عبد الرحمن الثعالبي من رحلته وقد حصل على ما أراد من الإسناد العالي نال بذلك إعجاب محدثي عصره كما سبق ذكره قائلا :"وكان بعض فضلاء المغاربة هناك يقول لي:"لما قدمت علينا من المشرق رأيناك آية للسائلين في علم الحديث"[2]،وأما عن جملة علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المغرب الأدنى بهدف تكوين شخصيتهم المعرفية نذكر:

أبو العباس الغبريني: (644هـ/1315م)، ارتحل إلى افريقية أو المغرب الأدنى للاستفادة من مجالس الفقيهين أبو العباس بن عجلان (ت 678هـ/1879م) وأبو محمد عبد المجيد (686هـ/1287م)[3] فانتفع برؤيتهم ، وتبرك بمشاهدتهم[4]، كما تزود أيضا من علم الأصول والتفسير والحديث، وهي علوم من شأنها أن تمرن المؤرخ على تأصيل المسائل وإرجاعها ببصيرة إلى أصولها ومنابعها ومن ثم تفسيرها وتحليلها من غير إفراط ولا تفريط وهي ميزة نجدها عند من جمع بين التاريخ وعلم أصول الدين.

كما كان للغبريني تكوين علمي على يد كبار اللغويين كأبي عبد الله التميمي الذي لازمه طويلا، فقرأ عليه النحو واللغة والآداب والتصوف، وهو ما ساهم في انتفاع صاحب

---

[1] ابن مرزوق، المسند الصحيح، المصدر السابق، ص 146، التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 179.

[2] مسعود كواتي، وآخرون، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، تصدير عبد الرحمن حاجيات، دار الحضارة، ط1 الجزائر 2007، ص 95.

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص 357.

[4] نفسه، ص 109.

الترجمة به، وجعل الغبريني يقول عنه :"ما رأيت في علم العربية مثله"[1]، كما أورد لنا الغبريني في كتابه عنوان الدراية النص الكامل لإجازة الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن حسين الخشني (ت في النصف الأول من القرن السابع هجري/ 13م) للفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني ثم أورد نص رسالة هذا الأخير ثنى فيها عليه[2].

ابنا الإمام: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (ت741هـ/1340م) وشقيقه عيسى بن محمد بن عبد الله أبو موسى (ت حوالي 749هـ/1348م) من كبار فقهاء المالكية في وقتهما، ولدا ونشآ ببرشك ثم رحلا لتونس حيث واصلا تعليمهما وأخذا عن كبار علمائها وعلى رأسهم ابن جماعة، وابن القضار والبطرني وغيرهم، وأدركا الشيخ المرجاني من إعجاز المائة السابعة المتوفي سنة (766هـ/1364م)[3].

المقري: محمد بن أحمد بن أحمد التلمساني (759هـ/1359م) باحث واديب وقاضي من كبار علماء المذهب المالكي في عصره، ولد وتعلم بتلمسان، ثم انتقل إلى تونس لمواصلة تعليمه على كبار علماءها وعلى رأسهم الإمام عبد الله ابن عبد السلام[4]وحول ذلك يقول:"ثم رحلت إلى تونس، فلقيت بها ابن الجماعة وفقيهها أبا عبد الله ابن عبد السلام فحضرت تدريسه وأكثرت مباحثته"[5] ، غير أننا لا ندري بالضبط كم استغرقت رحلة محمد

---

[1] الغبريني،عنوان الدراية،ص 389، مغزاوي مصطفى، أبو العباس الغبريني البجائي (ت704هـ/1304م) ومنهجه من خلال كتابه عنوان الدراية مقال ضمن مجلة عصور الجديدة، العدد 3-4، 2011-2012، جامعة وهران، ص 73.

[2] الغبريني، المصدر السابق ، ص،ص 252-253.

[3] محمد بن مخلوف،المصدر السابق، الغبريني،المصدر السابق، ص 219.

[4] عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص71، كذلك عادل نويهض، المرجع السابق، ص312.

[5]ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص251.

المقري إلى تونس، ومتى بدأت وحتى متى انتهت . وبعد عودته إلى بلده تلمسان، شد رحاله إلى المغرب الأقصى بقصد الإلتقاء برجال العلم والاستفادة من علومهم ومعارفهم وربط الصلة معهم، توفي بفاس يوم الأربعاء 29 جمادى الأول(عام 759هـ/1358م) وحملت جثته بعدها لتلمسان فدفن بها[1].

الشريف التلمساني:(710-771هـ/1310-1379م)

اشتهر بالفقه ،انتقل إلى المغرب الأدنى سنة(740هـ/1339م) وحضر مجالسه العلمية وأخذ عن مشايخه[2].

وهكذا ساعدت هذه الرحلات التي قام بها علماء المغرب الاوسط باتجاه المغرب الادنى بشكل كبيرفي اكتمال شخصيتهم العلمية ،و مساهمتهم في بناء النهضة الثقافية في العالم الاسلامي .

رابعاً: تولي المناصب والوظائف الإدارية الهامة

لم يقتصر اهتمام علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى على دراسة العلوم المتداولة وفقط، فهناك منهم من سمحت له الفرصة بفضل ما تميز به من غزارة علم تفوق كفاءته من تولي مناصب ووظائف هامة بالمغرب الأدنى ساهمت في ازدياد شهرته وحسن سيرته وصنيعه، ومن بين هذه الوظائف التي شغلوها ببلاد المغرب الأدنى نذكر:

1-**التدريس:** اشتهر في هذا الميدان جملة من علماء المغرب الأوسط الذين عرفوا برصيد معرفي رفيع المستوى جعل منهم قبلة لطلبة العلم من كل حدب وصوب وعلى رأسهم طلبة المغرب الأدنى ومن هؤلاء نذكر:

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص 124.

[2]- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة،المصدر السابق،ج3،ص325.

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي: (ت 757هـ/.1356م) أصل أجداده من أبلة بالأندلس، ثم انتقلت عائلته إلى تلمسان بالمغرب الأوسط، وبها نشأ وعكف على تحصيل العلم وتدريسه مخالفا اتجاه أبيه وأعمامه الذين اشتغلوا بالجندية في ذلك[1].

عرف الأبلي بحبه للعلم، ولقاء الكثير من العلماء داخل تلمسان أو خارجها، وقد عكف على دراسة كتب التعاليم وتفوق فيها، وقد ساعده هذا النبوغ العلمي الذي تميز به بأن يلتحق ويندمج في طبقة العلماء بمجلس السلطان أبي الحسن المريني بفاس الذي صحبه مع غيره من العلماء في حركته إلى الأندلس وحضر معركة طريف، ثم انتقل معه إلى افريقية سنة (748هـ/1347م) ومكث بتونس حيث تفرغ للتدريس بها وقد أخذ واستفاد وانتفع منه العديد من علماء المغرب الأدنى وفي مقدمتهم ابن خلدون الذي تعلم عليه وأجازه وقد ذكره في رحلته قائلا في شأنه :"ومنهم شيخ أهل المغرب لعصره في العلوم العقلية ومفيد جماعتهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي، قرأت عليه بعض "موطأ مالك" وأجازني بسائره"[2].

والواقع، لقد كان الأبلي أحد الأستاذان الذين أثرا في ثقافة ابن خلدون الشرعية واللغوية إلى جانب محمد بن عبد المهيمن الحضرمي إمام المحدثين والنحاة بالمغرب الذي أخذ عنه الحديث والسيرة وعلوم اللغة كما استفاد منه في العلوم العقلية، وكانت تشمل المنطق وما وراء الطبيعة والعلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والفلكية والموسيقى[3].

وزيادة على ابن خلدون، فقد أخذ عنه واستفاد وانتفع بعلمه كذلك الإمام ابن عرفة التونسي[4] وإلى جانبهم الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة عندما مر بتونس عند عودته

---

[1] عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر المرجع السابق، ص 451.

[2] ابن خلدون، رحلة ابن خلدون،المصدر السابق، ص 240.

[3] اسماعيل سراج الدين، مع رحلة ابن خلدون، إعداد خالد غرب ومحمد السيد، مكتبة الإسكندرية، 2006، ص ص 14–15.

[4] محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 221.

من رحلته الذي قال هو الآخر في شأنه ما يلي:"ولقيت بتونس إذ ذاك الشيخ الإمام خاتم العلماء وكبيرهم أبا عبد الله الأبلي، وكان في فراش المرض، وباحثني عن كثير من أمور رحلتي"[1] .

الشريف التلمساني: (ت771هـ/1369م) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد العلوي الشريف الحسني المعروف بالشريف التلمساني، ولد بتلمسان سنة (710هـ/1310م) ونشأ بها، وتعلم على علمائها، ذكره عبد الرحمن بن خلدون في رحلته قائلا:"نشأ هذا الرجل بتلمسان وأخذ عن مشيختها، واختص بأولاد الإمام، وتفقه عليهما في الفقه، والأصول، والكلام، ثم لزم شيخنا الأبلي وتضلع من معارفه، فاستبحر، وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه"[2].

إن هذا التكوين العلمي الذي حظي به أبو عبد الله الشريف التلمساني جعله كغيره من علماء المغرب الأوسط قبلة لطلبة العلم للأخذ والاستفادة منه وفي مقدمتهم طلبة المغرب الادنى وعلى رأسهم ابن خلدون الذي قال فيه نقلا عن ابن خلدون:"هو فارس المعقول والمنقول الفهامة المحقق العمدة الحافظ كان من اعلام العلماء والأئمة الفضلاء أعلم من في عصره بإجماع"[3]،وقد كان الأستاذ بن لبيب يعترف بفضله ويراجعه في المسائل، ومما يذكر عنه أنه اجتمع بابن عبد السلام بمجلس دروسه وعارضه في مسألة كان الحق فيها ظهر له، فاعترف بفضله ووقعت بينهما مذاكرات علمية وأخذ كل عن صاحبه[4].

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 64.
[2] عبد الرحمن ابن خلدون، الرحلة،المصدر السابق، ص 70.
[3] محمد بن مخلوف،شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص 234.
[4] نفسه ، ص 234.

ومن خلال ما سبق ذكره ندرك ذلك الرصيد العلمي الكبير الذي تميز به أبو عبد الله الشريف التلمساني والذي جعله يتفرق عليهم في ديارهم والذي نلمسه في تلك المسائلات التي كانت تتم بينه وبين علماء عصره ومن بينهم علماء المغرب الأدنى .

ابن مرزوق الخطيب: (ت 781هـ/1379م) عرف بثقافته الواسعة، وتحصيله لمعارف غزيرة في شتى أصناف العلوم، وأهله لأن يكون معلما، حيث وبعدما درس في بداية مشواره بمدرسة العباد واعترافه من علم ابني الإمام والأبلي بعد رحلته للأندلس بغرناطة في الفترة الممتدة من (753-754هـ/1352-1353م)[1] درس عند السلطان أبي سالم من (760هـ1358 - 762هـ/1360م) وبعدها كانت وجهته تونس حيث كلفه السلطان أبو اسحاق بالتدريس بمدرسة الشماعين وتسمى بالمدرسة الشماعية[2] وبقي يعلم بها ما بين سنة (765هـ 1363- 772هـ/1370م)أي إلى غاية رحلته إلى الاسكندرية[3] وقد تخرج على يديه العديد من فضائل علماء المغرب الأدنى طيلة سبعة سوات كاملة التي اعتكف فيها على التدريس وبث العلم والتربية الخلقية التي قضاها بين طلبة المغرب الأدنى[4] ومنهم أبو حفص القلشاني، وابن التجاني والقلصادي إلى جانب خلق كثير[5] .

---

[1] المقري ،المصدر السابق، ج2،ص242. ابن قنفذ القسنطيني، انس الفقير وعز الحقير، تحقيق أبي سهل نجاح، عوض صيام دار المقطم، ط1، القاهرة، 201، ص،ص 140-141.

[2] الزركشي،تاريخ الدولتين ،المصدر السابق، ص،ص 24-32-17،

[3] التنبكتي، نيل الإبتهاج،المصدر السابق، ص 452، نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 86

[4] يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 47.

[5] محمد بن مخلوف، المصدر السابق،ص209.

2- الكتابة السلطانية: هي أداة استعملها الإنسان لينقل لغيره ما لديه من أفكار ومعارف اخترعها [1]،وإذا أردنا الوقوف عند جملة علماء المغرب الأوسط الذين تولوا هذه الخطة بالمغرب الأدنى فنذكر:

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد أحمد الإدريسي المعروف بالجزائري:هو حفيد الفقيه الجليل أبي عبد الله الإدريس، كان من الأدباء الكتاب، وهو من نظراء الشيخ أبي عبد الله التميمي في علم النظم والعريض، ومن صفاته كان حسن النظم والنثر مليح الكتابة، وكان كثير التجنيس، يأتيه عفوا من غير تكلف، ولأجل ذلك حسن نظمه، وكان مليح التواشيح إن طال في شعره أعرب وإن اقتصر واقتصد أعجب.

أبو عبد الله محمد بن عمر البجائي التنسي المعروف بابن عمر (ت740هـ/1339م) هو الفقيه المتفنن، الكاتب البليغ العالم الأديب، رحل إلى الحج، وأثناء رحلته هذه التقى بكبار أئمة العلم وروى عنهم ،ومنهم رضي الدين الطبري الذي روى عنه الكتب الخمسة بالحرم الشريف سنة (713هـ/1313م)[2] وقد انتفع بعلمه خلق كثير قال خالد البلوي في شأنه:"له شعر رائق ونثر فائق وتآليف متطرفة"[3] وقد أهله مستواه الأدبي بأن يكون صاحب خطة الإنشاء بتونس[4] .

محمد بن عمر البجائي المليكشي: (ت740هـ/1339م) يلقب بأبي عبد الله التجاني المليكشي نسبة إلى بني مليكش بضواحي بجاية فقيه متصوف، وشاعر وأديب، يعد واحد

---

[1] طيطح نصيرة، الكتابة السلطانية ي عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316-422هـ/929-1031م) رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2009، ص28.

[2] محمد بن مخلوف، المصدر السابق ، ص 218.

[3] محمد بن مخلوف،شجرة النور الزكية، المصدر السابق ، ص 218.

[4] نفسه، ص218.

من أكابر علماء المغرب الأوسط في هذه الفترة[1]،وعند مقتل أبي حمو موسى الأول سنة(318هـ/930م) واضطراب الأحوال في الجزائر، انتقل إلى الأندلس وأقام بمالقة مدة ثم بعدها رحل إلى تونس، وتقلد فيها خطة الكتابة، واستقر بها إلى أن توفي سنة (740هـ/1339م)[2]، ذكره الحضرمي نقلا عن عمار هلال قائلا عنه:'كان صدرا في الطلبة والكتاب، فقيها كاتبا أديبا حاجا راوية متصوفا فاضلا صاحب خطة الإنشاء بتونس، ذو تواضع وإيثار وقبول حسن، له شعر رائق ونثر فائق وكتابة بليغة وتآليف مستظرفة"[3] .

3- الرسل[4] (التمثيل الديبلوماسي)[5]: يعد منصب أو وظيفة الرسل من الوظائف السياسية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي إلى جانب وظيفة التدريس والكتابة السلطانية

---

[1] التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص239، المقري،المصدر السابق، ج2، ص240، الحفناوي،المرجع السابق، ص 176.

[2] عمار هلال، المرجع السابق، ص 71.

[3] عمار هلال، نفسه، ، ص71.

[4] يقال وفد شخص ما على الأمير أي جاءه رسولا وعندما نجمع كلمة وفد تصبح وفودا، والاسم الوفادة، وأوفده إلى الأمير بمعنى أرسله وقد ورد السفير بمعنى الرسول الذي يصلح بين قومين، ومن أصلح بين القوم فهو سفير ، ينظر محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي بيروت،(1402هـ/1987-ص301)، مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار =الدعوة، اسطنبول (1989/1410-م1- ص 433)، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت (1416هـ/1995م ص113)، إبراهيم محمد آل مصطفى، سفارات الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثوليكية،(138-422/255-1031م)- مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة 2013، ص39.

[5] تعرف الدبلوماسية بأنها "عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول والتي تتناول علاقاتها ومعاملاتها ومصالحا" وهي كذلك "عملية إدارة وتنظيم العلاقات الدولية عن طريق المفاوضة، وهي طريقة تسوية وتنظيم هذه العلاقات بواسطة السفراء =والمبعوثين كما أنها المهمة الملقاة على عاتق الدبلوماسي، أي قل إنها فنه" وعليه فقد اعتبرت كفن لإقناع الآخرين بالإمتثال لما فيه تحقيق المصلحة القومية ، ينظر إسماعيل صبري، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات ، منشورات ذات السلاسل، ط5، الكويت(1408هـ/1987م)، ص 391، محمد فاضل زكي الدبلوماسية في النظرية

خلال هذه الفترة المعنية بالدراسة، غير أن المصادر التاريخية كانت شحيحة ولم تطلعنا على عدد رسل المغرب الأوسط الذي تقلدوا هذا المنصب ببلاد المغرب الأدنى باستثناء محمد بن قاسم العقباني.

محمد بن أحمد بن قاسم العقباني: (ت 871هـ/1467م) ولد بمدينة تلمسان، ولم تذكر المصادر متى ولد بالضبط، درس على جده الإمام قاسم العقباني وعلى علماء آخرين العلوم العربية الفقهية واللغوية والأصولية، وتضلع مثل جده ووالد جده في مادة الفقه الإسلامي، وأصبح له باع في الإفتاء والنوازل ساعده على تولي منصب القضاء بتلمسان ووظيفة التدريس[1].

ونتيجة لأحداث السياسية التي عاشها محمد بن قاسم العقباني والمتمثلة في ازدياد أطماع السلاطين الحفصيين على تلمسان وإماراتها ذهب سفيرا من قبل السلطان الزياني إلى تونس، واشترك مع بعض وجوه تلمسان في توقيع الصلح مع سلطان تونس الحفصي أبو عثمان بن محمد بن أبي فارس عبد العزيز الذي قرر أن يغزو تلمسان بقواته ليؤدب أميرها الجديد محمد بن محمد بن أبي ثابت الذي قام بفرض سيطرته عليها، واخرج من تلمسان صاحبها وأميرها أبا العباس أحمد بن أبي حمو[2]،وكان يتكون وفد المصالحة من ثلاثة شيوخ هما الشيخ أبو العباس أحمد بن الحسن، والفقيه أبو عبد الله بن أحمد بن قاسم العقباني مترجمنا وأبو الحسن على ابن حمو بن أبي تاشفين خال الأمير محمد المتمرد والجالس على العرش، واستظهروا له بعقد أمضاه عدد من أعيان تلمسان يؤكد أن جميع ما يبرمونه معه من شروطك ستكون ملزمة للأمير محمد بن أبي ثابت، وطلبوا منه أن يكف

والتطبيق، نشر وزارة المعارف، ط1، بغداد، (1380هـ/1960م) ،ص8، بدوي محمد طه، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، دار النهضة العربية ، بيروت، 1392هـ/1972م ،ص 298.

[1] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 199.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،المرجع نفسه، ص 199.

عن عزمه غزو المدينة على أن يبايعوه نيابة عن صاحبها الذي سيدخل تحت طاعته، ويحكم تلمسان بإسمه، فقبل عرضهم ورجاءهم، وأعلن الأمير محمد طاعته له، فرحل وعاد إلى تونس في شهر صفر من عام (867هـ/1462م)[1].

وحتى يثبت الأمير الزياني حسن نيته أوفد إلى تونس وفدا من قبله يحمل هدية إلى صاحبها، تؤلف من القاضي محمد بن أحمد العقباني ورجل من بني عمومه، ذهب إلى تونس في أواخر جمادى الثانية(868هـ/1368م)، وعندما وصل هذا الوفد إلى تونس وجد السلطان الحفصي مريضا وفي غفوته، فبقي ينتظر حتى فاق من غفوته واستعاد وأبلغ بخبر هذا الوفد التلمساني وبالهدية التي جاء بها إليه، ففرح بها غاية الفرح وأمر بتزيين الأسواق والساحات العامة ابتهاجا بهذا الحدث السعيد.وفرح السكان واستبشروا خيرا[2].

وللإشارة، فقد بقي محمد العقباني ورفيقه بتونس أربعة شهور كاملة وزيادة، ثم عادا إلى تلمسان في شهر ذي القعدة بهدية صاحب تونس وصحبهما مندوب من سلطان تونس يدعى محمد بن فرج الغربي ليحضر تسليم الهدية ويؤكد صداقة عرش تونس حاضرة المغرب الأدنى لعرش تلمسان حاضرة المغرب الأوسط[3].لكن سرعان ما فسدت العلاقات بين العرشين بسبب اثارة الشقاق والشكوك بينهما،ففي عام(870هـ/1465-1466م) وفد على سلطان تونس أبي عثمان زعماء بني عامر وسويد وغيرهم من أعراب تلمسان، وقدموا له شكاوى عديدة ضد أمير تلمسان الزياني محمد بن أبي ثابت، وأكدوا له بأن هذا الأمير نكث عهده وبيعته للعرش الحفصي بتونس واقترحوا عليه أن يجهز جيشا لغزو تلمسان ومعاقبة هذا الأمير العاصي وأعطوا له وعدا ثابتا ليؤيده وينصره.

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 199.

[2] الزركشي، تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص 30.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص100

وعندها قبل السلطان الحفصي عرضهم، وخرج جنوده من تونس واتجهوا إلى بجاية ليلحق بهم بنفسه سنة (870هـ/1466م) وتمكن من الاستيلاء على منطقة الأوراس وحصونها، ثم واصل سيره نحو تلمسان عبر الهضاب العليا وبايعه سكانها وعندما وصل إلى ظاهر تلمسان عام (871هـ/1466م) اصطدم مع سكانها وتقاتلا معهم يوما كاملا، وتقدم حتى وصل إلى المنصورة وشدد الحصار عليها[1]،وعندئذ إلتجأ أعيان تلمسان كالعادة إلى الوسائل الدبلوماسية بإيعاز من الأمير الزياني، وتألف وفد للمقاومة تزعمه القاضي محمد بن أحمد العقباني وخرج إلى معسكر السلطاني صبيحة يوم السبت وطلب منه العفو عما بدر منهم ومن الأمير الزياني وسلموا له عقد البيعة الذي حرره فقبل سلطان تونس العرض، ورحل عن تلمسان ورجع إلى بلاده تونس التي وصل إليها سنة (871هـ/1467م)[2].

وهكذا يعد الفضل في كل هذه المفاوضات، وهذا الاتفاق إلى القاضي محمد بن أحمد بن قاسم العقباني الذي توفي بعد ذلك بعدة أشهر فقط وكان ذلك يوم 23 ذو الحجة عام (871هـ/1467م)، وكان على ما يبدو آخر نجم من نجوم أسرة العقباني وأعلامها الذين احتكروا منصب القضاء، عشرات السنين ولأجيال عديدة، ولم يحدثنا التاريخ بعد ذلك عن علم آخر ولكن من يدري لربما تظهر وثائق جديدة تكشف لنا جديدا عن هؤلاء المعروفين وعن الذين لم نعرفهم أصلا.

4- القضاء :

يعد منصب القضاء من الوظائف الحساسة في العالم الإسلامي ذلك لأنها عماد وقوام الحكم، وهو من الوظائف التي تهدف إلى الفصل في النزاعات والخصومات بين الناس وذلك طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة، وللإشارة، فعند

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 101.

[2] نفسه، ص 101-102.

اطلاعنا وتفحصنا لكتب التاريخ بشكل عام وكتب السير والتراجم يظهر لنا أن خطة القضاء كانت موجودة بكل حواضر العالم الإسلامي مغربا ومشرقا وعلى رأسها حاضرة المغرب الأدنى تونس، وغالبا ما كان القاضي يعين من طرف السلطان، وذلك لأهمية المنصب من جهة وخطورته من جهة أخرى[1] .

ونظرا لخطورة هذا المنصب، فإن الكثير من فقهاء القيروان بالمغرب الأدنى كانوا يمتنعون على تقلده ، وإذا ما تولى البعض منهم نراهم يعمدون إلى جعل شروط يبدو من خلالها إقرار مبدأ الفصل بين سلطة القضاء وسلطة الأمير[2]،وللتملص من تقلد القضاء نرى البعض منهم كانوا يستندون ببعض العلل كالتظاهر بالمرض، أو عدم صلاحيتهم للقضاء، وعدم القدرة على تحمل طاقته، وتكون حيلة الأمير أو الوالي في الإرغام على القبول باليمين في تنفيذ الحق أو التهديد بالقتل كالإلقاء من سقف الجامع أو بإحضار الفقيه لدى الأمير ولو في ثوب بيته والسيف بين يدي الأمير إرهابا في القبول[3] .

ومع ذلك وبالرغم من خطورته هذه، إلا أن هذا لم يقف عائقا أمام علماء المغرب الأوسط في تقلد هذا المنصب بالمغرب الأدنى نظرا لما تميزوا به من رجاجة في العقل ورصيد علمي غزير وتفوق وشجاعة. وإذا أردنا التعرف على أشهر علماء المغرب الأوسط الذين تقلدوا خطى القضاء بالمغرب الأدنى نذكر:

---

[1] محمد بن معمر، تاريخ القضاء الإسلامي ببلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين ، رسالة ماجستير، جامعة وهران 1992–1993، ص،ص 116–117–118.

[2] أبي عبد الله التميمي القيرواني، تحقيق أنس ابن الشيخ محمد الهادي العلاني ،المرجع السابق، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ، ط1، قرطاج 2004، ص 19.

[3] أبي عبد الله التميمي القيرواني، نفسه ، ص 19.

أبو مهدي عيسى الغبريني : (ت813هـ/1410م) من أهل بجاية، ينسب إلى بني غبرين إحدى بطون قبيلة زواوة الأمازيغية بالمغرب الأوسط[1]، يعد واحد من كبار فقهاء عصره، قاض وعالم بالحديث، نشأ بتونس، أخذ عن جملة من العلماء منهم أبو زيد الثعالبي وابن ناجي وأحمد القلشاني وعمر القلشاني والبسيلي، وابن عقيبة والزنديوي وأبو القاسم القسنطيني وأبو الحسن ابن عصفور وخلائق غالبهم تلاميذ ابن عرفة[2].

إن قائمة هؤلاء التلاميذ الذين درسوا على مترجمنا تثبت مدى سعة علمه ومدى تفوقه على أهل زمانه من شيوخ عصره، وقد ساعده نبوغه هذا على أن يتولى قضاء تونس وإمامة جامع الزيتونة[3]، وفي هذا الشأن قال أبو العباس القلشاني:"استناب ابن عرفة وقت سفره للحج تلميذه القاضي أبا مهدي الغبريني على إمامة جامع الزيتونة، وهو المشار إليه في كلامه، وتلميذه حينئذ قاضي الجماعة، "[4].

محمد بن قاسم بن عبد الله الأنصاري أبو عبد الله الرصاع: (ت 894هـ/1489م) يعد من أشهر علماء الجزائر في تونس خلال القرن التاسع الهجري(/15م)، قاض ونحوي وخطيب عارف بالحديث، وهو من كبار فقهاء المالكية ولد الرصاع بتلمسان، وبها تلقى تعليمه وأخذ عن شيوخها، غير أنه نشأ في تونس التي استقر بها نهائيا وكان ذلك حوالي (831هـ/1427م) ونظرا لمستواه الثقافي الجيد وغزارة علمه، بتولى خطة قاضي الجماعة بها، ثم اقتصر في آخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة والتدريس به حيث تصدر للإفتاء وإقراء الفقه وأصول الدين والمنطق العربية وغيرها من علوم عصره وقد استمر هكذا

---

[1] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص-ص 196-445.

[2] التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص 296، محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص 243.

[3] عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية، المرجع السابق، ص 296.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 296.

إلى أن وافته المنية بتونس[1]،وعليه يمكن القول بأن سر نجاح علماء المغرب الأوسط في تولي منصب القضاء يرجع بالدرجة الأولى إلى التمكن العلمي الذي تميزوا به إلى جانب ما تميزوا به من صبر وذكاء ولباقة في عرض الحجج والمناقشة.

ومنه نستنتج بأن انشغالات علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى لم تكن في مجال واحد، وإنما كانت متنوعة، حيث نجد منهم من انشغل بالتحصيل، وبالتالي تطوير معارفه العلمية وتكوين شخصيته، ومنهم من انصب اهتمامه على تولي المناصب الرفيعة، وبالتالي أفادوا، ومنهم من عكف على الإنشغالين، وبالتالي أفادوا واستفادوا.

---

[1] عادل نوهيض، المرجع السابق،ص 135 عبد الحميد حاجيات،المرجع السابق،ص456.

الفصل الرابع

نماذج من الإنتاج العلمي لعلماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى ما بين القرن السابع والتاسع الهجريين/الثالث عشر- الخامس عشر الميلاديين

أولاً: علماء المغرب الأوسط وظاهرة التأليف

1- الأسباب السياسية لظاهرة التقصير في ميدان التأليف

2- الأسباب الشخصية أو الذاتية التي ادت إلى التقصير في ميدان التأليف

ثانياً: الإنتاج العلمي لبعض علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى

1- في مجال العلوم النقلية

2- في مجال العلوم العقلية.

قدم علماء المغرب الأوسط بالمغرب لأدنى، إنتاجا علميا ثريا و حافلا بشتى العلوم والمعارف التي كان لها إسهام الكبير في تقدمه و تقدم الأمة الإسلامية و ازدهارها على مدى قرون عديدة، وقد حمل مشعل هذا العطاء و الإنتاج العلمي كوكبة من العلماء والمفكرين الذين كرسوا كل جهودهم للدراسة الجادة و البحث العلمي في كل مجالات العلوم والفنون وأسهموا من خلالها في دفع الحركة العلمية و النهضة الفكرية في كل الاتجاهات. ببلاد المغرب الإسلامي.

وحتّى نبرز جهود علماء المغرب الأوسط وننشر تراثهم، لأنه تعبير صادق عن ثقافة المجتمع، بكل ما تحتويه من كثرة أو قلة، وضعف أو قوة و تقليد أو اجتهاد، كان لابد لنا في هذا الفصل الرابع والأخير من هذه الدراسة أن نقف عند ذلك الإنتاج العلمي الذي عرف به علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى والذين ساهموا من خلاله في إثراء الحركة العلمية بدول المغرب الإسلامي بشكل عام و ليس فقط الحركة العلمية بالمغرب الأدنى.

اولاً: علماء المغرب الأوسط وظاهرة التأليف:

عندما نتصفح كتب السير والتراجم، نقف على حقيقتين و هما:

أولا: ليس كل رحالة المغرب الأوسط الذين حلوا بالمغرب الأدنى خلال الفترة الممتدة ما بين القرن السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، كان هدفهم الدراسة والتحصيل لاستكمال تكوينهم المعرفي الذي بدؤه في المغرب الأوسط، وإنما هناك نخبة منهم اتجهت نحو ميدان الكتابة والتأليف نظرا لما كانت تتمتع به من رصيد علمي وثقافي غزير.

ثانيا: رغم وصول علماء المغرب الأوسط لهذه المراتب الراقية في العلم وهذه المكانة العلمية المتميزة وهذا الاجتهاد، إلا أنهم لم يتركوا لنا ثمرات تلك الجهود الفذة في شكل مؤلفات، فبالرغم من أنهم قد امتازوا بالجد والتفوق في العلوم، فإنهم قد قصروا تقصيرا كبيرا في ميدان التأليف[1]وخير دليل على ذلك ابني الإمام الذين وصلا مرتبة عالية قلما نجد لها نظيرا في المشرق والمغرب الإسلامي ، وهما العالمان اللذان خصهما العباس الونشريسي بقوله:"وأما ابنا الإمام فأعلاهم طبقة الشيخان الراسخان الشامخان العالمان المفتيان الشقيقان العلاماتان آخر صدور المغرب بشهادة أهل الإنصاف شرقا وغربا ابو زيد العلامة النظار آخر أهل النظر وجامع أشتات المعارف ابو موسى ابن الإمام"[2] يكفيهما في هذا المقام أنهما ناظر تقي الدين بن عماد بن تيمية[3] وظهر وتفوق عليه ، ومع ذلك

[1] عبد الجليل قريان: التعليم بتلمسان المرجع السابق، ص356.

[2] الحفناوي، المرجع السابق،ج2،ص 16.

[3] ابن تيمية بن عماد: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن الله بن تيمية الحراني، المجتهد، توفي سنة 728هـ/1327م)، ينظر ابن حجر :الدرر الكامنة، ج1، ص 88. ابن ثغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق إبراهيم علي طرخان، المؤسسة المصرية العامة للتأليف=

فقد بقيت مؤلفات الفقيه ابن تيمية الكثيرة مبثوثة في العالم الإسلامي كله، في الوقت الذي لا نكاد نسمع عنهم ولا عما خلفوه من مؤلفات شيئا[1]،حيث لم تحدثنا المصادر عن هذه التآليف ماعدا ابن فرحون الذي ذكر أن لهما تصانيف عديدة دون ان يذكر أسماؤها، ولعل سبب ذلك يعود إلى كثرة أسفارهما من جهة أي عامل اللاإستقرار، واستنفاذ كل أوقاتهما في التعليم والتدريس والوعظ والإرشاد من جهة أخرى، وقد أجمع علماء وكتاب التراجم والسير على أن ابنا الإمام كان على درجة عالية من العلم والثقافة وسعة الاطلاع ،وقد افاد بعلومهما أجيالا من الطلاب والعلماء في المغرب والمشرق الإسلاميين، واشتهرا بسمعتهما في أصقاع المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس وبلاد المشرق"[2] .

وكذلك الشأن بالنسبة لأبي الفضل المشدالي(ت731هـ/1331م) الذي عاصره السخاوي وحضر دروسه وأكثر في مدحه، لكن وللأسف لم يذكر لنا المؤرخون تأليفه بمرور الزمن، في الوقت الذي بقيت كتب السخاوي[3] وآثاره العلمية تشع عبر القرون[4] وإلى وقتنا هذا.

=والترجمة والطباعة، بلا تاريخ، ج9، ص 271. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب. دار المعارف الإسلامية، ج1، ص109.

[1] يشير التنبكتي أن لأبي زيد بن الإمام كتاب واحد وهو عبارة عن شرح على ابن الحاجب الفري ، ينظر نيل الإبتهاج، ص 247.

[2] الحفناوي،المرجع السابق،ص17.

[3] ينظر ترجمته في السخاوي: الضوء اللامع، ج8، ص 2. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،المصدر السابق، ج8، ص15.

[4] قدرت مؤلفات السخاوي ب 270 مؤلفا. ينظر حول ذلك مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيد وأحمد الشقيرات، مؤلفات السخاوي، دار ابن حزم، ط1، 1998، ص52.

1- الأسباب السياسية لظاهرة التقصير في ميدان التأليف

أن المشرق الإسلامي كان نوعا ما في استقرار سياسي وأمني، وهو ما أتاح لعلمائه الفرصة الكافية للتأليف والنسخ وانتشار المؤلفات، وفي المقابل فإن المغرب الإسلامي كان على عكس ذلك، وهو ما دفع بعلمائه في هذه الظروف اللاأمنية بسبب الفتن والحروب المستمرة إلى الاكتفاء بما حصلوه من معارف وعلوم دون تدوينها في الكتب[1].

2-تأثير الحروب في ضياع وفقدان الكثير من المؤلفات المغربية كما هو الشأن بالنسبة لكتاب"شرح التلقين" لإبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي الذي يقع في عشرة أسفار والذي ضاع في حصار تلمسان[2].

2-الأسباب الشخصية أو الذاتية التي أدت إلى التقصير في ميدان التأليف

أ. طبيعة أهل المغرب الإسلامي المبنية أو القائمة على الثقافية الشفوية، وعدم جنوحهم نحو الكتابة وتدوين الأفكار في حالات قليلة جدا[3].

ب.انتشار المؤلفات المشرقية في المغرب، واهتمام علماء المغرب بالنقل عن العلماء القدامى وخاصة المشارقة، ساهم في ابتعاد العلماء عن عملية التأليف[4].

خاصة وأن الطلبة العلماء ظلت هممهم متعلقة بالمنقول عن العلماء القدامى ومعظمهم من المشرق[5]

---

[1] عبد الجليل قريان،التعليم بتلمسان، المرجع السابق، ص 358.

[2] ابن مرزوق: المجموع، ميكرو فيلم، الخزانة العامة، الرباط، رقم: 20. ورقة 77-86 وجه، التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص 38.ابن مريم: المصدر السابق، ص 67.

[3] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 358.

[4] ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق ص 482.

[5] عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان، المرجع السابق، ص 358.

ج. إهمال أهل البلاد للعلماء جعلهم يكتفون بما جادت به قرائحهم دون تدوينها في مؤلفات كثيرة، وخير دليل على ذلك الحادثة التي تعرض لها ابن خميس.[1]

ومع ذلك تبقى عمليات البحث في تراث علماءنا الأجداد والأسلاف لازمة علينا، حتى لا يبقى إنتاجهم حبيس النسيان واللامبالاة.

ثانياً: نماذج من علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى وانتاجهم العلمي

1- الانتاج العلمي في مجال العلوم النقلية

ابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م):ولد ابن مرزوق الخطيب بتلمسان سنة (711هـ/1311م)ونشأ وتعلم على يد شيوخها وفي مقدمتهم أفراد أسرته المزارقة التلمسانيين الأمر الذي أكسبه ثقافة دينية ولغوية متينة، كما عرف بكثرة زيارته لحواضر العلم الإسلامية وإلتقاءه بكبار شيوخها في سبيل الحصول على العلم والتحصيل والمعرفة[2].

وفي سنة (764هـ/1362م)حل بتونس، فلقي الترحاب والحفاوة من السلطان أبي إسحاق ووزيره أبي محمد بن تافراجين ، وقد تولى بها الخطابة بجامع الموحدين، كما قام بالتدريس بمدرسة الشماعين وظل محافظا على مكانته في عهد السلطان ابو البقاء خالد، ولما حاصر أبو العباس الحفصي، تونس واستولى عليها (772هـ/1370) عزل ابن مرزوق من الخطابة انتقاما منه، فكان لذلك وقع مؤلم عليه، فعزم على السفر إلى المشرق ودخل الإسكندرية (773هـ/1371م)، واستقر بالقاهرة حيث' لقي الحفاوة الكبيرة، وقلد مناصب

---

[1] عبد الجليل قريان، ، المرجع السابق، ، ص 358.

[2] ابن مرزوق الخطيب: المسند الصحيح الحسن،المصدر السابق، ص 22، ناصر سعيدوني: المرجع السابق، ص 190، لخضر عبدلي: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد ، ص 271.

علمية رفيعة وظل معززا مكرما عند الخاصة والعامة إلى أن وافه الأجل سنة (781هـ/1379م)[1].

-**إنتاجه العلمي (أهم مؤلفاته)** لم يقتصر عمل ابن مرزوق على تولي وظيفة الخطابة والتدريس وإنما اعتكف على وظيفة التأليف كذلك، وفي هذا الإطار، فقد ترك لنا العديد من التصانيف أغلبها شروح وتقاييد، بعضها قد يكون فقد والبعض ما يزال موجودا ومن ذلك نذكر:

-في علم الفقه

– برج الخفاء في شرح الشفاء، هذا العمل هو شرح لكتاب الشفا للقاضي عياض، المتوفي في (544هـ/1149م)[2] استبحر فيه، وكان الاقبال عليه كبيرا من أهل العدوتين بنظم مقطوعات تتضمن الثناء على الكتاب المذكور، والإطراء على مؤلفه ومنهم لسان الدين ابن الخطيب الذي قال فيه.

كفـــاكَ إعجـــازًا كتـــابَ الشِــفَا   والصـــبحُ لا ينكـــرُ عنـــدَ الوضـــوحِ
يـــا خيــرَ مشــروحٍ وفــيّ واكتفَــى   منـــهُ ابـــن مـــرزوقْ بخيـــرِ الشـــروحِ

– شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق بن عربي الإشبيلي[3]، قالت عنه سلوى الزاهري: ما رأيت مثله في التحصيل والنقل والفائدة .[1]

[1] لخضر عبدلي: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد المرجع السابق، ص 193.
[2] نصر الدين بن داوود ،الحياة الثقافية ،المرجع السابق،ص48.
[3] هو الفقيه الجليل المحدث الحافظ العابد الزاهد القاضي الخطيب أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي، له تآليف جليلة منها الأحكام الكبرى في الحديث،والأحكام الصغرى، ينظر الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص ص 18–19

– إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب، وهو شرح لكتاب ابن الحاجب الفرعي في علم الفقه الإسلامي .

–إيضاح المراشد في أجوبة أبي راشد وهو في حكم المفقود.

–"أرجوزة هي ألفية في محاذاة الشاطبية"

-إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم.

في علم التصوف

مجموعة خطب وأشعار وضعت في شكل خطب مرتبة على حروف المعجم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومنها:

يانسيـــــــــمَ السحــــــــــرِ	بــــــــالله بلـــــــغْ خبـــــــرِي
ان أتــــــتْ يومًــــا بـــــالحمَى	جـــــــررتُ فضـــــــلَ المئـــــــزدِ
ثـــم حثثـــــتُ الخطـــوَ مـــن	فـــــــوقَ الكثيـــــــرِ الأعفـــــــرِ
مســــــتِقرا فـــــي عيشــــــهِ	مخفــــــــــي وطءَ المطـــــــــرِ[2]

هذا بالإضافة إلى نظم كثير منهم القصيدة التي ألفها في سجنه في تلمسان قائلا فيها:

رفعـــــتُ أمـــــوري لبـــــاري النســـمِ	وموجودُنــــا بعـــــدَ سَـــبقِ العـــدمِ[3]

– جنى الجنتين في فضل الليلتين في فضائل ليلة القدر وليلة المولد النبوي الشريف.[1]هو كتاب جليل ينبأ عن الاطلاع الواسع الذي يتمتع به ابن مرزوق[2]وبقي منه أجزاء يذكرها ابن عمار في شرح تفضيل ليلة المولد عن ليلة القدر.[3]

---

[1]الغبريني، المصدر السابق، ص ص 18–19.

[2]ابن المرزوق، المناقب، المصدر السابق،ص315.

[3]ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص53.

– الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء، وهو كتاب له صلة بكتابه السابق إيضاح المراشد،وهي الأربعين في فضل الصلاة على سيدنا محمد،والأربعين في فضل العلم ،والأربعين عن الصحاح أملاها بعد صلاة الجمعة،وقبل العصر وغير ذلك[4]

– كتاب في الصبر.

في علم الحديث:

_وإزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب وهو شرح لفروع ابن الحاجب[5]

– شرح الصحيح البخاري في الحديث النبوي الشريف.

_شرح الأحكام الصغرى لمؤلفه عبد الحق الإشبيلي وهو خاص بعلوم الحديث[6]. قام بشرحه ابن مرزوق

في علم اللغة والأدب:

–" ألفية العراقي

–" المقنع الشافي" وهو أرجوزة في 1700 بيتا

في علم الفهارس والسير والتراجم

---

[1]ابن المرزوق، المناقب، المصدر السابق،ص134.

[2]نصر الدين بن داوود، المرجع السابق،ص66.

[3]ابن مرزوق، المسند، المصدرالسابق، ص52.

[4]ابن مرزوق، المناقب، المصدرالسابق، ص314.

[5] ينظر حوله ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، المصدر السابق،ج5، ص234.

[6] التنبكتي، النيل ، المصدر السابق ،ص455، المقري نفح الطيب، م5، ص418، ابن مريم، المصدر السابق ، 189، الزركلي، الأعلام، المصدر السابق ،ج6، ص226.

– عجالة المستوفر المستجار في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجار من أئمة المغرب والشام والحجاز، هو عبارة عن فهرس لشخصيات علمية من الرجال والنساء الذين استمع إليهم ابن مرزوق، وهي فهرسة ، وهو متلاشى يكاد لا يقرأ[1]، وبقي من هذا العمل بعض النماذج التي اقتبسها ابن الخطيب، وابن فرحون، وابن حجر، والمقري،وابن عمار، و للإشارة يوجد هذا الكتاب مخطوطا في الرباط[2].

–المجموع: يعد مصدرا بالغ الأهمية في التعريف بأسرته من فقهاء تلمسان، والده وجده لأمه أبي اسحاق التنيسي وشقيقه ابي الحس التنيسي، وختمه بالتعريف بنفسه[3].

وهذا المجموع بدون عنوان ، ولا مقدمة يتخلله بترا في صفحاته عدد أوراقه96 ورقة.

كتب بخط مغربي حسن.

عدد الأسطر به أربعة وعشرين سطرا.

عدد الكلمات مابين 12 و14 كلمة

حجمه20سم 28.05x سم

تاريخ تأليفه في أوائل سنة (763هـ/1361م) ،حيث كان مسجونا بفاس،نسخ للمرة الأولى في عشرين جمادى الثانية (870هـ/1465م) ،ليوسف بن عبد الرحمن الهبري ونسخ للمرة الثانية في 08 شعبان (1003هـ/1549م) علي يد عبد الله أحمد بن أحمد التيجاني[4].

يتضمن المجموع اربع ابواب وخاتمة .

---

[1]نصر الدين بن داوود، المرجع السابق، ص66.

[2] ابن مرزوق الخطيب، المسند، المصدر السابق، ص 23.

[3]صارة خطيف، المرجع السابق، ص38.

[4]نصر الدين بن داوود ، المرجع السابق، ص ص 64–65.

الباب الأول: في النسب والقبيل الذي يرجع اليه ،و فيه فصلين

الباب الثاني: وهو ترجمة لحياة جده لأبيه محمد بن مرزوق (681هـ/1282م)، وفيه عشرين فصلا.

الباب الثالث: ويتناول فيه الحديث عن أبيه أحمد ،ويضم 18 فصلا .

الباب الرابع: ويتناول الحديث عن جده لأمه إبراهيم بن يخلف توفي (680هـ/1281م)،ويضم 18 فصلا.

خاتمة: خصصها للترجمة الذاتية من مولده إلى غاية (763هـ/1361م).

غير أن من أشهر وأهم المؤلفات التي عرف بها يبقى مؤلفه أو كتابه "المسند الصحيح الحسن في مأثر مولانا أبي الحسن" ،وقد عد من خلاله من أبرز أعلام التراث التاريخي بالمغرب الإسلامي، وهو يشمل عرض مفصل لحياة أبي الحسن المريني وإنجازاته العمرانية وتشجيعه للعلماء والأدباء وغير ذلك.

وهو كتاب نفيس في تاريخ المغربين الأدنى والأقصى، وتاريخ السلطان المريني أبي الحسن والأحداث التي حصلت خلال هذه الفترة، وفيه جانب مهم عن حياته السياسية والدينية والثقافية[1]

وللإشارة، فقد وضع ابن مرزوق كتابه المسند بتونس بعد عشرين سنة من وفاة السلطان أبي الحسن، فكان تعبيرا عن وفائه لولي نعمته وعملا موجها لكسب رضا البلاط

---

[1]يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، المرجع السابق، ج2، ص 60.

المريني بفاس، وأملا في استرجاع مكانته المعهودة وأملاكه المسلوبة، وهذا ما جعله يسترسل في إطراء السلطان أبي الحسن ويبالغ في مدحه كتمهيد لمقدمه لفاس[1].

اعتمد العديد من المؤرخين على كتاب المسند كمرجع لأحداث عصر أبي الحسن، فرجع إليه المقري في كتابه نفح الطيب، والسلاوي في الاستقصاء، كما اعتمد عليه ليفي بروفنسال(Levi provençal) وبلاشير فيما كتبه عن تاريخ المغرب المريني[2].

يتوفر كتاب المسند على نسختين مخطوطتين إحداهما بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا والأخرى بالخزانة العامة بالرباط، جلبت من جنوب المغرب، كما نال اهتمام الباحثين، إذ ترجم ليفي بروفنسال مقتطفات منه إلى الفرنسية ونشرها في مجلة هيسبرس سنة 1925 وتخصصت الباحثة الأستاذة ماريا خيسوس في دراسته فترجمته إلى الإسبانية، ووضعت مقدمة له بمدريد 1973، ثم عملت على تحقيق نسخته العربية التي طبعت بالجزائر سنة 1981م[3].

وعليه يمكن القول بأن مسند ابن مرزوق بالمقارنة مع المصادر الأخرى، فهو يعكس البنى العقائدية لتلك الفترة ومفاهيمها الروحية وعقليتها ونمطها الحضاري.

-**ابن أبي عمار المسيلي**(789هـ/1390م)**:** هو أحمد بن محمد فقيه من أهل مدينة المسيلة بالمغرب الأوسط، وإليها كان ينسب، وربما قيل المسيلي بالباء تصحيفا.[4]

---

[1] يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،المرجع السابق،ج2، ص 60.

[2] ناصر سعيدوني: المرجع السابق، ص 196، كذلك:

Hadj sadok (m) ibn marzuk .in encyclopédie de l’eslam ; nourelle edition ; T. 3. P 890.892. l’eri prorençal (E) un nouveau teste d’istoire merinide de musnad d’ibn marzuk. In hesperis/ 1925/ p 182.

[3] ابن مرزوق الخطيب، المسند، المصدر السابق، ص ص 60-61.

[4] نفسه، ص99.

رحل عن بلده إلى تونس، فأخذ عن عدد من كبار الفقهاء كعبد الرحمن ابن خلدون ومحمد ابن عرفة الورغمي، وعيسى بن أحمد الغبريني وأحمد ابن القصار الآزدي،وكان من كبار فقهاء المذهب المالكي في وقته.

انتاجه العلمي(اهم مؤلفاته):من المجالات التي خصها بالتصنيف نذكر:

علم التفسير من أهم مؤلفاته التي عرف بها نذكر تفسيره الجليل للقرآن الكريم وكان قد قيده عن الإمام ابن عرفة، وهو مؤلف فيه فوائد كثيرة وزوائد ونكت[1]، وقد وقع له فيه قصة، وذلك أنه لما ألفه سمع بذلك الأمير الفقيه الحسين ابن السلطان أبي العباس الحفصي، فراسله في ذلك وطلبه منه فامتنع وماطله أياما، ثم أرسل إليه وأمر رسله أن لا يفارقوه حتى يسلمه لهم، فلما رأى الشيخ صاحب الترجمة الجد في الأمر أخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف، ودفع لهم الباقي، فمشوا به ثم مات ومات الأمير أيضا، وبيع التقيد في تركته، فسافر به مشتريه إلى بلاد السودان، فبقي أهل تونس لا شعور ولا علاقة لهم به، فلذلك كان أصل نسخه من نسخة السودان، ومن هناك انتشر ، وقد كان الشيخ لما طولب به اختصر منه تقيدا صغيرا جدا وهو موجود بيد الناس[2].

ابن مرزوق الحفيد: (ت 842هـ/1439م)

انتاجه العلمي (أهم مؤلفاته):

ولم يقتصر ابن مرزوق الحفيد في مشواره العلمي على التدريس وفقط، وإنما في تونس، خاض معترك الكتابة والتأليف وترك لنا قائمة طويلة من الكتب والمؤلفات في مختلف

[1] التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق ، ص 99. عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج4، ص 403.

[2] التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق ، ص 100

المعارف الإسلامية، تزيد عن أربعين مؤلفا[1] بعضها طبع وبعضها ما يزال مخطوطا والبعض موجود والبعض الآخر اندثر بفعل عوامل الزمن وعن أشهر مؤلفاته.

في علم الفقه:

له تلك المؤلفات التي شملت تلك الأسئلة التي عرف بها وألفها نتيجة تلك الأسئلة التي كانت ترد عليه من علماء عصره وعلى رأسهم علماء المغرب الأدنى وكان قد أجاب عنها نذكر منها: كتابه المسمى "اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة" الذي كان عبارة عن أجوبة لمسائل علمية في الفقه والتفسير وردت عليه من عالم قفصة الشيخ أبو يحيى ابن عقيبة[2] وكذلك مؤلفه الآخر الذي أسماه "المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج" وهو كذلك كتاب جاء في شكل أجوبة على الأسئلة التي وردت عليه من الشيخ أبو القاسم ابن سراج الغرناطي في النحو والمنطق[3].

-مختصر الحاوي في الفتاوي" لابن عبد البر التونسي.

في علم الحديث: له

-"شرح في اللغة والأدب في علم الحديث علي ابن الحاجب"

-"شرح على التسهيل"

- **في علم التصوف:**

---

[1]التنبكتي، نيل الانتهاج ،المصدر السابق، ص 506،.

[2] محمد الفاضل بن عاشور ،أعلام الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص 97.

[3] نفسه، ص 97.

- النصح الخالص في الرد على المدعي رتبة الكمال للناقص". في سبعة كراريس، رد به على فتوى الإمام قاسم العقباني بإصابة بعض أعمال وأقوال صدرت عن بعض المتصوفة، التونسين.

- و"نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين"

في اللغة والأدب:

-"المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية"[1] في العروض والقوافي

-ثلاثة شروح على البردة الأكبر المسمى "إظهار صدق المودة في شرح البردة" ضمنه سبعة فنون في كل بيت و كتاب أدبي يدرج ضمن اللغة "الأوسط" و"الأصغر" المسمى الإستيعاب لما فيه من البيان والإعراب"[2] .

و"المفاتيح القرطاسية في شرح السقراطسية" و"الروضة" وجز في علم الحديث ومختصر فيه ألفية العراقي و"المقنع الشافي" وهو أرجوزة في الميقات في 1700 بيتا و"أرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية" و"أرجوزة" نظم بها تلخيص ابن البناء و"أرجوزة" نظم بها جمل الخونجي، و"نهاية الأمل في شرح الجمل" في المنطق، و"أرجوزة" اختصر بها ألفية ابن مالك.

وهكذا تأكدت سمعته الذائعة بالكتب القيمة التي صدرت عنه، فطافت في المشارق والمغارب وذلك من خلال تلك الرسائل المحررة والفتاوى المدققة التي حفلت بها كتب الفتاوى والنوازل وقد تضمن كتاب المعيار للونشريسي[1]، كثيرا منها .

---

[1] الخزرجية نسبة لمحمد بن أبي زيد زيد الخزرجي وهي مساهمة أدبية عن رسالة في علم العروض شرحها من قبل أحمد بن قنفد القسطيني سماها بسط الرموز الخفية في عروض الخزرجية، ينظر، عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 91، جيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر الثقافي، ح2، ص215.

[2] التنبكتي، المصدر السابق ص 521، عادل نويهض، المرجع السابق ص 291.

وعليه يمكننا القول أن ابن مرزوق الحفيد كان بحرا من العلوم والمعارف الإسلامية المتنوعة وشيخا وأستاذا لجيل بحاله من الشيوخ والعلماء وطلاب العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي الواسع شرقا وغربا، وكما كان مكتبة بحالها بما خلفه لنا من كتب ودراسات مكثفة وغزيرة جعلت ابن مرزوق الحفيد يوصف بالاجتهاد لأنه جرى في مجال الاختيار، وتدقيق الأنظار مع أئمة الفقه المتقدمين، بل والمتأخرين.

النقاوسي: (765هـ/1364م) هو أحمد بن العباس ،من فقهاء المالكية، حافظ، نحوي، وأديب، له مشاركة في علوم التفسير والحديث واللغة والمنطق، أخذ عن أبي علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي (631–731هـ/1233–1330) وابن راشد القفصي، رحل من تلمسان قبل الحصار.

وللإشارة ،فقد استقر بتونس واشتغل بالتدريس، لقيه أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي الأندلسي قبل سنة (765هـ/1363م) وذكره في رحلته المسماة "تاج المفرق في تحليه أهل المشرق" فقال: "كان حافظا مجيدا، وعارفا مديدا ومدرسا مفيدا، رحل من تلمسان قبل الحصار، فدخل تونس وهو الآن أحد مدرسيها الإمام وأوحد من برع في علمي البيان والكلام، وأوجد الناس للدار إذا خاض بحر العلوم بسوابح الأقلام، أديب العصر ونحويه وبيانيه وحكميه ومنطقيه[2].

انتاجه العلمي(أهم مؤلفاته):

من أشهر تأليفه التي قراها عليه البلوي بالمغرب الأدنى تأليفه المسمى "الروض الأريض في علم القريض"، وتأليف في الأدب، و "حديقة الناظر في تلخيص المثل السائر"

---

[1] التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص 513، عادل نويهض، المرجع السابق ص 290.

[2] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 332.

في البيان و"شرح المصباح" لابن مالك و"إيضاح السبيل إلى القصد الجليل في علم الخليل" شرح على عروض ابن الحاجب، وله تآليف غيرها عرف قدرها واشتهر ذكرها[1].

- أبو العباس الغبريني البجائي (ت704هـ/1304م):

يعد الشيخ أبو العباس بن أحمد الغبريني من أعلام مدينة بجاية في القرن السابع الهجري، (13م) و إن أدرك أربع سنوات من القرن الثامن الهجري / (14 م)، وبذلك يكون قد عاش بين سنتي (644 – 704 هـ / 1246 – 1304 م)، فيبدو قد ولد قبل وفاة مؤسس الدولة أبو زكرياء (628 – 647 هـ / 1227 – 1249 م) بثلاث سنوات، و توفي قبل وفاة السلطان أبو عبد الله المنتصر بالله (694 – 209 هـ / 1294 – 1309 م) بخمس سنوات، و بهذا يكون قد عاصر سبعة من حكام الدولة الحفصية بما فيهم الداعي، قادوا الدولة في ظروف متباينة في أوضاعها السياسية والاجتماعية و هم على التوالي:

1. أبو زكرياء يحي بن أبي محمد بن عبد الواحد الحفصي (625هـ – 647 هـ / 1227م – 1249 م).

2. أبو عبد الله محمد المنتصر (647 هـ– 675 هـ / 1249م – 1276 م).

3. أبو زكرياء يحي الواثق (675هـ– 678 هـ / 1276م – 1279 م).

4. أبو إسحاق (678هـ – 682 هـ / 1279 – 1283 م).

5. أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي الداعي (681هـ – 682 هـ / 1282م – 1283 م).

6. أبو حفص عمر (683هـ – 694 هـ / 1284م – 1294 م).

7. أبو عبد الله محمد المنتصر بالله (694هـ – 709 هـ / 1294م – 1309 م

[1] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق ، ص 332.

و يذكر القاضي النباهي أن أبا العباس حين تولى القضاء كان في حكمه شديدا مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه، و حفظ لفروعه، و قيام على النوازل، و تحقيق للمسائل"[1]،و قد كان للوظيف تأثير على سلوكه،إذ ذكر القاضي النباهي أنه عندما "ولى خطة القضاء،ترك حضور الولائم، و دخول الحمّام و سلك طريق اليأس من مداخلة الناس على الطريقة الصوفية"[2].

و قد ورد في عنوان الدراية إشارات تدل على ميل أبو العباس لسلوك التصوف السني، و نلمس ذلك في ترجمته لأبي مدين[3]، و موقف أبي علي المسيلي[4] و أبي محمد عبد الحق الإشبيلي[5] و غيرهم من المتصوفة، و في الآن نفسه كان مشددا في التزام الأحكام الشرعية منكرا على كل من يخالفها من أدعياء التصوف[6].

وقد أشار إبن خلدون إلى أن أبا العباس حصلت له مكانة كائنة من جهة للسلطان فراح ضحية مؤامرة أحيكت له من طرف بطانة أمير بجاية أبو البقاء خالد[7]، فذكر أن هذه البطانة وجدت لسبيل في الغبريني أثناء غيابه في سفارة أرسله فيها الأمير الحفصي خالد بن يحي حاكم قسنطينة صحبة شيخ القرابة أبي زكرياء الحفصي إلى تونس لتأكيد المصالحة و الوفاق مع صاحبها السلطان محمد أبي عصيدة (694 – 709 ه)، فنجح حساده في بجاية في تحويل الأمير عنه و إغرائه بقتله بتهم باطلة،

---

[1] القاضي النباهي، تاريخ قضاة الأندلس وسماه كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، 1980، ص 132.

[2] النبهاني، المراقبة العليا، المصدر السابق ، ص 132.

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص 55 و ما بعدها.

[4] المصدر نفسه، ص 66 و ما بعدها.

[5] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق ، ص 77 و ما بعدها.

[6] المصدر نفسه، ص 121.

[7] ابن قنفذ، الفارسية، 56 – 58 الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 36.

و تولى هذه المؤامرة كبير ضباط القصر "ظافر الكبير" فتحول عنه السلطان وأضمر له شرا و عزم على قتله عند عودته من سفارته، و عندما عاد الغبريني منمهمته إلى بجاية ألقى القبض عليه و نفذ أمر قتله بسجنه الضابط "منصور التركي" و كان ذلك سنة (704 هـ/ 1304 م)[1].

و يمكن تلخيص أسباب قتله استنادا إلى نص ابن خلدون إلى:

-اتهام خصوم أبو العباس من بطانة الأمير بزعامة "ظافر الكبير" بأنه غير مخلص لأمير بجاية ودولته السلطان أبي إسحاق لما لجأ إليهم في فراره من ثأر الداعي أحمد بن مرزوق الذي احتل تونس و بجاية و فر منه أبو إسحاق إلى بجاية ليكون عند ولده أبي فارس، فطارده الداعي و اعتراضه ولده أبو فارس فقاتله حتى قتل، و لما سمع أبو إسحاق بذلك فر من بجاية إلى تلمسان، و مر ببني غبرين فأملك هناك و سلم إلى الداعي فقتله سنة 682 هـ.

_إنساب إليه جملة من الجرائم منها إغراء بني غبرين قومه على السلطان أبي اسحاق لما لجأ إليهم في فراره ، من ثأر الداعي أحمد بن مرزوق الذي احتل تونس وبجاية وفر منه أبو اسحاق إلى بجاية ليكون عند ولده أبي فارس، وطارده الداعي واعترضه ولده أبو فارس فقاتله حتى قتل ولما سمع أبو اسحاق بذلك فر من بجاية إلى تلمسان ومر ببني غرين فأمسِك هناك وسلم إلى الداعي فقتله (682هـ/1283م).

هذان سببان تذرع بهما خصوم أبو العباس لاتهامه بالانحراف عن أمير بجاية و هذا خلاف ما ذهبت إليه بعض المصادر التي ذكرت بأنه توفي بالطاعون سنة

---

[1] ابن خلدون ، العبر، المصدر السابق، ج6، ص405، ابن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ص ص 135-136

(704هـ/1304م) [1] للالتباس بينه و بين أحد أفراد أسرته الذي قد يكون ابنه الذي يحمل نفس الاسم، والذي يكون قد هلك فعلا بالطاعون بعد عشرة سنوات من ذكر أبي العباس الغبريني.

وهكذا ، فقد عرف أبو العباس الغبريني بقوة شخصيته وسعة معارفه واهتمامه بالفقه وميله إلى التاريخ وتعاطيه الشعر، وتقلده لوظيفة القضاء ببجاية وفي غيرها[2]، فنال بذلك احتراما كبيرا في البلاط الحفصي لما قدمه إلى المغرب الأدنى[3]، كما عرف زيادة على ذلك بتعاطيه للكتابة والتأليف.

انتاجه العلمي(اهم مؤلفاته):

عند إمعان النظر في فهرسة مروياته و العلوم التي أخذها من شيوخه نراه مشاركا في علوم عدة من القرآن الكريم تفسيرا و قراءات ،و في الحديث الشريف وعلومه و الفقه و أصوله و العربية و فنونها من نحو و أدب، و أصول الدين و دلالته والتصوف و قواعده و الرقائق و المأثور من الأذكار، إضافة إلى المعرفة التاريخية والمنطق و الفلسفة[4] و مع ذلك فإن المصادر التي ترجمت له لا تذكر سوى مؤلف واحد له هو "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية" الذي اشتهر وذاع صيته به و بلغت شهرته أرجاء إفريقية و الأندلس و المشرق من خلاله و بهذا الكتاب الخالد حفظ لنا أسماء علماء بجاية و من ورد عليها من الأعلام، حيث أسدى خدمة جليلة لهؤلاء الأعلام و لمدينة

[1] من الذين ذهبوا إلى أن تاريخ وفاته كان سنة 714هـ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص 754 – 215.

[2] ابن مخلوف، شجرة النور، المصدر السابق، ص ص 154–155.

[3] الحفناوي، المرجع السابق، ص 23.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 128.

بجاية بخاصة، فعرف فيه بشيوخ العلم ورجال الفكر، والتصوف، و الأدب التي ازدانت بهم بجاية من القرن السابع الهجري (13 م).

أما تاريخ الشروع في تأليفه، فقد أشار إليه المؤلف في مقدمة كتابه حيث قال: "و إني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء بجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي مر خاتمتها ختمها الله بالخيرات و جعل ما بعدها مبداء للمسرات، أذكر منهم من اشتهر ذكره و نبل قدره و ظهرت جلالته وعرفت مرتبته في العالم و مكانته"[1].

يعتبر هذا الكتاب نافذة مشرقة عن تاريخ و حضارة بجاية ،أبرز فيه مؤلفه المكانة العلمية لهذه المدينة و دورها في استقطاب أهل العلم و طلبته و أهل التصّوف و مريديه والأدباء و رواده ،و الشعراء و عشاقه.

استهل الغبريني كتابه بترجمات إضافية لبعض علماء القرن السادس الهجري (13م) (كما أشرنا إلى ذلك)، ثم يستعرض تراجم علماء المائة السابعة الذين أخذ عنهم أو سمع بهم أو التقى و إياهم ببجاية مبتدئا بذكر شيوخه مستهلا بترجمة الشيخ أبي محمد عبد الحق بن ربيع (675 هـ/ 1276م) مختتما بذكر ما عرفه عن الشيخ أبي عبد الله المعروف بابن الجنات(610 هـ/ 1213م)[2] فكان مجمل عددهم مائة وشخصية واحدة، و كان عدد من ترجم له مائة و ثمانية من شيوخ علم و رجال فقه وتصوف وصلاح.

و من خلال هذا العدد الوفير من العلماء الذين ازدحمت بهم بجاية، نستطيع التعرف على ذلك النشاط الثقافي الخصب الذي برز في هذه المدينة، و عند التدقيق في تراجم هؤلاء الأعلام نلاحظ تنوع في النشاط الثقافي لهذه المدينة، الذي لا تخرج عن تلك

---

[1] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 55.

[2] نفسه، ص 302 و ما بعدها.

الاتجاهات السائدة في البلاد الإسلامية، وهي بلا شك تشكل الهيكل الأساسي للثقافة العربية الإسلامية في المراكز الثقافية جميعا، و يمكن حصر هذا النشاط في العلوم الرئيسية الثلاثة الآتية:

أولا- العلوم الشرعية: كانت العلوم الشرعية في مقدمة الموضوعات التي درست، وهي تشمل الفقه التفسير و القراءات القرآنية و الحديث الشريف، و كانت جميع هذه العلوم تدرس الجامع الأعظم ببجاية، و في غيره من دور العلم الأخرى.

ومن خلال نظرة فاحصة إلى تراجم علماء بجاية نتأكد من أن القسم الأكبر من علماء بجاية كانوا من جلّة شيوخ العلوم الشرعية، و قد تصدروا للتدريس و الإقراء والسّماع مدة طويلة، وعلى كثرتهم لا يمكن ذكرهم جميعا، و كان على رأس هؤلاء: الفقيه أبو علي المسيلي، والفقيه المحدث الحافظ أبو محمد عبد الحق الإشبيلي والمقرئ الراوية الضابط أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن الصدفي (674 هـ/ 1275م)[1] والإمام الفقيه الأصولي أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي (691 هـ/ 1292م)[2] وغيرهم كثير.

ثانيا-العربية وعلومها: حظيت علوم العربية بعناية كبيرة في مدينة بجاية، وتمثلت تلك العناية في مظاهر متعددة كان من أبرزها أن اللغة العربية في نحوها وبلاغتها وأدبها مادة أساسية تدرس بالجامع الأعظم ببجاية، بقية المساجد الأخرى، وقد اشتهر من علماء العربية ببجاية أبو طاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسيني (من أهل القرن 6 هـ / 12م)[3]، والشيخ النحوي اللغوي التاريخي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي القلعي (673 هـ/ 1274م)[4] والأديب النحوي اللغوي أبو الحجاج يوسف بن سعيد

---

[1] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 55.

[2] نفسه، ص 108.

[3] نفسه،ص108.

[4] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 126.

بن يخلف الجزائري (7 هـ / 13 م) و الأستاذ النحوي التاريخي أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضري المعروف بابن عصفور (669 هـ/ 1270م)[1] و غيرهم كثير.

ثالثا: العلوم العقلية: كان يتعاطى هذه العلوم نخبة من كبار علماء بجاية ومتصدرهم ممن استوطن في الأندلس إضافة إلى الوافدين من المشرق فكان منهم الشيخ القدوة أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الحرالي التيجيني (ت 637 أو 638هـ)[2] والشيخ الفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن علي الطائي محي الدين بن عربي (ت 640هـ)[3]، والشيخ أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن سبعين المرسى (ت 669هـ)[4] .

وإلى جانب هذه العلوم الرئيسية توجد علوم أخرى أخذت طرائقها إلى الحياة العلمية ببجاية، وقد أشار إليها صاحب "عنوان الدراية" ويأتي في مقدمتها التاريخ والطب والحساب، والفرائض ولكنها بمرتبة أقل من مرتبة العلوم الرئيسية الثلاث.

إنتاجه العلمي (أهم مؤلفاته): ومن أشهر مؤلفاته التي اشتهر بها كتابه في علم التاريخ والسير والتراجم.

–كتاب "عنوان الدراية"، فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، هو كتاب في تراجم مشاهير أعلام بجاية، وهو كتاب جليل غزير المادة عظيم النفع كبير الفائدة عرف فيه بمائة وثمانية من كبار شيوخ العلم وشيوخ التصوف الذين عاشوا ببجاية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلا ثلاثة عاشوا بها قبل دخول ذلك القرن وهما الشيخ أبو مدين الغوث دفين العباد بتلمسان (594هـ/1198م)، والشيخ حسن بن علي

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص 126.

[2] نفسه ص 266 وما بعدها.

[3] نفسه، ص 145 وما بعدها.

[4] نفسه، ص 158، وما بعدها.

المسيلي الملقب بأبي حامد الصغير لكونه نهج في كتابه "التفكير" نهج أبي حامد الغزالي في كتابه "الإحياء" (ت نحو 580هـ/1185م) وأبو محمد بن عبد الحق الإشبيلي صاحب الأحكام الكبرى والصغرى ومتولي الخطابة بجامع بجاية (ت581هـ/1185م)[1] وذيله ببرنامج ذكر فيه مروياته والشيوخ الذين رواها عنهم.

وبعد استعراضه لكل هؤلاء يخلص الغبريني إلى إثبات برنامج خاص بشيوخه الذين أخذ عنهم معللا ذلك بقوله: "لما أتيت على ذكر ما شرفت ذكره رأيت أن أذكر بعد ذلك طريق استفادتي مما استفدت منه وتلقي ما تلقيته من العلم لينتفع به من له إرب وليجده منظوما كيف يريد من له عليه بحث وطلب"[2].

وقد صنف الغبريني شيوخه حسب نوعية المعارف التي أخذها عنهم وهي علوم فهم وإستيعاب (علم الدراية) وعلوم تلقين وحفظ (علم الرواية) فعلم الرواية حسب ما أثبته يشتمل على علم الفقه وعلم الاصلين "أصول الدين وأصول الفقه وعلم التصوف وعلم المنطق"، أما علم الرواية فيضم تفسير القرآن وعلوم الحديث وعلم الفقه وعلوم العربية وعلوم التصوف والتذكير..." وكان في ذلك حريصا على رواية ما تلقاه من معارف بذكر أسانيد فيذكر سنده وسند شيخه إلى أن يصل إلى المؤلف الأصلي، فهو مثلا في ذكره لكتاب الكشاف للزمخشري يورد أنه حدثه به أبو عبد الله محمد الكناني عن أبي الحسن علي بن السراج عن أبي عبيد الله السلفي عن مؤلفه الزمخشري[3].

لقد كان الباعث على تأليفه هو معرفة رجال السند والترجمة لهم حتى تكون صفاتهم ومزاياهم العلمية واضحة للمتلقي والقارئ للكتاب[4]. إن كتاب عنوان الدراية لأبي العباس

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق ، ص 129.

[2] نفسه ،ص 130.

[3] ناصر السعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي ، المرجع السابق ، ص 130.

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص 35.

الغبريني حسب تعبير عد الوهاب بن منصور "من الكتب التي كتبت سطورها بماء الذهب ويفتخر بتأليفها أهل المغرب الأوسط، ولولاه لجهل أعلام وضاع علم كثير"[1].

وعليه فهو يعد بحق أثرا علميا نفيسا يكشف لنا عن الإزدهار العلمي والأدبي ببجاية والجزائر، ويطلعنا على النشاط الدراسي الذي كان يتحلى به أجدادنا في طلبهم للعلوم والآداب، كما يعد مرجعا لكتاب التراجم بعده، يأخذون منه ويعتمدون عليه عند ذكرهم لعلماء بجاية ونواحيها في هذا القرن، وعند التعرف على الأحداث التي عرفتها بجاية وبعض بلاد المغرب وإفريقية والأندلس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولا سيما ما يهم الحياة الثقافية التي نجح الغبريني في تكوين صورة متكاملة عنها إلى حد كبير في فترة الهجرة المكثفة لعلماء الأندلس نحو تونس مرورا ببجاية التي كانت محطة استقبال لهم وموطن استقرار لبعضهم[2].

وللإشارة، فقد أثار هذا الكتاب نظر المرحوم الأستاذ محمد بن أبي شنب ونال إعجابه، وهو ما دفعه إلى البحث عن نسخه المخطوطة وحققه ثم طبعه بالمطبعة الثعالبية بالجزائر سنة 1910م، وقد كان بطبعه لهذا الكتاب قد أحرز عملا جليلا خدم به الحركة العلمية وأمد المثقفين بانتاج فكري يربط حاضرهم بماضيهم المجيد[3]. ولا نجد وصفا أجمل لغة وأعمق معنى من وصف العلامة الأديب الجزائري محمد بن أبي شنب رحمه الله إذ يقول عن كتاب عنوان الدراية في مقدمة تخريجه للكتاب ما نصه "كتاب تلوح أنوار الحقائق من سبل عباراته ويعبق شذا عرف المعارف من بيان إشاراته"[4]

---

[1] عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج4، ص 241.

[2] ناصر سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 131.

[3] الغبريني: المصدر السابق ص 34.

[4] مغزاوي مصطفى، المرجع السابق، ص 78.

وهكذا توفي الغبريني، وقد خلف ما يحيي ذكراه كما أحيا هو بكتابه "عنوان الدراية" ذكرى فقهاء وصلحاء وعلماء وفضلاء كاد الزمان أن يأتي على ذكرهم فتندرس أخبارهم وتتوارى أنباؤهم فنحرم بذلك من أنوار أقوالهم وعظيم أفعالهم.

-ابن الرصاع: (ت-894هـ/1489م) هو محمد بن قاسم بن عبد الله الأنصاري قاض، نحوي، خطيب، عارف بالحديث، من فقهاء المالكية، ولد بتلمسان ونشأ واستقر بتونس سنة (831هـ/1427م) وولي قضاء الجماعة بها، ثم اقتصر في أواخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه، وتصدر للإفتاء وإقرار الفقه وأصول الدين والمنطق والعربية وغيرها، ومات بتونس، وللإشارة عرف بالرصاع لأن جده الرابع كان نجارا يرصع المنابر، ويزين السقوف، وهو الذي صنع منبر الشيخ أبي مدين[1].

انتاجه العلمي(اهم مؤلفاته):ومن أثاره وتآليفه:

-في علم الفقه:

-"الهداية الكافية" طبع في شرح الحدود الفقهية لابن عرفة.

في علم الحديث:

-"الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب" مخطوط في الأحمدين بتونس.

-"التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح" مخطوط.

-في علم التصوف:

-"تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين" مخطوط.

---

[1]عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 152.

-"تحفة الأخيار في الشمائل النبوية" مخطوط في مجلة ضخمة .

في علم اللغة والأدب:

- "إعراب كلمة الشهادة"[1].

في علم الفهارس والسير

و"فهرسة الرصاع" طبع.

وهكذا كان ابن الرصاع متنوع الرصيد العلمي، وقد ساعده ذلك بأن يشغل القضاء والخطابة والإفتاء والتدريس وكذلك بأن يبرز في الكتابة والتأليف الذي تشهد عليه فيه كثرة مصنفاته ومؤلفاته.

-ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/ 1409م) :

هو أبو العباس أحمد بن حسن علي المعروف بابن القنفذ الشهير بابن الخطيب نسبة إلى تولي جده الخطابة طيلة ستين عاما و كذلك والده من بعده [2] ولد عام (740هـ/1339م[3]).

نشأ ابن قنفذ في قسنطينة، في عائلة علم و دين و تصوف ، فوالده درس على يد علماء من المشرق و المغرب ، كما ترك مؤلفين اثنين هما : المسنون في أحكام الطاعون

---

[1] القرافي: توشيح الديباج، المصدر السابق، ص 157، السخاوي: الضوء اللامع، المصدر السابق، ج8، ص 287.التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص 323، ابن مريم: البستان، المصدر السابق، ص 283، بن مخلوف :شجرة النور، المصدر السابق، ص 259، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، المصدر السابق، ص 679.

[2] .ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية . المصدر السابق .ص40. عبد القادر قوبع: دور ابن قنفذ القسنطيني في تاريخ الحياة السياسية والثقافية والدينية للجزائر الحفصية، المرجع السابق مقال ضمن مجلة عصور الجديدة العدد 4وهران –2011–2012،ص ص 53_54.

[3] ابن مرزوق، المسند ، المصدر السابق. ص46.

، و المسائل المسطرة في النوازل الفقهية ، أما جده لأبيه فقد تولى الخطابة ، كما تولى القضاء طيلة ثلاثين سنة [1].

درس ابن القنفذ على والده و على جده لأمه ، ثم على علماء قسنطينة و على رأسهم علماء البيت الباديسي مثل حسن بن ابي القاسم بن ميمون بن باديس القسنطيني (707هـ-784هـ/ 1308-1382م)و حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس ابن عم الأول و ابن خالته اللذين درس عليهما علم الحديث[2] .

ولما بلغ سن التاسعة عشر انتقل إلى المغرب الأقصى حيث قضى ثمانية عشرة سنة أخذ فيها عن علماء كثر في علوم متعددة كالفقه و الحديث و المنطق و الفلك والحساب ، وأخذ عن الشريف التلمساني (710-771هـ/1310-1369م) العلامة الشهير بشارح الجمل ، و ابن مرزوق التلمساني (615-781هـ/1315-1379م) صاحب شرح العمدة)، و أبو زيد عبد الرحمان ابن الشيخ أبي الربيع سليمان اللجائي (ت773هـ/ 1371م) و أبو عمران موسى بن محمد بن معطى العبدوسي (ت 776هـ/ 1374م) و أبو محمد عبد الله الوانغيلي (779هـ/1377م) و أبو العباس أحمد القباب الذي أخذ عنه أصول الفقه و الحديث في فاس ، كما أخذ عن أحمد بن محمد الخزرجي الشهير بابن الشماع الذي أخذ عنه المنطق[3]

و للإشارة ، عند عودته من المغرب ، لم يبق ابن القنفذ بقسنطينة سوى سنة واحدة ليرحل إلى تونس أين أخذ بها الفقه على محمد بن الشيخ أحمد البطرني الأنصاري بتونس (703-793هـ/1303-1390م) ، و أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (716-803هـ/1316-1400م) أشهر علماء تونس في وقته[4]

---

[1]ابن القنفذ، الوفيات ،المصدر السابق. ص 356.

[2]نفسه، ص376.

[3] حول شيوخه ينظر ابن قنفد ، أنس الفقير و عز الحقير،المصدر السابق ص25 و ما بعد.

[4] نفسه ، ص376.

تولى ابن القنفذ وظائف متعددة كالقضاء بدكالة بالمغرب الأقصى ، و الخطابة والإمامة و الإفتاء و القضاء بقسنطينة مما ساعده على التقرب من حواضر السلطة الحفصية[1]

و يبدو أن وفاة ابن قنفذ كانت سنة (809هـ 1406م) و ذلك حسب رواية الزركشي في تاريخ الدولتين و هوما رجحه المؤرخ المحقق الأستاذ محمد الشاذلي النيفر، لأنه ذكر التاريخ بالكامل الليلة و الشهر و السنة مما يوحي بأنه أطلع على سجلات الدولة الحفصية التي تثبت تاريخ وفاة ابن القنفذ باعتباره قاضيا لديها[2].

ولد ابن القنفذ و الدولة الحفصية لم تتخلص من آثار الهزات السياسية التي تعرضت لها ، فبعد توحيد الدولة على يد أبي يحيى بن أبي بكر سنة(718هـ/ 1318م) لم تلبث أن انقسمت عن نفسها ، ما أغرى المرينيين باحتلالها و إزالة ملك الحفصيين اللذين بقيت قسنطينة ملاذهم الأخير و حصنهم الوحيد أين استقر الأمير أبو العباس الحفصي ، و رغم تعرض قسنطينة لحملة مرينية جديدة ، و أسر أبي العباس نفسه ، إلا أنه تمكن من الفرار بعد مقتل السلطان المريني أبي عنان و تحالف مع أبي سالم المريني الذي استطاع بعدها السيطرة على تونس ، و بعث الدولة من جديد و هذه النقطة ستشكل المؤشر السياسي لأهم في كتابات ابن القنفد[3]

أما في الجانب العلمي و الثقافي ، فقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي في القرن الثامن هجري/ (14م) حركة علمية كبيرة عكستها حركة التواصل العلمي و تنقلات الشخصيات العلمية.

---

[1] ابن القنفذ ، الفارسية ، المصدر السابق ، ص 198. ابن القنفذ: انس الحقير و عز الدين الحقير المصدر السابق، ص71.

[2] ابن القنفذ : الفارسية ، المصدر السابق، ص64. عبد القادر قويع : دور ابن قنفد،المرجع السابق ص 55.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق ،العبر، ج6ص517،ج7ص386.

و من بين العلماء الذين تأثربهم في الجانب الثقافي بالمغرب الأدنى نذكر ابن عرفة صاحب المختصر في الفقه ، و عبد الرحمن بن خلدون و أبو العباس الغبريني ويحي بن خلدون، في التاريخ و البطرني، و ابن جماعة التونسي، و أبو محمد التجاني وأبو علي المشدالي و ابن غريون البجائي، و ابن عبد النور، و ابن عبد الرفيع، وابن قداح، و أبو الحسن بن عسيلة القفصي، و ابن راشد، و أبو الحسن المنتصر [1]

أما بالمغرب الأقصى ،فقد تأثر ابن القنفذ بانتشار دراسة الفلك (العلوم السماوية) حيث أخذ عن اللجائي تلميذ ابن البناء (721هـ/1321م) و الفلك ، و المنطق ، كما تأثر بالتصوف الذي ظهر جليا في كتابه أنس الفقير.[2] و هكذا نرى كيف ساهمت تنقلات ابن القنفذ بين حواضر العلم الكبرى قسنطينة و فاس و تلمسان و تونس في توسع معارفه وموسوعيته و تصوفه، أمّا عن عصره وأهمّ مؤلّفاته تذكر لنا المصادر التي ترجمت له على أنّ عصره مثّل عصر الموسوعيّة، حيث يندر الاختصاص والاكتفاء بعلم أو فن واحد من العلوم المختلفة، ويمكن أن نقف على ذلك من خلال تآليف ابن القنفذ الكثيرة ، التي نجدها تتوزع على كل من علم الحديث و لفقه والأصول والمنطق وعلم التاريخ كالتراجم والسير والأنساب والوفيات وعلى الطب والتوقيت والفلك وعلم اللغة والقواعد و البلاغة...، وكان قد ذكر اغلب مؤلفاته في ثبت كتبه (807هـ/1404م) أما عن بقية كتبه التي الفها بعده ، فقد ضاع اغلبها[3].

لقد ألف ابن قنفذ كتبا بلغ مجموعها حوالي ثلاثين مصنفا في مختلف العلوم النقلية والعقلية، وقام بشروح واختصارات للكثير من مؤلفات من سبقوه لم يحقق منها لحد الآن سوى عدد قليل لا يتعدى خمس مؤلفاته، أما بقية مخطوطاته الأخرى، فلم يعرف عن

---

[1]الغبريني: المصدر السابق .ص140.

[2]عبد القادر قوبع: دور ابن قنفذ القسنطيني المرجع السابق –ص56

[3] ينظر الثبت الذي كتبه ابن القنفذ في آخر كتابه الوفيات ، و أيضا تحقيق الأستاذ النيفر في كتاب ابن قنفذ: الوفيات ، المصدر السابق–ص–ص83–68.

مكانها شيئا، ماعدا القليل منها الموزع بين خزائن الرباط والقاهرة والجزائر وتونس وحتى بريطانيا، أما الباقي منها فيبقى في عداد المفقود[1]

وعليه يتبين لنا أن إبن قنفذ كان ذا ثقافة متنوعة وموسوعية، وهي ثمرة جد واجتهاد وتلقى العلم من كبار علماء عصره في المغربين الأوسط والأقصى اللذان كانت لهما الصدارة في تخصصاتهم، فأحرز بذلك على مصادر كثيرة في علوم حد البراعة، وانتشر صيته ووصف بحبر فاس وقسنطينة.

ومما يجدر ذكره أن إبن قنفذ بدأ التآليف مبكر في رحلته الأولى في طلب العلم بالمغرب وذلك من خلال كتابين[2] ألفهما به، وبعد رجوعه من المغرب وتونس واستقراره بقسنطينة تفرغ لتصنبف تلك المؤلفات المتعددة والمتنوعة في مختلف العلوم والتي أشار إليها في آخر كتابه "الوفيات" الذي ذيل به شرف الطالب في أسنى المطالب، حيث وضع إبن قنفذ سنة807هـ/1404م ثبت بأسماء مؤلفاته التي بلغت سبعا وعشرين مؤلفا في فنون متنوعة من فقه وتوحيد وطب وفلك وغيرها.

ويبدو أن كتبه كانت أعز ما يملك لشدة تعلقه وعنايته بها، وفي هذا المقال يستوقفها ما قاله في هذا البيتان حول إعارة الكتب وهو يحدث بها المستعير على إعارتها قائلا في ذلك:

بـــالله يـــا مســـتعيرَ الكتـــبِ دعنـــي   فـــإن إعـــارةُ الكتـــبَ عـــارُ
فمحبـــوبي مـــن الـــدنيا كتـــابِي   وهـــل أبصـــرتَ محبوبـــا يعـــارُ[3]

[1]إبن قنفد ،الفارسية، المصدر السابق ،ص 82.

[2]نفسه، ص 82

[3] الكتابان هما: كتاب الطالب لمسائل أصول ابن الحاجب، وكتاب حط النقاط عن وجوه أعمال الحساب، ينظر، ابن مريم، البستان المصدر السابق ،ص308،ابن قنفد شرف الطالب، المصدر السابق ص 49

وقد وجدت له بعض الرسائل ونسب إليه البعض الآخر من مؤلفات لم يذكرها هو في ثبته الذي وصف فيه أسماء كتبه حتى سنة(807هـ/1404م)، وقد جاء في بداية الثبت قوله "وأعلم أن معرفة الكتب وأسماء المؤلفين من الكمال، ومعرفة طبقات الفقهاء، وأزمانهم من مهمات المطالب وكذلك معرفة ما ألف في عصر المسائل" وجملة تأليفه ذكرها في قوله"[1] وقد سألني رجل عما في التواليف ليكتب ذلك في رحلته، فأمليت عليه عن ذلك ما صادف الوقت زمانه لحرصه على هذه المسائل وسنردها ها هنا تكملة لعرض"[2].

إنتاجه العلمي (أهم مؤلفاته)

في علم الفقه والأصول :

لقد تنوع انتاج إبن القنفذ في هذا المجال، فقد كان له إسهام في الفقه و أصوله حيث ألف في الفقه عدة شروحات منها:

1- تقريب الدلالة في شرح الرسالة : و هو ما شرح الرسالة إبن القنفذ أبي زيد القيرواني في أربعة أسفار لإبن أبي زيد القيرواني ، و هو الكتاب الوحيد الذي أشار إليه إبن القنفد في الفارسية حيث قال :" و رأيت في أيام حضوري بمرفع الكتب بالقبة شرحي لرسالة إبن أبي زيد القيرواني رفعه للخليفة أبي فارس من نسخة قاضي الجماعة أبي عباس أحمد الغبريني"[3].

2- اللباب في إختصار الجلاب[4] يعتبر ضائعا.

3- معونة الرايض في علم الفرائض[1] و هو شرح على الأرجوز التلمسانية في الفرائض لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري المتوفي سنة (690م/1291م)[2].

---

[1]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي – 52- ص 388.

[2] إبن القنفذ ، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق عبد العزيز صغير خان – مكتبة الرشد السعودية ص 308 – ط1- 2003/1424م- ص 49-50 إبن مريم – المصدر السابق ،ص308.

[3] إبن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق،ص 69.

[4] هو مفقود ، ينظر إبن قنفذ، الوفيات، المصدر السابق،ص13.

4- بغية الفارض من حساب الفرائض و يعتبر مفقودا هو أيضا.

5- تفهيم الطالب لمسائل أصول إبن الحاجب[3] ، و كان الإبتداء في تنفيده أول سنة سبعين و سبعمائة و الظاهر أن إبن القنفذ شرح كتاب الأصول و يحتمل أن شرحه هذا كما قال ألفه بإيجاز و قد إنتشر و ذاع آنذاك.

6- تحفة الوارد في بيان الشرف من جهة الوالد[4] و هو غريب كما وصفه إبن القنفد والمراد و الغاية من تأليفه أن إبن قنفذ يرى بأنه من ليس بشريف من جهة والده و هو إبن شريفة فلا يدعى الشرف و حول ذلك يقول :" إعلم أن هذه المسألة محدثة و قريبة الحدوث و قد إتفق أهل الأمصار من مختلف الأعصار أن من والده غير شريف فلا يدعى بشريف"[5].

- في علم الحديث و علومه :

- 1 - أنوار السعادة في أصول العبادة : قال عنه مؤلفه و هو شرح لقوله عليه الصلاة و السلام " بني الإسلام على خمس " الحديث[6] في كل قاعدته من الخمس أربعون حديثا و أربعون مسألة.

- 2 - شرف الطالب في أسنى المطالب.[7]

---

[1] هو شرح للأرجوزة التلمسانية للفرائض،ينظر ابن قنفد،الوفيات،المصدر السابق،ص13.

[2] ابن فرحون،الديباج،المصدر السابق،ص ص ،90-91

[3]يعتبر مفقود ، يتظر إبن القنفذ،الوفيات،المصدر السابق - 15.

[4] توجد منه مخطوطة بالقاهرة،و أخرى بتونس،ينظر إبن القنفذ ،بشرف الطالب،المصدر السابق ص 44.

[5] إبن القنفذ،الفارسية،المصدر السابق،ص 70.

[6]إسماعيل البخاري،صحيح.البخاري،باب الإيمان.ع1،ص8 صحيح مسلم،الإيمان باب أركان الإسلام- ج1- ص 45 يعتبر ضائعا،ينظر قنفذ،الوفيات،المصدر السابق-ص 14.

[7] هو شرح على منظومة المسماة قصيدة الغزالية الغرامية من القاب الحديث لأبي العباس بن فوج الإشبيلي و هي في عشرين بيتا، لم يشرح منها إبن القنفذ إلا سبع عشرة بيتانو توجد شرف الطالب في

يعد هذا الكتاب كما صرح مؤلفه نفسه مختصرا كما اعتبره مدخلا للكتب علوم الحديث ليقرئها المبتدئ للوصول إلى فهمها[1] و قد إنتهج فيه إبن القنفذ منهجا سار عليه إلى إتمام شرحه للقصيدة ، حيث يبدأ أولا بالجانب اللغوي في البيت تم يتعرض لجانب الإعراب بالحركات و النقط تم الجانب البلاغي و لهذا يصلح هذا الشرح أن يكون مقررا دراسيا للمبتدئين من طلبة العلم لأنه يختصر الآراء في المسألة.[2]

في علم التصوف: من بين تأليفه التي أبدى من خلالها مساهمته في ميدان التصوف نذكر كتاب أنس الفقير في ذكر الأولياء و الصالحين ،و زيارتهم و التبرك بهم، وهذا المجال الزهدي لزمه بعد عودته إلى مسقط رأسه قسنطينة.

2- كتاب أنس الفقير:[3]

يعرف هذا الكتاب بأنس الفقير و عزّ الفقير، إلا أن إبن قنفذ يزيد بعد ذكر هذا العنوان قوله " في رجال من أهل التصوف أبي مدين و أصحابه" و مما لاشك فيه أن هذه العبارة قصد بها شرح موضوع الكتاب.

و يدور هذا البحث الذي قام به أبن قفذ عن الحياة الصوفية قي المغرب في القرن الثامن الهجري (/14م) من خلال ذكر سياحته و ملاقاته لرجال التصوف، و لذلك فإن المهم من

عذة مخطوطات منها سبعة بالرباط و أربعة بتونس و ثلاثة في مصر و إثنان بباريس بنظر إسماعيل البخاري صحيح مسلم –ح1– المصدر السابق، ص 8.

[1] بلفرح عبد الرحمن ، إبن القنفذ القسنطيني "حياته و أثاره"(470هـ–810هـ/1339–1407م) ماجستير في التاريخ بوالحضارة الإسلامية،جامعة وهران،2007–2008 – ص 96.

[2] بلفرح عبد الرحمن ، إبن القنفذ القسنطيني "حياته و أثاره"،المرجع السابق،ص107.

[3] ابن قنفد الوفيات ،المصدر السابق،ص 13، أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2،ص65.

هذا الكتاب هو ما شاهده هو بنفسه و اتصالاته الشخصية برجال التصوف لذكر أخبارهم و مجاهداتهم و الإشارة إلى ما تمتاز به سيرة كل واحد منهم[1].

توجد للكتاب عدة نسخ محطوطة بخزانة المحفوظات لعامة الرباط والقرويين كما يتميز الكتاب بأسلوب متنوع[2]، فإذا كان في الخطبة يستعمل السجع ويتألف في كتابه ، أما إذا كان عن مشاهداته و زيارته لمختلف النواحي التي تكلم عنها فإنه يعتمد أسلوب بسيط وعلى لغة لا تخلو أحيانا عن بعض الألفاظ العامية كالمخايد الوسادات ونحوها وعندما يحكى كلام عن بعض الصوفية ممن التقى بهم يأتي بعبارات تكاد تكون عامية كقوله مثلا " أعطني سرجك نركب بها "[3]

– **في علوم اللغة:** كذلك الحال فإننا نجد لابن قنفذ عدد من المؤلفات نذكر منها:

1– هداية السالك في بيان ألفية إبن مالك و هو في حكم المفقود.[4]

2– الإبراهيمية في مبادئ العربية[5] وهو مختصر لقواعد في النحو و الصرف على شاكلة ما يؤلف في ذلك الزمن أهداه إلى بعض الأمراء الحفصيين المعاصرين له و قد يكون حسب روايته أبا إسحاق إبراهيم.[6]

2– التخليص في شرح التلخيص[7] الظاهر أنه شرح حول التلخيص في البلاغة للقرويين محمد بن عبد الصمد بن عمر موصلي،

---

[1] بلفرح عبد الرحمن ، إبن القنفذ القسنطيني "حياته و أثاره"، المرجع السابق ،ص96.

[2] ابن قنفد، أنس الفقير، المصدر السابق،ص52.

[3] نفسه،ص52.

[4] يعتبر ضائعا، ينظر ابن قنفد، الوفيات ،المصدر السابق،ص41.

[5] هو ضائع، ينظر، ابن قنفد، شرف الطالب، المصدر السابق، ص41.

[6] ابن قنفد الفارسية، المصدر السابق،ص79.

[7] ينظر فهرس المخطوطات بالرباط، ص 134،التمحيص في أنس الفقير، التمحيص في المكتبة القومية بتونس، التلخيص، ينظر الوفيات، المصدر السابق–ص 15.

3–و له شروح عديدة لكتابه تلخيص المفتاح في البلاغة[1]

4– علامة النجاح في مبادئ الاصطلاح.[2]

5– تبسيط الرموز الخفية في شرح عروض الخزرجية[3] لضياء الدين أبي محمد بن عبد الله بن محمد الخزرجي المالكي الأندلسي، و هي من البحر الطويل مطلعها.

و للشعر ميزات تسمى عروضا: بها النقص والرجحان يريهما الفتى[4].

– في علم التاريخ والسير والتراجم

لقد ترك إبن قنفذ أعمالا هامة في التراجم والسير وما تزال مصدر لا غنى للباحث عنها ،خاصة تراجم الأعلام ووفياتهم رغم اختصارها.

1–كتاب الوفيات:[5]

هو تكملة ذيل لكتاب "شرف الطالب" جعله ثبتا عبارة عن وريقات استهله بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة من المائة الأولى مقيدا وفاتهم كما تعتبر الوفيات مصدرا وفيات رجال وعلماء قسنطينة وبجاية وتلمسان والمغرب الأقصى والأدنى وإفريقيا، وقد وضع له ابن القاضي ذيلا تحت عنوان "لفظ الفوائد"

إن هذا الكتاب عبارة عن تاريخ صغير لوفيات الصحابة والعلماء المحدثين والمفسرين والمؤلفين. وفي شأنه ذكر القادري في نثر المناني لأمل القرن الحادي عشر والثاني قائلا:" رأيت تأليف أصغر حجما وأغزر علما مرتبا على مدار السنين بوجه لم يسبق إليه من الهجرة النبوية إلى المائة التاسعة الذي ألفه العلامة الإمام أحمد بن حسن بن علي بن

---

[1] ابن القنفذ، الفارسية، المصدر السابق، ص 82.

[2] يعد مفقودا، ينظر ابن القنفذ، المصدر نفسه، ص 82، بلفرح عبد الرحمن، المرجع السابق، ص110

[3] مفقودا، ينظر ابن القنفذ، الوفيات، ص 15.

[4] بلفرح عبد الرحمن، المرجع السابق، ص110

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص83.

الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، وذيله العلامة المؤرخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي، ابتداؤه من أول المئة الثامنة إلى تمام المئة العاشرة، كما ذيل أيضا كتابه المسمى "بدرة الحجال" كتاب "وفيات الأعيان" الإمام شمس الدين بن خلكان من مجموع ذلك التاريخ من الهجرة النبوية إلى تمام المئة العاشرة، وقد بناه على الإختصار والتقريب وإفادة "وفيات الأعيان" على أحسن ترتيب.[1]

وللإشارة، فقد نكر ابن قنفذ في كتاب الوفيات عشرين من علماء المغرب الأوسط أو لهم من العشرة الثانية من المائة السادسة أبو الفضل بن النحوي (513ه/ 1119م) وفي العاشرة شيخ التاريخ أبو مدين شعيب دفين العباد سليمان وفي العشرة الثانية من السنة السابعة الشيخ الفقيه أبو زكريا الزواوي توفي ببجاية (611ه/ 1214م)وفي العشرة الثالثة القاضي محمد محمد بن عبد الحق التلمساني (ت 625ه/1228) . وفي العشرة السابعة المحدث أبو الحسن علي بن علي بن ميمون بن القنفذ (ت661 ه/1262م) وفي العشرة الثامنة أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجالي ت (675ه/1276م) والعشرة الأولى من المئة الثامنة الفقيه وقاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني، وفي العشرة الخامسة الإمام عبد الله محمد الشريف التلمساني (ت 761ه/1359م) وغيرهم كثير"[2].

يعد هذا الكتاب من المصادر المهمة، رتبه إبن قنفذ على القرون وعلى تواريخ وفياتهم مستهلا ذلك بوفاة سيدي الخلق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم سنة11ه، وأنهى به على العشرة الأولى من المائة التاسعة أي سنة 807ه/1404م، كما يعد هذا من المصادر المهمة كذلك التي يمكن الاعتماد عليها ليسرها وسهولة منهجها، حيث يعتمد عليها المؤلفون لمعرفة تاريخ وفيات مشاهير الرجال والأعلام والفقهاء وخصوصا العلماء

[1] بلفرح عبد الرحمن، المرجع السابق،ص81.

[2] نفسه ، ص81.

منهم."[1]وبالرغم من أن تراجم هذا الكتاب قصيرة جدا. إلا أنه نال شهرة كبيرة في الأوساط العلمية، وأخذ عنه عدد كبير من مؤلفي كتب السير والتراجم ومن بين الكتاب الذين أخذو عنه، نذكر التنبكتي مثلا في نيل الإبتهاج، وابن مريم التلمساني في بستانه والحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف والزركلي في الأعلام وغيرهم.[2]

وللإشارة، فقد إعتمد عادل نويهض عند تحقيقه للوفيات على مخطوطين حصل على إحداهما من مدينة تلمسان 1963م، يرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع الهجري 15م على يد ابراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني والثانية حصل عليها من مدينة قسنطينة، وليس فيها تاريخ نسخها لتأكل أوراقها، ولما قارن بينها وبين طبعتي مصر والهند اتضح أنه لا يوجد اختلاف بين المخطوطين.

-2- كتاب وسيلة الإسلام بالنبي عليه السلام:

يعد هذا الكتاب حسب ما ذكره ابن قنفذ من أجل الموضوعات في السيرة لاختصاره فقد ذكره ابن قنفذ مع جملة أسماء كتبه التي ألفها والتي ذكرها في آخر كتابه الوفيات"[3].

يعد هذا الكتاب الذي ألفه ابن قنفذ في السيرة النبوية من أنفس الكتب لقيمته الجليلة ، فقد وضح فيه إبن القنفد أمورا في السيرة النبوية بأسلوب مختصر و أجاد فيه و ذلك يفضل إطلاعه الواسع و تنوع ثقافته، حيث أخد له السيرة و سلط من خلاله على جوانبها أضواء كانت في حاجة إلى إيضاح و تبيين معتمدا و مستفيدا من مصادر من سبقوه، وهذا و إن دل على شيء فإنما يدل على قدرة إبن قنفد على التأليف والإحاطة بالمعنى، و إلتزام الدقة في المعلومات.

---

[1] إبن القنفذ الفارسية، المصدر السابق- ص 67.

[2] إبن القاضي المكناسي، جدوة الإقتباس لمن حل من الإعلام بمدينة فاس(دب.د.ط) 1991-ج1،ص 79.

[3]-ابن القنفذ أنس الفقير وعز الحقير-المصدر السابق، ص ب.

[4]-ابن القنفذ الفارسية، المصدر السابق -ص ص 199-200.

3– **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية:**[1] هذا المؤلف هو في ذكر الدولة الحفصية أهداه إبن قنفد للسلطان أبي الفارس الحفصي الذي كان من المقربين منه يحضر مجالسه التي وصفها في تاريخه الذي ألفه له (806هـ/1403م) بقسنطينة و سماه باسمه الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية و رفعه إليه مثنيا عليه فيه مادحا سلاطين بني حفص[2].

يعتبر كتاب الفارسية من أهم كتب ابن قنفد إذ هو أثمن المصادر التي ألفت عن الحياة العلمية و الأدبية و الفكرية في العهد الحفصي[3] عموما و عهد أبي العباسي أحمد و عهد أبي فارس بالأخص حيث ذكر فيه مجالس المستنصر من أعلام الفقهاء و الأدباء كأبي بكر بن سيدي الناس و الأبي و إبن العصفور و كذلك أشار إلى إنشاء القصور والمنشآت العمرانية و من خلاله علينا القول بأن إبن القتفد كان مؤرخا لأحداث الدولة الحفصية خاصة و أنه كان أحد المشاركين بها ، كما أرخ كذلك للحروب الصليبية والتي عرفها العالم الإسلامي في مشرقه و مغربه و بالأخص حملة لويس التاسع على تونس في 3 محرم 648هـ/1239م و الحمله الثامنة سنة 1271.و أخيرا يبقى إبن القنفد بحكم إرتباطه بالدولة الحفصية مصدرا مهما لتأريخ هذه الدولة و ما علافته من أحداث داخلية و خارجية إنطلاقا من إطلاعه على وثائقها و معايشته لبعض قوادها وسلاطينها[4].

– 4 – طبقات علماء قسنطينة[5] هو كتاب في رحال و ألام قسنطينية لم يذكره إبن القنفد في تبته.

و بكم ما عرف به من نبوغ مبكر قد ألفه كتابيين أثناء طلبه للعلم و هما تفهيم الطالب و حط النقاب.

[1]- ابن القنفذ الفارسية، المصدر السابق، ص ص 198– 199.

[2]–نفسه، ص ص 199–200.

[3]–عبد القادر قوبع، المرجع السابق، ص62.

[4]–بلفرح عبد الرحمن، ابن القنفذ القسنطيني حياته وآثاره، المرجع السابق، ص83.

[5]–ينظر ابن القنفذ، الوفيات، المصدر السابق، ص17.

– 5 – المسافة السنية في إختصار الرحلة العبدرية[1] و هو شرح مختصر للرحلة العبدرية للعبدري.

2- الانتاج العلمي في مجال العلوم العقلية

–ابن مرزوق الخطيب ت 781هـ/1379م):

انتاجه العلمي (أهم مؤلفاته)

لم تطلعنا كتب السير والتراجم على اسهامات ابن مرزوق الخطيب في مجال العلوم العقلية باستثناء تأليفه الذي صنفه في مجال :

في علم الفلك والتنجيم: والمعروف بـ :

– كتاب التنجيم[2].

ابن مرزوق الحفيد: (ت 842هـ/1439م) : كان له صيت كبير في ربوع المغرب الإسلامي حتى أصبح يلقب برئيس علمائه بدون منازع، يعد أية في تحقيق العلوم ،جمع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقة وبالتالي جمع بين علوم الظاهر والباطن[3].

انتاجه العلمي (أهم مؤلفاته)

بالرغم من اسهاماته وريادته في فني المنقول والمعقول ،إلا أن كتب التراجم التي ترجمت له اكتفت كما سبق وأن أشرنا له في العلوم النقلية بإشارات فقط تأكد على كونه قد

---

[1]–يعتبر ضائعا، ينظر ابن قنفذ، الوفيات، المصدر السابق، ص14.

[2]– ابن مرزوق : المصدر السابق، ص 48–49–50–51، التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص 236–237، يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الطباعة للنشر ، الجزائر، 2009، ج2، ص50

[3]– ابن مريم البستان، المصدر السابق، ص 239.

خاض ميدان التأليف في المجالين العقلي والنقلي ، دون ان تطلعنا على عناوين هاته التصانيف والتي لربما يعود السبب في عدم ذكرها إلى فقدانها أو ضياعها[1] .

-ابن قنفد القسنطيني (ت 810هـ/1407)

من خلاله ثبت المؤلفات التي تركها إبن القنفذ الذي وضع له لائحة في كتابه شرف الطالب يظهر بأن إنتاجه الرياضي أو ماله صلة بالرياضيات من جبر و حساب و ذلك و غيره يقارب ربع إنتاجه الكلي[2].

انتاجه العلمي (أهم مؤلفاته)

-الحساب و الرياضيات :

1- مبادئ السالكين في شرح رجز بن الياسمين و هو شرح لأرجوزة أبن الياسمين في الجبر و المقابلة التي شرخها إبن القنفذ بالطريقة التقليدية و المستخلص من هذا الشرح هو استعماله للرموز الرياضية في حل المعادلات و تمثيله لكثيرات الحدود.

2 -بغية الفارض من الحساب و الفرائض[3].

3- التلخيص في شرح التلخيص وهو تلخيص حط النقاب[4].

4- سراج النقاب في علم الأوقات[5] و هي رسالة صغيرة في أربع ورقات تقع في سبع صفحات في كل صفحة خمسة و عشرون سطرا حجمها 24×17 بخط مغربي واضح[6].

1- ابن مريم البستان، المصدر السابق ، ص240.

2-بلفرح عبد الرحمن، ابن قنفذ حياته وأثاره، المرجع السابق، ص110.

3- مفقود بنظر إبن القنفذ ، الوفيات – ص 15.

4- مفقود بالرباط، المكتبة الجنسية رقم 63 85 ، المكتبة العامة 1070،ورد في أنس الفقير "التمحيص" ص ر ينظر إبن القنفذ، الوفيات، ص 15.

5- ورد في فهرس المخطوطات الرباط ص 133 شرح التقات و مثله في أنس الفقير بنظر إبن القنفذ، الوفيات، المصدر السابق، ص 14.

6- إبن القنفذ الفارسية–المصدر السابق ص 78.

5-حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب[1] ، يعد من أهم مؤلفاته في الرياضيات سنة (772هـ/1370م) بعد إثنين و ثلاثين سنة من عمره قضاها في الطلب و التحصيل و هذا الكتاب في مضمونه هو شرح للكتاب تلخيص أعمال الحساب.

لإبن البناء المراكشي[2]

-في علم الفلك:

و كذلك برز ابن القنفذ في علوم الفلك حيث نجز له أكثر من كتاب في هذا الموضوع منها:

– 1 القنفذية في إبطال الدلالة الفلكية[3] و هو في علم الفلك يشبه في شرحه منظومة بن أبي رجال التي يقول في مطلعها:" و بعد فإني لما رأيت أرجوزة الفاضل أبي الحسن على بن أبي الرجال القيرواني حاصرة لأكثر القواعد في القضايا النجومية أردت إيضاح معانيها و بيان مبانيها على الطريق العلمي عند القوم و إن كنت أعتقد صحة ذلك"[4].

– 2 تحصيل المناقب و تكميل المأرب[5] في حكم المفقود و توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 512 ب 3 – 266 مكرر.

– 3 سراج الثقات في علم الأوقات ورد إسمه في مخطوطات الرباط و رقمه 4620 لكنه مفقود.

– 4 تسهيل العبارة في تعديل الإشارة[1] إشتمل على أربعين باب و ستين فصلا .

---

[1]-بلفرح عبد الرحمن، ابن قنفذ حياته وأثاره، المرجع السابق، ص86.

[2]-نفسه، ص82.

[3]- يعتبر ضائعا ينظر إبن القنفذ، الوفيات، المصدر السابق-ص 15، بلفرح عبد الرحمن، المرجع نفسه،ص115.

[4]- بشير ضيف، فهرسة معلمة التراث الجزائري القديم والحديث، منشورات تسالة، الجزائرط1-2002-ج3-ص215.

[5]- هو شرح لكتابه تدبير الطالب في تعديل الكواكب، و توجد نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط ،ينظر الوفيات- ص 14. بلفرج عبد الرحمن ،المرجع السابق ص 115.

– 5 تيسير المطالب في تعديل الكواكب، و يعتبر هذا الكتاب من نوادر ما ألف إبن القنفذ في هذا المجال، حيث قال عنه " و لم يهتد أحد على مثله من المتقدمين"[2].

– 6 وقاية الموقت نكاية المنكت[3].

– 7 تقديرات في مسائل مختلفة[4].

– 8 شرح المنظومة الحسابية في القضايا النجومية[5] لإبن الحسن على بن أبي الجال القيرواني.

– 9 السراج في العمل بالإسطلاب، أرجوزة في نظم إبن القنفذ مبثورة الأول، عدد أبياتها 237، و أدلها جعلته أرجوزة مفيدة في فنها محوزة بخط مغربي[6]

– في علم الطب:

بالنسبة لهذا التخصص له مؤلف واحد سماه ب"أنس الحبيب عند عجز الطبيب" و له أرجوزة في الأغدية و الأشربة بدايتها " الحمد لله القادر المنير الأحد الفرد القدير الفاطر الباري المصور، الغفار الملط المهيمن القهار أحمده على التوالي اللهم حمدا كثيرا دافعا

---

[1]–ابن فنفذ، الفارسية، المصدر السابق–ص113.

[2]– يسمى أحيانا تسهيل المطالب، منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 512، ينظر ابن قنفذ الوفيات ص14، بلفرح عبد الرحمن، ابن قنفذ حياته وآثاره، المرجع السابق، ص115.

[3]–ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق، ص82، الوفيات، المصدر السابق، ص15، شرف الطالب، ص13، بلفرح عبد الرحمن، المرجع السابق، ص116.

[4]– هو شرح للكتاب تيسير الطالب في تعديل الكواكب ،ينظر الوفيات –المصدر السابق–ص 13، بلفرح عبد الرحمن، المرجع السابق، ص116.

[5]– منه ثلاث نسخ بالخزانة العامة بالرباط و أربعة بتونس و واحدة بلندن بالمحن البريطاني ينظر إبن القنفذ – الوفيات– ص 16.

[6]– يعتبر ضائعا ينظر غبن القنفذ، الوفيات، المصدر السابق–ص 15نو شرف الطالب في المصدر السابق – ص 42 و بشر طبقا فهرسة معلمة الثرات الجزائري في و الحديث، منشورات تسالة، الجزائر ط1 – 2002–ج3– ص 215 كذلك بلفرج عبد الرحمن ،المرجع نفسه ص 115.

للنقم ... و جعل الطب قسم الدين بقوله علمان بالتبين القول في طابع الحبوب الشهرة و التجريب"

و نهاية المخطوط:" و إعلم بأن صحة الأبدان هي التي تنفع في الإنسان و أحوج إليه الأمر لكونهم أئمة بلا إمتراء..." و موضوعها الطب و الصيدلة و البيطرة و الحيوان والنبات، أما الموضوع الثانوي فيها في الأغدية و الأشربة و عدد أبيات هذه المنظومة 248 بيتا و تاريخ تأليفها بحسب البيت الأخير في رجب 782هـ/1380م[1].

- **في علم المنطق**: لإبن القتفذ مؤلفات في المنطق منها.

1- شرح لرجز في المنطق[2] نظمه صاحبنا الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه أبي زيد عبد الرحمن المركشي الضرير.

2- تلخيص العمل في شرح الجهل في المنطق للخونجي[3]

وعليه يمكننا القول أن حركة التأليف التي خص بها علماء المغرب الأوسط بالمغرب الأدنى، قد ساهمت في تنشيط الحياة الثقافية وتفعيل الحقل الثقافي في المغرب الأدنى وبين المغربين الأدنى والأوسط، وتزويده بمعلومات وبمادة علمية جديدة وقيمة عن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الصوفي والسياسي لأعلام من علماء وصلحاء وفقهاء المغرب الإسلامي من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى عن سلاطين كانوا يستحقون أن يدخلوا التاريخ من بابه الواسع، بفضل منجزاتهم التي صنعوها، ومن تزويد حواضر العالم الإسلامي وليس حاضرة المغرب الأدنى بهذه المؤلفات العلمية التي أضافت في تاريخه المشرق وتألقه وخلدت وأحيت صانعيه من الأجداد والأسلاف كما استطاعوا من خلال

1-ينظر الوفيات، المصدر السابق، ص17.

2- توجد نسخة من هذه المنظومة ضمن مجموع رقم 515 بالخزانة الجنسية بالرباط عدد أوراقها سبعة وقياسها 130×200 سم ينظر بلفرج عبد الرحمن، المرجع الثاني 11.

3- يعتبر ضائعا، ينظر إبن قنفذ الوفيات ص 13.

مؤلفاتهم هذه، في التعريف بأنفسهم، والتعريف بمكانتهم العلمية التي بلغوها من خلال هذه الوقفة السريعة لنا مع مشوارهم العلمي والسياسي الراقي والرفيع الذي صنع لهم صورة ساطعة في الآفاق من جهة، وأكد على شخصيتهم العظيمة التي لعبت دورا ثقافيا كبيرا من جهة أخرى حيث نجدهم قد شغلوا في المغرب الإسلامي عموما وبالمغرب الأدنى على وجه الخصوص مناصب سامية لم تكن تسند إلى لمن برهن على كفاءة ومقدرة علمية كبيرة، حتى في زمن عرف بسيادة التآليف النقلية على غيرها من التآليف العقلية، وكثرة الشروحات العقلية.

كما أننا لا يمكننا أن ننسى تذكر المنهج الموسوعي الذي كانوا يتميزون به، حيث كانوا يكتبون في جميع فنون العلم والمعرفة حتى ولو كان ذلك بقدر قليل، لكنهم لم يقيدوا أنفسهم بالاختصاص كما هو شان كل من العالم المؤلف ابن مرزوق الخطيب أو ابن مرزوق الحفيد أو الغبريني أو النقاوسي وغيرهم كثيرون. فلهم منا كل الإحترام والتقدير لما صنعوه لنا من تاريخ ورقي وحضارة كخير سلف نسأل الله أن نكون لهم خير خلف.

وفي نهاية المطاف لقد توصل البحث إلى جملة من النتائج هي:

1-إن ما وُجد مِنْ علاقات ثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى، ميّزها الترابط والانفتاح على بعضها البعض، رغم الجو المشحون بالفتن و القلاقل والحروب التي كانت تندلع بينهما بين الفينة والأخرى، ويشهد على ذلك حركية العلماء التي ظلت موجودة في ظل هذه الظروف الصعبة.

2- ازدهار الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي خصوصا في القرن الثامن الهجري/ 14م بسبب خصوبة الحقل العلمي، والذي نقف عليه في تنوع العلوم النقلية والعقلية، والكم الكبير لفضائل العلماء الذين ذاع صيتهم داخل بلاد المغرب الإسلامي وخارجه، ومن العوامل التي ساهمت في ذلك نذكر:

3-النزعة العلمية التي كان يتميز بها سلاطين المغربين، حيث كان معظمهم من العلماء والأدباء ساهموا بفضل ما كانوا يتميزون به في إثراء وتطوير الحياة الثقافية بالرغم من الحروب فيما بينهم.

4-تشجيع ملوك وسلاطين المغربين للعلماء، وتقريبهم من مجالسهم، وإجراء الأرزاق عليهم، وحضور دروسهم تشجيعا لهم واحتراما لمقامهم.

5-انتشار الرحلات العلمية في بلاد المغرب الإسلامي عموما وبين المغربين خصوصا، وأثرها في تنشيط العلاقات الثقافية وتمتينها.

6-من مظاهر الترابط الثقافي بين المغربين تنظيم المناظرات والاحترام المتبادل والرحلات العلمية.

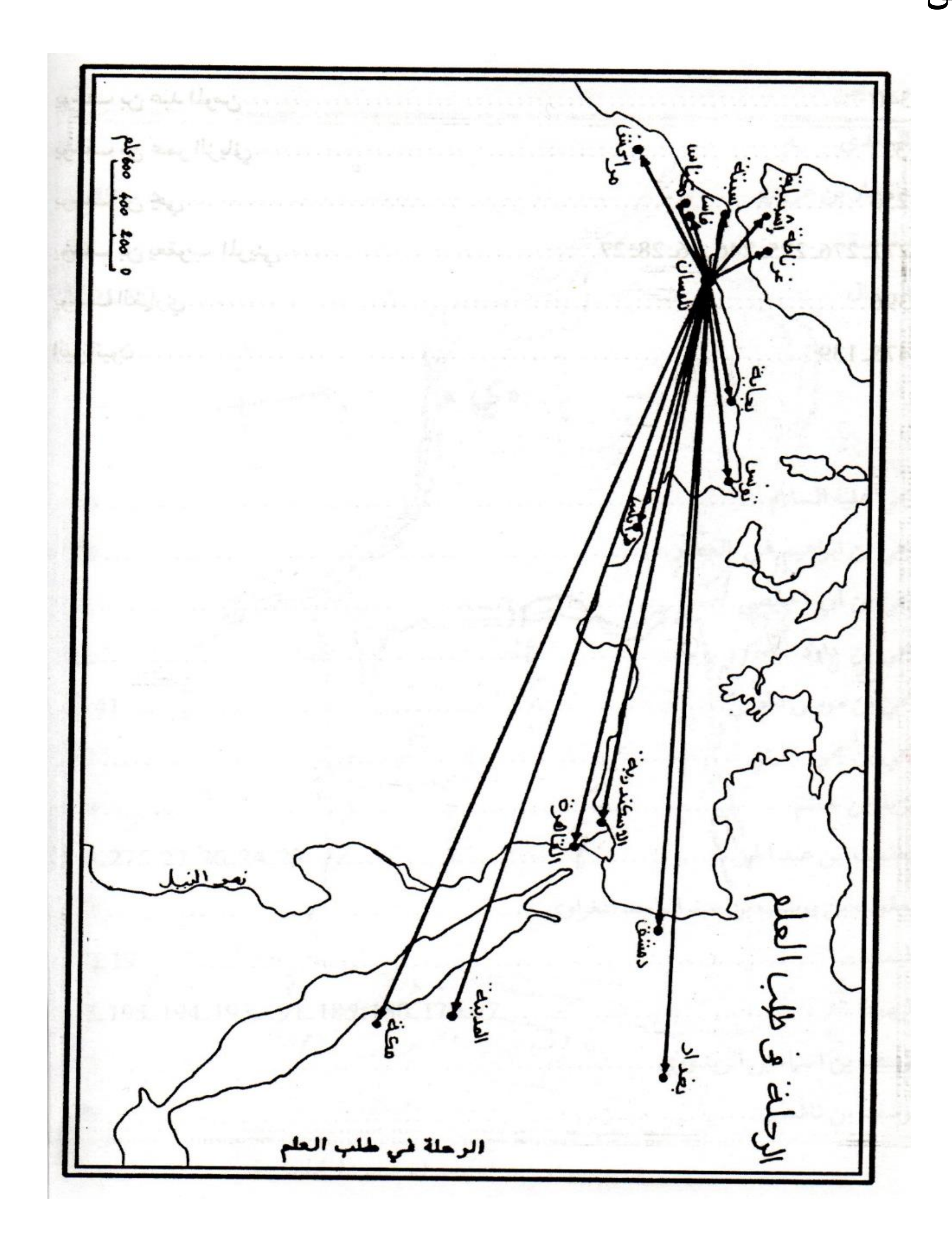
7-و لما كان التصوف من أقوى التيارات الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي خلال مرحلة هذه الدراسة، فقد أثر هو الآخر بأفكار فلسفته الداعية في جوهرها إلى الزهد و نبذ ملذات

حياة الدنيا، و الاقتصار منها على الخشن من المأكل و الملبس في انتشار عمليات الوقف، و ذلك بتحقير المال في أعين هذا التيار و مريديه.

8-لقد غلبت على هذه المراكز العلوم الدينية و الفقهية و علوم العربية و الحساب المرتبط بعلم الفرائض التي كانت سوقها نافعة آنذاك.

9- كان المنبع الأصلي الذي تزودت منه هذه العلوم المشرق الإسلامي و هذا بعد مرورها بمصر و إفريقية و الأندلس، و هناك تخضع لتأويلات و اجتهادات إضافية و تتأثر بصورة أو بأخرى بالنسبة المحلية، و لعل في تأريخ الفقه و إن كان المغرب مدينا بذلك للمشرق، فإن المغاربة و رغم تواضعهم و تتلمذهم على المشارقة، فإننا لم نخدم من إسهاماتهم و إنتاجهم الثقافي المحلي.

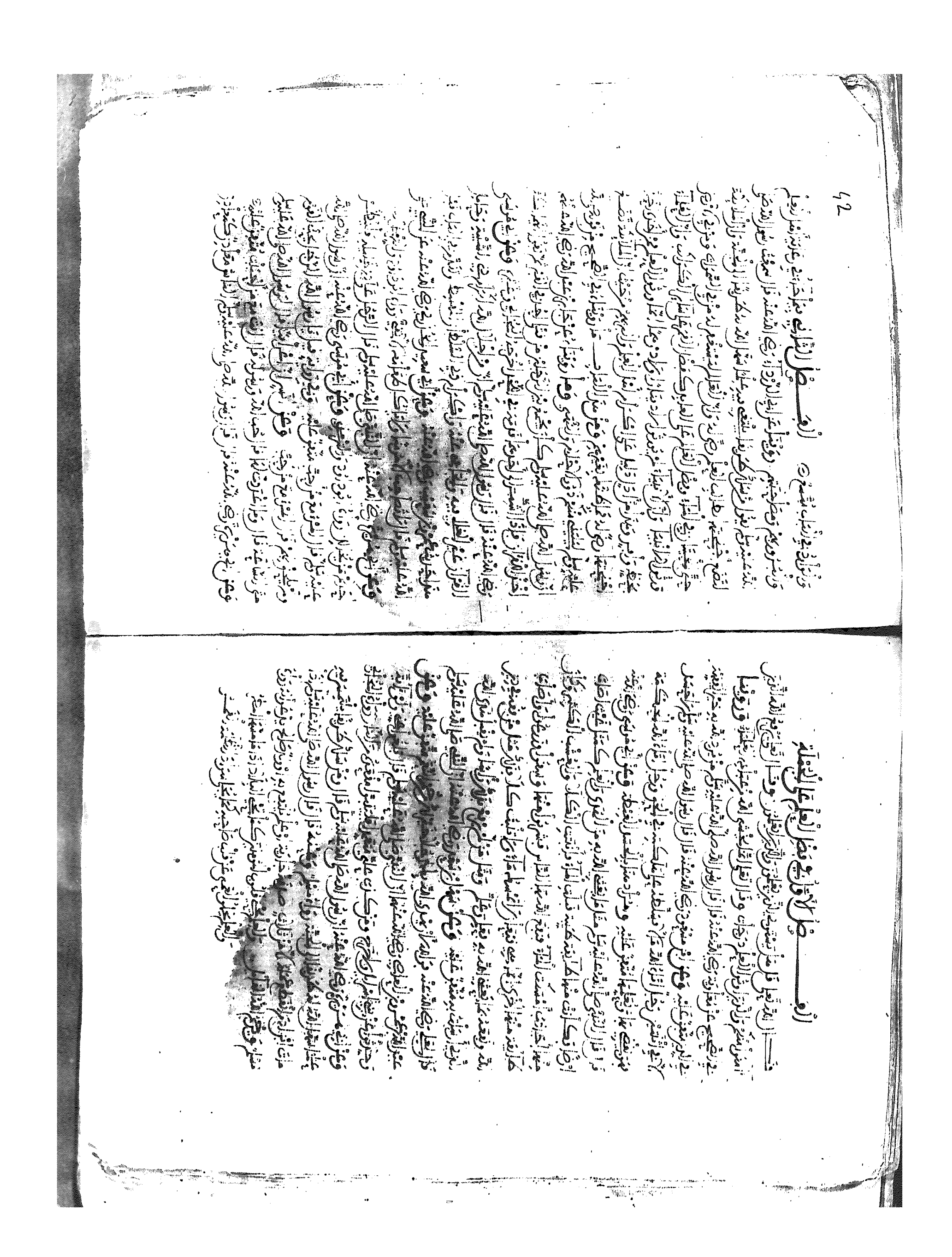
وخلاصة القول، إن الهدف الأسمى من دراستنا لهذا النوع من المواضيع وخوضهم للمرة الثانية بعدما سبق لنا وأن تناولناه بالدراسة في مرحلة الماجستير كان ضرورة التأكيد على أواصر الأخوة التي أوجدها التواصل العلمي والثقافي دون انقطاع، إلى يوم الناس هذا.



[1]

---

[1]عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزيني، ج2، ص: 626.



2

[2]مخطوط المسند الصحيح، نسخة من مكتبة الأرسكوريال، إسبانيا، رقم:1666.

اول نسخة الفارسية

[3]

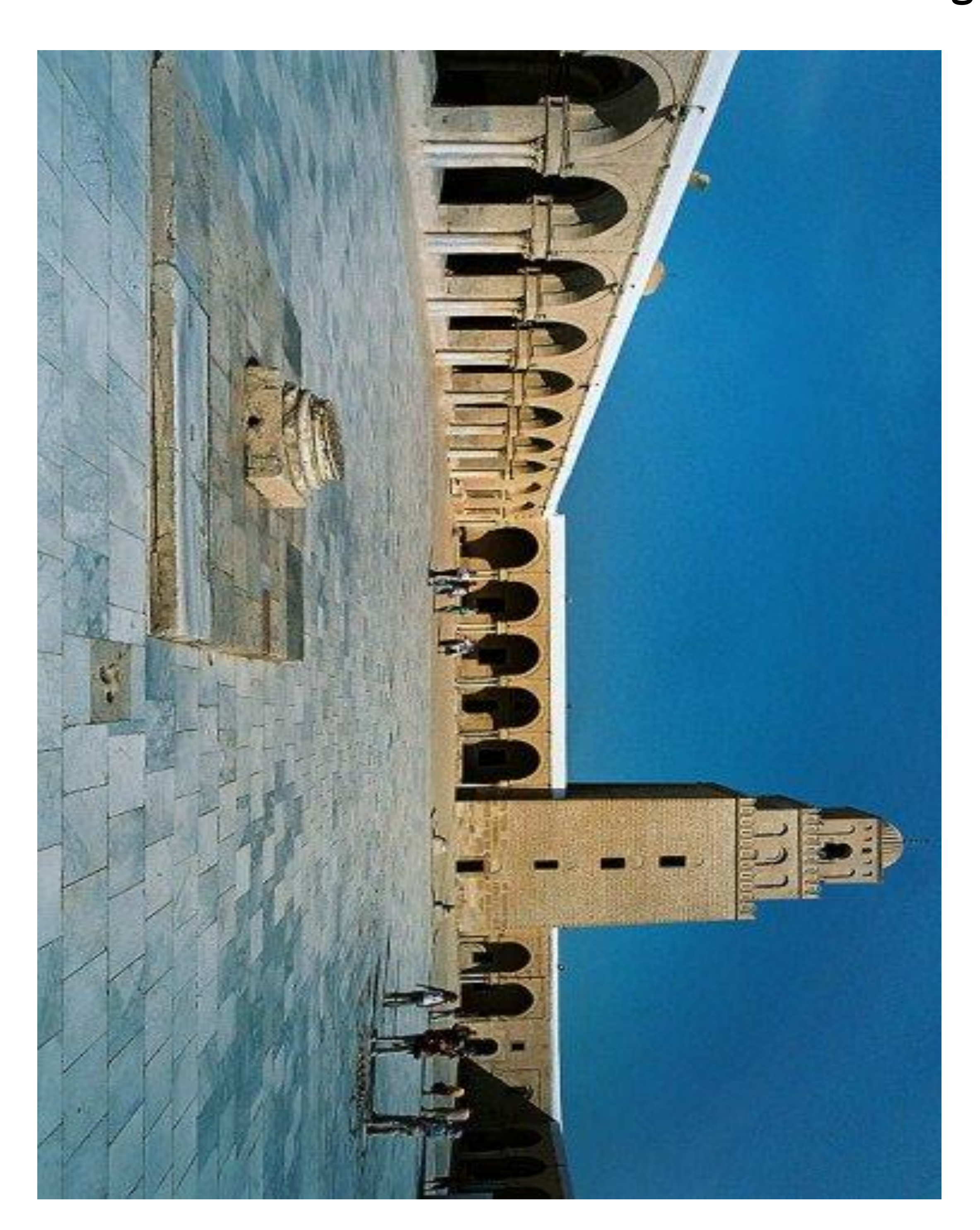
[3] ابن قنفذ الفارسية، المصدر السابق، ص: 96.

الجامعية، الجزائر، ص:248.



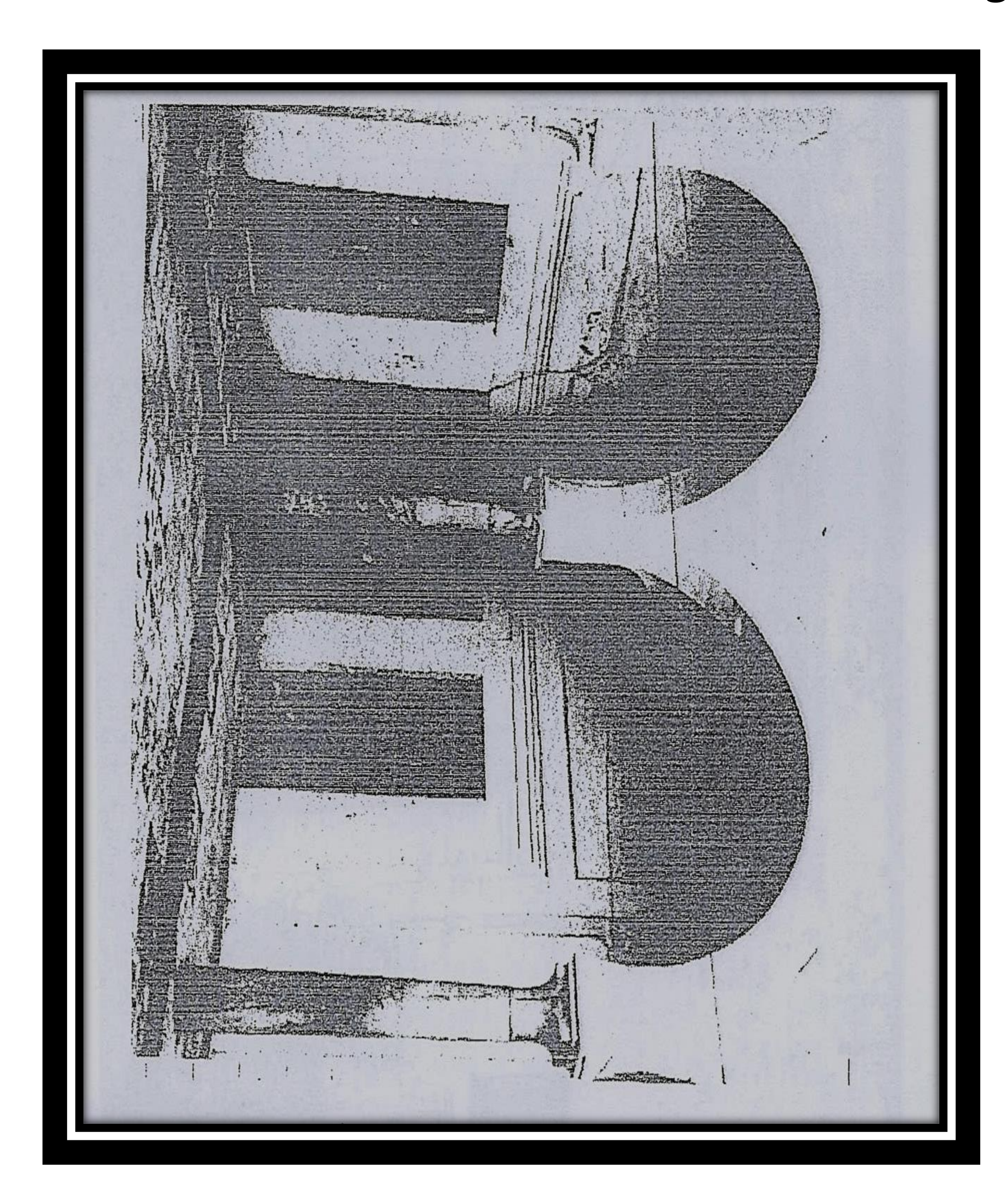
4

[4] محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:248.



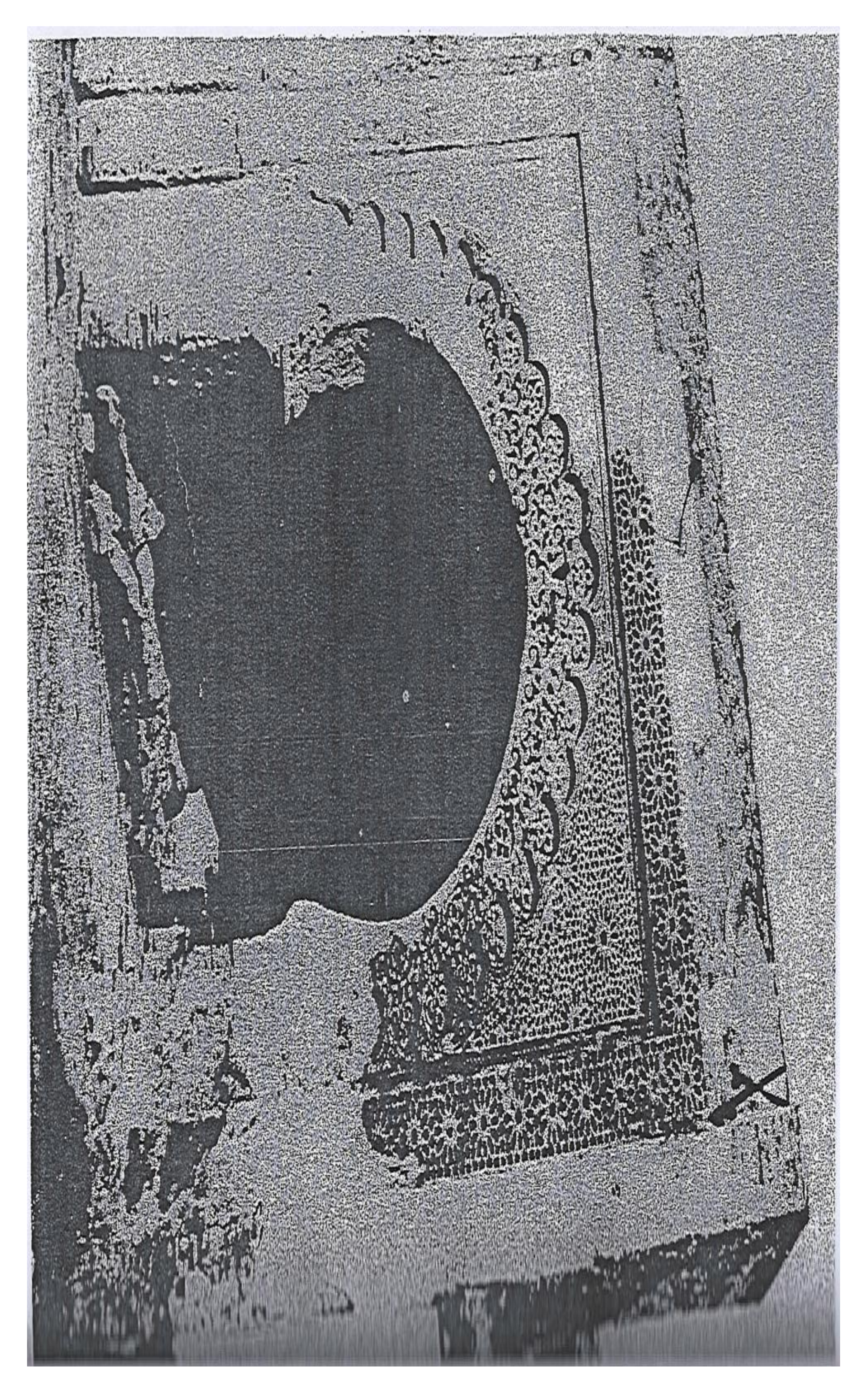
5[5]

[5] عبد العزيز سالم تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص: 224.



6

[6]عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير ،ج2، ص: 828.



7

[7]لخصر العبدلي، المرجع السابق، ص: 127

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
الأحزاب	11	125
الجن	18	47
الأنعام	163-162	47

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الإحالة	الصفحة
فتح الباري لنشر صحيح البخاري دار الحديث القاهرة طبعة 01 1998		
المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، تحقيق محمد حسني إسماعيل الشافعي ،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1986.		
صحيح ابن حيان،تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،ط2،بيروت ،1983		

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

فهرس الأعلام

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

فهرس الأعلام

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

فهرس الأماكن والبلدان

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الميم

فهرس القبائل

القرآن الكريم :

المصحف الشريف برواية ورش عن الإمام نافع ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1983م، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية 1984م.

الحديث الشريف،

- أبو نعيم إسحاق الأصبهاني (ت 460هـ/1068م)، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد حسني، إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1986، ج3.

-ابن حجر العسقلاني فتح الباري لنشر صحيح البخاري، دار الحديث القاهرة ط1، 1998

أولا: المصادر

أ- المخطوطة:

1. **ابن الأعرج (محمد الحسني السلماني)**

- زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 170.

2. **ابن خطاب (أبو بكر الأندلسي)** (ت 686هـ/1287م)،

-فضل الخطاب في نثر بن الخطاب، مخطوط الخزانة الملكية العامة بالرباط تحت رقم 4605 ورقة 39-40.

3. **ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد الخطيب)** (ت 781هـ/1379م)

-المجموع، الخزانة العامة الرباط تحت رقم 20.

4. **ابن عرفة (محمد بن محمد)** (ت803هـ/1400م)

-التفسير، مخطوط، دار الكتب الوطنية، تونس، تحت رقم 10110، ص 116.

5. **أبو راس المعسكري (محمد بن أحمد بن ناصر الراشدي)** (1238هـ/1822م)،

-عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط غير مرقم بمخبر مخطوطات شمال إفريقيا، جامعة وهران، ورقة 79.

6. **البلوي (خالد بن عيسى بن أحمد)** (ت أواخر القرن الثامن هجري/14م)

-متاع المفرق في تحلية علماء المشرق، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تونس تحت رقم 14792.

7. **المازوني (محمد بن أبي عمران المنيعلي)** (ت 833هـ/1478م)،

- الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط الخزانة العامة، الرباط تحت رقم ق 521.

ب- المطبوعة:

8. **ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني)** (ت 1092هـ/1681م)،

-المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس 1961م.

9. **ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي)** (ت 741هـ/1340م)،

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

10. -الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

11. **ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي)** (ت 756هـ/1355م)،

-رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985م.

12. **ابن ثغري (أبو المحاسن جمال الدين)** (ت 871هـ/1469م)،

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق إبراهيم علي طرخات، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، طبعة القاهرة (دت).

13. **ابن الحاج النميري (إبراهيم بن عبد الله بن محمد)** (ت ما بعد 774هـ/1372م)،

-فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، قام بإعداده ودراسته محمد بن شقرون، الرباط (دت).

14. **ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد)** (ت 681هـ/1283م)،

-وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، مطبعة الغرب- بيروت، 1920م، ج3-ج4.

15. **ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون)** (ت808هـ/1405م)،

-المقدمة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، 2007م.

16. .... كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة بولاف المصرية، 1284هـ، ج7.

17. .... التعريف بابن خلدون رحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، 1979.

18. .... شفاء السائل لتهذيب المسائل، تحقيق أغناطيوس عبده الخليفة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1959م.

19. **ابن خلدون (أبو زكريا يحي بن محمد)** (ت 780هـ/1378م)

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ج1.

20. **ابن الخطيب (لسان الدين)** (ت 776هـ/1374م)

- الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه وقدّم له: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م.

21. **ابن الجوزي (البغدادي)**

- تلبيس إبليس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.

22. **ابن رشيد (أبو عبد الله محمد بن عمر السبتي)**

- ملأ الغيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982م، ج2.

23. **ابن سحنون (محمد التنوخي)** (ت 256هـ/869م)

- أداب المعلّمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

24. **ابن الشماع (أبو عبد الله أحمد بن محمد)**

- الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمود المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

25. **ابن صلاح**

- أدب المفنى والمنفى، دراسة وتحقيق موقف بن عبد الله بن عبد القادر، دار الوفاء، دت.

26. **ابن عماد الحنبلي** (ت 1085هـ/1674م)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت دت.

27. **ابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد المراكشي)** (كان حيا 712هـ/1312م)

- بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، نشر كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1963م، ج5.

28. **ابن غازي** (العثماني المكناسي)

- فهرس ابن غازي، تحقيق محمد الزاهي، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1979م.

29. **ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد)** (ت 799هـ/1397م)

- ديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1932م.

30. **ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد الخطيب)** (781هـ/1379م)

- المسند الصحيح الحسن في مأثر مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

31. .... المناقب المرزوقية، تحقيق سلوة الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، مراكش، 2008م.

32. **ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن أحمد)** (كان حيا سنة 1014هـ/1605م)،

-البينان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

33. **ابن قنفذ (أبو العباس أحمد القسنطيني)** (ت 810هـ/1407م)

– الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

34. ....شرف الطالب في أسمى المطالب، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد ناشرون، ط1،الرياض،المملكة العربية السعودية،20013 .

35. ....أنس الفقير وعزّ الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف نور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، 1965م.

36. ....كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971م.

37. **ابن الطواح (عبد الواحد بن محمد التونسي)**

– سبك المقال لفك العقال، تقديم وتحقيق: عبد الواحد الزغلاني والأستاذ سعد غراب، 1978م.

38. **ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أحمد)** (ت 1025هـ/1316م)

– درّة الحجال في عزّة أسماء الرجال، القاهرة، 1970م.

39. **ابن الأزرق الأندلسي**

– بدائع السالك في طبائع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، دار العربية للكتاب، ط3، بيروت، 1980م، ج2.

40. **البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)** (عاش في القرن السادس الهجري/12م)

– أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986م.

41. **البغدادي (إسماعيل باشا)** (ت 429هـ/1073م)

– هدية العارفين، مكتبة المثنى، بغداد، 1951م، ج1.

42. **التنبكتي (أبو العباس أحمد بن أحمد) (ت 1032هـ/1642م)**

– نيل الابتهاج لتطريز الديباج على هامش ديباج ابن فرعون، المطبعة الجديدة بفاس (دت).

43. .... كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2004م.

44. **التنسي (محمد بن عبد الله)** (ت 899هـ/1494م)

– نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بن زيان، تحقيق: محمود بوعياد، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1405هـ/1985م.

45. **الثعالبي (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد)** (ت 875هـ/1470م)

– الجواهر الحسان في تفسير القرآن، طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990.

46. **الحميري (محمد بن عبد المنعم السبتي)** (ت في أواخر القرن 09هـ/15م)

– الروض المعطار في خير الأقطار (معجم جغرافي)، تحقيق: إحسان عباس، دار العلم للطباعة والنشر، لبنان، 1975.

47. **الحموي (شهاب الدين)** (ت 626هـ/1228م)

– معجم البلدان، دار المأمون، بيروت، 1357هـ/1938م.

48. **الدباغ (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري التنوخي)**

– معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المكتبة العتيقة، تونس، ج1.

49. **الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)** (ت 748هـ/1347م)

– سير أعلام النبلاء تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط1، 1985م.

50. **الوزير السراج (محمد بن محمد الأندلسي)** (ت 1149هـ/1736م)

– الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تونس، 1970م، ج1.

51. **الوزان (حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي)** (ت 957هـ/1552م)

– وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1980م، ج2.

52. **الونشريسي (أحمد بن علي)** (ت 914هـ/1508م)

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

53. **الرصاع (أبو عبد الله محمد الأنصاري)**

- فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م.

54. **الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)** (كان حيا 894هـ/1488م)

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، دت.

55. **السهروردي (شهاب الدين أبو حفص)**

- عوارف المعرفة، دار المعرفة، بيروت، 1402هـ.

56. **السبكي (عبد الوهاب الكافي)**

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الصنهاجي، ط1، القاهرة، دت، ج4.

57. **السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمان)** (ت 902هـ/1497م)

-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، 1936م.

58. **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان)** (ت 911هـ/1505م)

- بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة، 1961م.

59. **السلاوي (أبو العباس أحمد الناصري)** (ت 1315هـ/1897م)

- الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، مطبعة النهضة، مصر، 1321هـ/1894م.

60. **العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد)** (ت في أواخر القرن السابع الهجري/13م)

- رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تقديم وتعليق: محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968م.

61. **العمري (شهاب الدين بن فضل الله)** (ت 749هـ/1348م)

- وصف إفريقية والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن الهجري، مقتطف من كتاب مسالك الأنصار في ممالك الأمصار، تعليق: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، دت.

62. **العبد الوادي(أبو حمو موسى بن يوسف بن زيان)**(ت 791هـ/1389م)

-واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق: محمود بوترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012 .

63. **الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد)** (ت 704هـ/1304م)

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

64. **الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)** (ت 505هـ/1111م)

- إحياء علوم الدين، دار الثقافة، الجزائر، 1991م.

65. **القابسي (أبو الحسن علي)** (ت 403هـ/1013م)

- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق وترجمة: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986م.

66. **القرافي (بدر الدين)**

- توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2004م.

67. **القلصادي(علي بن محمد بن محمد القرشي الأندلسي)**(ت891هـ/ 1486م)

- رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.

68. **القاسمي (جمال الدين)**

- الفتوة في الإسلام، تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي، المكتبة السلفية لتحقيق التراث، الجزائر، دت.

69. **القاضي عياض، (موسى بن عمرو السبتي)** (ت544هـ/1149م)

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد كبير محمود، دار مكتبة الحية، بيروت، دت.

70. **لكتاني (محمد القيرواني)**

– تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان والأولياء بالقيروان، تحقيق: عبد المجيد فيلالي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2005م.

71. **الكتاني (أبو العباس أحمد بن عبد الحي)**

– فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت.

72. **الأبيّ (أبو عبد الله محمد بن خلفة أبو شتاني)** (ت827هـ/1423م)

– إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، 1328م، ج6

73. **الإدريسي (محمد بن عبد العزيز الشريف)** (ت 560هـ/1164م)

– المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م.

74. **الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم)** (ت 339هـ/1050م)

– كتاب المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العالي ومحمد شفيق غربال، دار العلم، القاهرة، 1385هـ/1961م.

75. **المراكشي (محي الدين عبد الواحد)** (ت في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م)

– إعلام ممن حلّى بمراكش من أعلام، المكتبة الملكية، الرباط، 1983م، ج4.

76. **المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد)** (ت 1041هـ/1631م)

– نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1949م.

77. ....أزهار الرياض في أخبار عياض، نشر مصطفى السقا، وإبراهيم الأبادي وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، 1942م، ج6.

78. **المعسكري (أبو راس محمد بن أحمد بن ناصر الراشدي) (ت 1238هـ/1822م)**

– فتح الله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

79. **المغراوي (أحمد بن أبي جمعة)**

– جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق: أحمد جلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (ب ت).

80. **مخلوف (محمد بن محمد)**

– شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر (دت)

81. مؤلف مجهول، الاستبصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م.

82. **الخضر (محمد حسين)**

– تونس وجامع الزيتونة، جمع وتحقيق: علي الرضا التونسي، دط، 1981م.

83. **بن خوجة (محمد)**

صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي والجيلالي بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت (دت).

84. **النباهي(ابو الحسن علي بن محمد المالقي)(ت القرن الثامن الهجري/14م)**

– المراقبة العليا معجم فمكن يستحق القضاء والفتيا، دار الآفاق الجديدة بيروت،1983.

85. البكري الأندلسي

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، دار الكتب العلمية،ط1998،1م

86. البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر)

فتوح البلدان ،تحقيق رضوان محمد رضوان،دار الكتب العلمية،بيروت،1978.

ثانيا: المراجع

أ– المراجع العربية:

87. **بن خوجة (محمد)**

– تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، تونس، 1993م.

88. **بن منصور (عبد الوهاب)**

- أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1986م، ج4.

89. **بن الديب (عبسي وآخرون)**

- الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط.

90. **بن عاشور (محمد الفاضل)**

- أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مكتبة النجاح، تونس.

91. **بوعياد (محمد)**

- جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التسع الهجري / 15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.

92. **بوعرفة الهلالي (عبد القادر)**

- أعلام الفكر والتصوف بالجزائر ما قبل الميلاد إلى القرن السادس عشر ميلادي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004م، ج1

93. **بونابي (الطاهر)**

- التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و17 الهجريين/ و12-13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2004م.

94. **بوبة (مجاني)**

- إشعاع القيروان عبر العصور، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، تونس، 2009م، ج1.

95. **بوخلخال (عبد الله)**

-التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2.

96. **بوعزيز (يحي)**

- أعلام العلم والثقافة في الجزائر المحروسة،1-2، الدار البيضاء للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج2.

97. **بلعربي (خالد)**

- الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، 633هـ/681م، 1234م-1282م، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011م.

98. **بوكرديمي (نعيمة)**

- الرحلة العلمية لعلماء تلمسان إلى فاس خلال القرن الثامن الهجري/14م، دار الغرب الإسلامي، وهران، 2011م.

99. **بوداود (عبيد)**

- ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/13و15م، دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003م.

100. **الحفناوي (أبو القاسم محمد)**

- تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، بيروت- المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1982م.

101. **الجيلالي (عبد الرحمان)**

- تاريخ الجزائر العام، مكتبة بيروت، 1965م، ج1.

102. **الدولاتي (عبد العزيز)**

- مدينة تونس في العهد الحفصي، تعريب: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي، دار سراس للنشر، تونس، 1981م.

103. **الساحلي (حماد)**

- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1408.

104. **السنوسي (محمد)**

- مصاهرات الظريف، المجلد الأول، تونس، 1298م، ج1.

105. **الشاهدي (حسن)**

- أدب الرحلة في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، 1990، ج1.

106. **شاوش (محمد بن رمضان)**

- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

107. **الغزاوي (عبد الرحمان)**

- تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج، ط1، الأردن، 2011م.

108. **الطويلي (أحمد)**

- مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي، الجوامع والمدارس والمكتبات، مركز الثقافة التونسية، تونس، 2000م.

109. **الطمار (محمد بن عمرو)**

- تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973م.

110. **العروسي (محمد المطوي)**

- السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

111. **القيرواني (أبي عبد الله التميمي)**

- تحقيق أنس ابن الشيخ محمد الهادي العلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، قرطاج، 2004م.

112. **المنوني (محمد)**

- ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1979م.

113. **المتولي (محمد)**

- حضات الموحّدين، دار توبقال، دار البيضاء، 1989م.

114. **النيفر (محمد وآخرون)**

- عنوان الأريب كما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1986م.

115. **توات (الطاهر)**

- أدب الرسائل في المغرب العربي في القرن السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991م.

116. **حاجيات (عبد الحميد)**

- أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

117. ....امتداد نفوذ الحفصيين إلى المغرب الاوسط ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ج2.

118. **حساني (مختار)**

- الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، الجزائر، 2011م، ج2-ج4.

119. **حركات (إبراهيم)**

- مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتّى القرن 15/9م: العلوم الإنسانية والعقلية، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، ج2.

120. **حواله (يوسف بن أحمد)**

- الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتّى منتصف القرن الخامس الهجري (90هـ/450م)، مركز البحوث للدراسات الإسلامية، ط1، مكة المكرمة، 2000، ج1.

121. **دهينة (عطاء الله) وآخرون**

- الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

122. **عليوان (سعيد)**

- محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق دراسة وتحقيق معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، 1987م.

123. **سرهنك (اسماعيل)**

- تاريخ دول المغرب، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، 1408.

124. **سراج الدين (اسماعيل)**

- مع رحلة ابن خلدون، إعداد: خالد عزب ومحمد السيّد، مكتبة الاسكندرية، 2006م.

125. **سعيدون (ناصر)**

- من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرّخين رحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1999م.

126. **شلبي (أحمد)**

- تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المعربة، ج2.

127. **شاكر (مصطفى)**

- دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، ط1، 1993م.

128. **هلال (عمار)**

- العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين/13-14هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

129. **فيلالي (عبد العزيز)**

- دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، دار الهدى، الجزائر، 2012م.

130. .... تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1-ج2.

131. **قربان (عبد الجليل)**

- التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011م.

132. **كحالة (عمر رضا)**

- معجم المؤلّفين، دار إحياء التراث العربي، دمشق، 1961م، ج2.

133. **كواني (مسعود وآخرون)**

- أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، تقدير: عبد الرحمان حاجيات، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007م.

134. **الرازي (محمد بن أبي بكر)**

- مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.

135. **زكي (محمد فاضل)**

- الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، نشر وزارة المعارف، ط1، بغداد، 1960م.

136. **بدوي (محمد طه)**

- مدخل إلى علم العلاقات الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.

137. **صبري (اسماعيل)**

- العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، منشورات ذات السلاسل، ط5، الكويت، 1987م.

138. **محمد آل مصطفى (إبراهيم)**

- سفارات الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثوليكية (138-422/255-1031)، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1213.

139. **محفوظ (محمد)**

تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1989م، ج1-ج3.

140. **معموري (الطاهر)**

- جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي من سنة 603هـ/1206م إلى سنة 117هـ/1705م، الدار العربية للكتاب، دت، 1980م.

141. **الباجي (محمد بن مامي)**

- مدارس تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسني، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2006م.

142. **نويهض (عادل)**

- معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، ط3، 1983م

143. **يحي (محمد)**

- فهرس الخزانة العلمية الصحية بسلا، منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، 1985.

144. **سعيد المرابطي:**

فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة الرباط،منشورات الجزائر العامة للكتب والوثائق،ط1، الجزائر1986.

145. **ناصر الدين سعيدوني**، من التراث التاريخي للمغرب الإسلامي،تراجم مؤلفين ورحالة جغرافيين،دار الغرب الإسلامي،ط1،بيروت 1999.

ب- المراجع المترجمة:

146. بروتشفيك (روبير)

- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي إلى القرن 18 ميلادي، ترجمه إلى العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

147. بل ألفريد (بيل)

- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1967م.

148. جرجستراس

- التطور النحوي واللغة العربية، سلسلة محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية، مطبعة السياج، 1929م.

ج: المقالات:

149. **بوعزيز (يحي)**

- مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية في نهضة إيطاليا وجنوب غرب أوروبا، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد01.

150. **بورويبة (رشيد)**

- جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر.

151. بلمداني (نوال)

- ابن مرزوق الخطيب وكتابه المناقب المرزوقية، مقال ضمن مجلّة عصور الجديدة، العدد 3-4، جامعة وهران، 2011-2012م.

152. **حاجيات (عبد الحميد)**

- الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية أوت 1975م.

153. ....تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مقال ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، العدد1، وهران، 1993م.

154. **الفاسي (محمد)**

- الرحالة المغاربة وآثارهم، مقال ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 2، السنة الثانية نوفمبر 1958.

155. **قريان (عبد الجليل)**

- التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية وتلمسان في العصر الوسيط، قراءة تاريخية، مقال ضمن مجلة عصور جديدة، العدد 10، صيف جويلية 2013م.

156. **مغزاوي (مصطفى)**

- أبو العباس الغبريني البجائي (ت 704هـ/1304م) ومنهجه من خلال كتابه عنوان الدراية، مقال ضمن مجلة عصور الجديدة، العدد 3و4، جامعة وهران، 2011-2012م.

157. **المنوني (محمد)**

- نشاط الدراسات الرياضية في مغرب العصر الوسيط، مقال ضمن مجلة المناهل تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، العدد 33، 1985م.

158. **القوبع (عبد القادر)**

- دور ابن القنفذ القسنطيني في تاريخ الحياة السياسية والثقافية والدينية للجزائر الحفصية، مقال ضمن مجلة عصور الجديدة، العدد 4، وهران 2011-2012م.

د. المعاجم:

159. **الفيروز (آبادي)**

- القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1985م.

160. **مصطفى (إبراهيم وآخرون)**

- المعجم الوسيط، دار الدعوة، اسطنبول، 1989م، م1.

هـ- الرسائل الجامعية:

161. **مكيوي (محمد)**

- العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها من نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ/1236م/737هـ/1337م) دكتوراه دولة في الفنون، مرقونة ،جامعة تلمسان.

162. **لعرج (عبد العزيز)**

- المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية وفنية، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، مرقونة ، جامعة الجزائر، 1999م، ج1.

163. **بوداوية (مبخوث)**

- العلاقات الثقافية والتجارية بين المغربين الأوسط والسودان العربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ، مرقونة ، جامعة تلمسان 2005-2006م.

164. **علوي مصطفى**

- تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة والأندلسيين من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري (13-15م)، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، مرقونة ، جامعة سيدي بلعباس، 2014-2015م.

165. **مبطي المسعودي (جميلة)**

- المظاهر الحضارية في عصر بني حفص منذ قيامها 621هـ وحتّى سنة 839هـ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مرقونة ، جامعة أم القرى، المملكة السعودية، 2000.

166. **بلحسين (إبراهيم)**

- العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 07 إلى القرن 09هـ/13-15م، رسالة ماجستير منقولة، قسم الثقافة الشعبية، مرقونة ، جامعة تلمسان، 2004-2005م.

167. **بلغيث (محمد الأمين)**

- الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، مرقونة ، جامعة الجزائر، 1987م.

168. **بوشامة (عاشور)**

- علاقات الدولة الحفصية بدول المغرب والأندلس، ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب، مرقونة ، جامعة القاهرة، 1991م.

169. **خطيف (صابرة)**

- فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633هـ-791هـ/1235م-1388م)الجهاز الديني والتعليمي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، مرقونة ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003-2004م.

170. **بلفرج عبد الرحمن:**

ابن قنفد القسنطيني، حياته وآثاره، (470-810هـ/1339-1407م)، ،مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، مرقونة، جامعة وهران،2007.

171. **يوسف قرفور:**

الأعمال الرياضية لابن قنفد ، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، مرقونة، جامعة الجزائر،1983

باللغة الأجنبية:

Belhamissi (m): - histoire de Mazouna des arigines a nos jours S.N.E.D. Alger.1981.

172. **Barges (G)** Tlemcen ancienne capitale de royaume de ce nom , sa topographie, son histoire Ernest laroux, paris 1959.

-

173. **Marçais (G)** -Tlemcen ville d'art et histoire, 2emecongrés de la fondation des sociétés sarants de l'Afrique du Nord, publié par soin de la société historique algérienne tom1, Alger, 1936.

174. **Marçais (G)** L'architecture musulmane d'occident, édition Afrique orient, paris, 1955

Marcais (G) -et William les monuments arabes, volume 1 paris, 1903.

175. **Brunchuving (R)** quelque remarque historiques sur les medersas en tunisie, R.T.N6.1931.

Brunchuving (R) Ibn as samma historien hafside AL.E.O.1934-1935.T1.

Bourouiba (R): - religieux musulman en Algérie. N.E.O Alger 2eme édition 1981.

176. **Brosselard**: - inscription arabesde Tlemcen tombeaux des familles et makkari et el kbani , revue africain 5 éme année 1130 novembre 1861.

177. **Jean lion l'Africain**: -description de l'afrique trd par aepouderd libraire d'Amérique d'orient paris 1981.

178. **Dhina (A)** -le Royaume Abdelouadide a l'époque d'Abou hamou Moussa 1er O.P.U. Alger. 1985.

179. **Levi provençal (E):** - Moreau teste d'histoire mérinides de musnad d'ibrn maryuk in hesperis 1925.

180. **Hadj sadak (M)** -ibn marzouk ency lopedies mourelle edition T3.1990

181. **Hadj Roger idris**. - Le barberie oriontale sous les zisides , paris. 1982